جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

صورة العلاقة بين القيادة والقاعدة في الشام والكوفة والحجاز (٦٥ ـ ٧٧هـ / ٦٨٤ ـ ٦٩٦م) دراسة تحليلية

أطروحة تقدم بها الطالب

مهدي نعمه علي الجنابي

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة كربلاء وهي جزء من متطلبات نيل شهادة دكتوراه الفلسفة في التاريخ الإسلامي

إشراف
الأستاذ الدكتور
عمار محمد يونس

١٤٤٦هـ **٢٠٢٤م**

بِسمِ اللَّهِ الرَّحمنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ

فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾

صدق الله العلي العظيم

سورة الإسراء : الآية [٧١]

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن أعضاء لجنة المناقشة، بأننا أطلعنا على الأطروحة الموسومة بـ (**صورة العلاقة بين القيادة والقاعدة في الشام والكوفة والحجاز (٦٥ ـ ٧٧هـ / ٦٨٤ ـ ٦٩٦م) دراسة تحليلية**. المقدَّمة من قبل الطالب (**مهدي نعمة علي الجنابي**) وناقشناه في محتوياتها، وبكل ما له من علاقة بها، فوجدناها جديرة بالقبول لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، وبتقدير ( ).

التوقيع :

الاسم : أ. د. زمان عبيد وناس

رئيساً

التاريخ : ١٣/ ٩/ ٢٠٢٤م

التوقيع :

الاسم : أ. د. يوسف كاظم جغيل

عضواً

التاريخ : ٢٠/ ٩/ ٢٠٢٤م

التوقيع :

الاسم : أ. د. عبير عبد الرسول محمد

عضواً

التاريخ : ٢٠/ ٩/ ٢٠٢٤م

التوقيع :

الاسم : أ. م. د. محمد مهدي علي

عضواً

التاريخ : ١٧/ ٩/ ٢٠٢٤م

التوقيع :

الاسم : أ. م. د. سوسن عباس حسين

عضواً

التاريخ : ٩/ ١٠/ ٢٠٢٤م

التوقيع :

الاسم : أ. د. عمار محمد يونس

عضواً ومشرفاً

التاريخ : ٤/ ٩/ ٢٠٢٤م

صُدقت من مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة كربلاء

التوقيع :

أ. م. د. صلاح مجيد كاظم السعدي

عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية ـ جامعة كربلاء

التاريخ : ٩/ ١٠/ ٢٠٢٤م

إقرار المشرف

أشهد بأنَّ هذه الأطروحة الموسومة : (**صورة العلاقة بين القيادة والقاعدة في الشام والكوفة والحجاز (٦٥ ـ ٧٧هـ / ٦٨٤ ـ ٦٩٦م) دراسة تحليلية**) المقدَّمة من قبل الطالب : (**مهدي نعمه علي الجنابي**) كُتِبَت تحت إشرافي، في كلية التربية للعلوم الإنسانيّة / جامعة كربلاء، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه فلسفة في التاريخ الإسلامي.

التوقيع :

المشرف : أ. د. عمّار محمد يونس

التاريخ : ٦/ ٥/ ٢٠٢٤م

بناءً على التوصيات المتوافرة، أرشح هذه الأطروحة للمناقشة

التوقيع :

أ. م. د. محمد مهدي علي الشبري

رئيس قسم التاريخ / كلية التربية للعلوم الإنسانيّة

جامعة كربلاء

التاريخ : ٦/ ٥/ ٢٠٢٤م

إقرار المقوم اللغوي

أشهدُ أن الإطروحة الموسومة بـِ : **(صورة العلاقة بين القيادة والقاعدة في الشام والكوفة والحجاز (٦٥ ــ ٧٧هـ / ٦٨٤ ــ ٦٩٦م) دراسة تحليلية)** للطالب **(مهدي نعمه علي الجنابي)** قد تمت مراجعتها من الناحية اللغوية وتصحيح ما ورد فيها من أخطاء لغوية وتعبيرية، وبذلك أصبحت مؤهلة للمناقشة، بقدر تعلق الأمر بسلامة اللغة والأسلوب وصحة التعبير.

التوقيع

اسم المقوم اللغوي : عهود ثعبان يوسف

المرتبة العلمية : أ. م. د.

التاريخ : ٣ / ٦ / ٢٠٢٤م

الإهـــــداء

إلى ذكرى أبي . .

شكر وعرفان

الشكر لله أولاً وآخراً على ما أنعم ويَسَّر، وله الحمد على ما أكمل وقدّر.

يتطلب واجب العرفان بالجميل، أن أتقدّم بوافر الشكر والامتنان **للأستاذ الدكتور عمار محمد يونس** الذي أشرف على كتابة الأطروحة، فبذل عطاءً يستحق الشكر والثناء، وتفضَّل بمنح العمل ـ خلال خطواته ـ جهده وعلمه ووقته، فتابع فصول الأطروحة أولاً بأول، مدوناً التعليقات، ومصححاً ما كتبته بدقة متناهية، مُقدِّماً الكثير من آرائه السديدة وملحوظاته الفريدة، التي أفضت بالبحث ليكون مُشتملاً على روح علميَّة عاليَّة ونهج معرفي دقيق، فجزاه الله خير الجزاء.

ولا يسعني أيضاً إلَّا أن أسجل شكري لرئاسة قسم التاريخ الموقرة، وكافة أعضاء الهيئة التدريسيّة لقسم التاريخ / فرع التاريخ الإسلامي، خصوصاً أساتيذ السنة التحضيريّة (٢٠٢١ ـ ٢٠٢٢م)، إذ افدنا من علمهم وأدبهم الكثير، فالكلمات لا تفيهم حق الشكر، على عطائهم الموفور، فلهم من الله منازل التوقير والرفعة.

وهنا نتوقّف أيضاً لتسجيل كلمة شكر واعتزاز لكادر مكتبة كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة كربلاء، لِما قدموه طيلة السنة التحضيريَّة من تعاون وارشاد علمي ومعرفي خلال ذلك العام الدراسي، فجزاهم الله خيرا. كذلك أسجل تقديري وامتناني لكوادر مكتبة العتبة العباسية في كربلاء وللقائمين عليها، لِما قدّموه من عون بالغ في سبيل تسهيل مهمة البحث والباحث.

ولا يفوتني أن أشكر كلُّ مَنْ مدَّ يد العون، سواء بمشورة علميّة أو رفدي بكتاب أو بحث علمي أو تشجيع أو دعم معنوي خلال فترة إنجاز هذه الدراسة.

ومن الواجب أن اقدّم شكري الخالص لوالدتي وأخوتي وزوجتي وأبنائي :

علي ... ودق ... غسق ...

على مساعدتهم المعنوية الدائمة عرفاناً مني لهم بالجميل.

الباحث

قائمة المختصرات

المختصر	الدلالة
ت	توفي
هـ	السنة الهجرية
م	السنة الميلادية
ط	طبعة الكتاب
د. ط	دون طبعة
د. مط	دون مطبعة
د. م	دون مكان الطبع
د. ت	دون تاريخ الطبع
مج	المجلّد
ق	القسم
ج	الجزء
ص	الصفحة

الفهرست

الموضوع	الصفحة	
	من	إلى
الآية	**أ**	
الإهداء	**ب**	
شكر وعرفان	**ج**	
قائمة المختصرات	**د**	
الفهرست	**هـ**	**و**
المقدمة : نطاق البحث وأهداف الدراسة	**١**	**٦**
التمهيد	**٨**	**١٨**
أولا : الصورة لغة واصطلاح	**٨**	**١٢**
ثانياً : القيادة لغة واصطلاح	**١٣**	**١٦**
ثالثاً : القاعدة لغة واصطلاح	**١٧**	**١٨**
الفصل الأول : أنموذج القيادة الحاكمة : عبد الملك بن مروان	**٢٠**	**٥٣**
أولاً : المواصفات الشخصيّة للقيادة	**٢٢**	**٢٨**
ثانياً : الخطاب السياسي اتجاه القاعدة	**٢٩**	**٣٨**
ثالثاً : القاعدة وموقفها من المشروع السياسي للقيادة	**٣٩**	**٤٨**
رابعاً : وسائل التأثير المتبادل بين القيادة والقاعدة	**٤٩**	**٥٣**
الفصل الثاني : أنموذج القيادة المعارضة : المختار الثقفي	**٥٥**	**٩٨**
أولاً : المواصفات الشخصيّة للقيادة	**٥٨**	**٦٨**

ثانياً : طبيعة الخطاب السياسي للمختار اتجاه القاعدة	٦٩	٧٧
ثالثاُ : موقف القاعدة ومطالبها من مشروع المختار السياسي	٧٨	٩٠
رابعاً : وسائل التأثير المتبادل بين القيادة والقاعدة	٩١	٩٨
الفصل الثالث : أنموذج القيادة من المعارضة إلى الحُكُم : عبد الله بن الزبير	١٠٠	١٣٧
أولاً : المواصفات الشخصيّة للقيادة	١٠٣	١١٠
ثانياُ : الخطاب السياسي الموجّه نحو القاعدة	١١١	١١٦
ثالثاُ : موقف القاعدة ومطالبها من المشروع السياسي للقيادة	١١٧	١٢٩
رابعاً : وسائل التأثير المتبادل بين القيادة والقاعدة	١٣٠	١٣٧
الخلاصة والاستنتاجات	١٣٩	١٤٠
خريطة الدراسة	١٤٢	
قائمة المصادر والمراجع	١٤٤	١٧٣
الملخص باللغة الانكليزية	B	A

يتصف مفهوم القيادة بكونه ذو جذر عميق يتصل بطبيعة الإنسان منذ القِدَم، وما من جماعة إلَّا ويتوجب أن يكون لها زعيم أو قائد، كما وتتطلَّب الأعمال مهما كان حجمها ونوعها من وجود مَنْ يجمع الجهود المبعثرة للأفراد، ليشكل منها طريقاً يسلكه الجميع على وفق منظور القيادة الجامعة لهم، كون الأمر يصعب أن يستقيم من دون جمع الصفوف وتوحيده باتجاه هدف محدد، تجتمع عنده مُختلف الرغبات والنزعات، سواء ما توافق منها أو تعارض.

والقيادة تعدَّ من أبرز العوامل المؤثرة في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وكذلك العسكرية للمجتمعات الإنسانيّة كافة، وعلى طول الأزمان والحقب المتعاقبة، حيث يرجع للقيادة عادة أمر اتخاذ القرارات وخصوصاً المصيرية منها؛ ذلك لِما يترتب عليها من نتائج عادة ما تكون عامة.

تُعد القيادة العنصر الموجّه للسلوك والجهد الإنساني في غالبية بقاع الأرض، وعبر مُختلف المراحل الزمنية التي مرَّت بها مُختلف الدول والأمم. وتتأتى أهمية القيادة، لا مِنْ حيث هي نفسها فحسب، بل أيضاً من طبيعة العلاقة التي ترتبط بها مع القاعدة الجماهيريّة، التي تحاول القيادة تشكيلها مِنْ حولها، خصوصاً في أوقات الأزمات الحادة التي ترى القيادة بأنَّ عليها استتباع أشكالاً من الخطوات والمناهج لتحفيز القاعدة المؤيدة، بزيادة التأييد، والمتأرجحة بحسم أمرها، إمَّا بالإنضمام أو سلك طريق آخر.

ففي التاريخ المُبكّر للإسلام، أدَّت القيادة وطبيعة علاقتها بالقاعدة دوراً واضحاً في حسم الكثير من المواقف، أو أسهمت بإطار غير مباشر في تغيير اتجاهات البوصلة السياسية وربما الاجتماعية ايضا، بالشكل الذي لم يكن متوقعاً؛ مما جعل من مفهوم القيادة محوراً يحتمل توجهات أيديولوجية مختلفة، لا من حيث الزعامات فحسب، وإنمَّا من جهة الماهيَّة القيادية ونمطيتها في العمل على أرض الواقع أيضا.

لذلك وجد بعض الفلاسفة وعلماء الاجتماع في العصر الحديث، الضرورة اللازمة لدراسة مفهوم القيادة وماهيتها، وطرق الهيمنة وسلوكياتها عبر التاريخ، وكان منهم عالم الاجتماع والفيلسوف الألماني **ماكس فيبر** (١٨٦٤ ـ ١٩٢٠م)، إذ وضع نظرية في السوسيولوجيا السياسية وأشكال الهيمنة (السلطة)، وميَّز عن طريقها بين ثلاثة أنماط من الهيمنة المشروعة :

١/ هيمنة قانونية : وتعتمد على الإيمان بشرعيّة القواعد المقررة، وإجراءات سَنْ وتطبيق تلك القواعد، وكذلك حق إعطاء الأوامر بالنسبة لأولئك المدعوّون لممارسة الهيمنة بوساطة هذه الوسائل ذات الطابع العقلي.

٢/ هيمنة تقليدية : وتعتمد على العادات والتقاليد، والإيمان بشرعيّة الممارسات المعيارية والمقدسّة، فالزعامة تهيمن من هذا المنطلق على المجتمع، بوصفها وشاح القداسة الذي يمنحها حق السلطة على الرعيّة.

٣/ هيمنة كاريزمية (ملهمة) : تمتاز بعدم ثباتها واستقرارها، ولا تدين بالطاعة للقواعد (القانونية ، التقليدية)، بل لشخص له نوع من القداسة والبطولة وشيء من الخصال النادرة (المثالية)، وهذا النوع من الهيمنة يمتاز عمّا سبقها بأنها ذات حياة قصيرة تنتهي بموت قائدها المُلهَمْ، بينما تستمر القانونية والتقليدية على وفق النسق الاجتماعي الذي تعمل داخل حدود إطاره.

إنَّ المسارات القياديّة والأنساق السلطويّة أعلاه، قد مثلت نماذج من القيادات لتيارات من المرحلة المبكّرة من تاريخ الإسلام، وكانت أساساً في عملية الوصول للسلطة من باب إضفاء الشرعيّة المهيمنة على الاتجاه المسيطر أو الذاهب نحو السيطرة والزعامة القياديّة، وهذا ما نحاول نمذجته عبر فصول هذه الدراسة.

فالقوة تطاع فقط، حينما يجد الناس أسباباً مشروعة لطاعتها، كون السلطة هي القوة التي تُمارس بمشروعيّة القبول الجماهيري عن طريق التأييد؛ وعليه كان لزاماً

البحث عن علاقات رابطة ما بين هذه النظرية الفيبريّة، وبين النماذج المختارة من القيادات التي تعاصرت على الحُكم في زمن واحد ومتقارب، أي بعد العقد السادس من القرن الأول الهجري، حيث تم اختيار ثلاثة مناطق رئيسة، تنازعتها القيادات، هي : الشام والكوفة والحجاز، حيث تعاصر وتصارع على الحكم كل من : عبد الملك بن مروان بن الحكم (٦٥ ـ ٨٦هـ / ٦٨٤ ـ ٧٠٥م) في الشام ، والمختار بن أبي عبيد الثقفي (٦٦ ـ ٦٧هـ / ٦٨٥ ـ ٦٨٧م) في الكوفة، وعبد الله بن الزبير بن العوّام (٦٤ ـ ٧٣هـ / ٦٨٣ ـ ٦٩١م) في الحجاز؛ لذا تمت صياغة عنوان الدراسة بما ينسجم وأهداف مشروع العمل، وبالصورة الآتية : **صورة العلاقة بين القيادة والقاعدة في الشام والكوفة والحجاز (٦٥ ـ ٧٧هـ / ٦٨٤ ـ ٦٩٦م) دراسة تحليلية.**

وتم تقسيم المشروع البحثي على تمهيد وثلاثة فصول، ففي التمهيد تم تعريف ثلاثة من كلمات العنوان، هي : الصورة ـ القيادة ـ القاعدة، لغوياً واصطلاحياً، لتكون بمثابة فكرة أوليّة للمتلقي في فهم المقصود منها ضمن إطار العمل المنجز.

وجاء الفصل الأول : لدراسة القيادة الحاكمة وأنموذجها عبد الملك بن مروان، ذلك عبر تقسيم الفصل على أربعة مطالب، كل مطلب يختص بدراسة جانب من جوانب الشخصيّة القيادية المدروسة. وخصص الفصل الثاني : لدراسة القيادة المعارضة وأنموذجها المختار الثقفي، وخلال هذا الفصل تم توضيح طبيعة هذه القيادة وعلاقاتها بالحدث والذات، عبر أربعة من المطالب. أمَّا الفصل الثالث والأخير : من الدراسة فقد تناول شخصيّة قيادية التي انتقلت من المعارضة إلى الحكم، والمُتمثلة بعبد الله بن الزبير، وافرد له اربعة مطالب، للحديث عن طبيعة تلك العلاقة التي اتسمت بها قيادته مع القاعدة وباقي القيادات المعاصرة.

وأمّا بخصوص الفترة الزمنيّة التي تم تحديدها ضمن العنوان (٦٥ ـ ٧٧هـ / ٦٨٤ ـ ٦٩٦م)، فقد تبيّن للباحث، وبعد إكمال أعمال الدراسة، بأنَّ نهايتها قد ذهبت بعيداً عن هدف الدراسة ومُبتغاها، وأتضح بأنَّ المدة الزمنيّة المناسبة، كان ينبغي أن

تكون ضمن الفترة الزمنيّة الواقعة بين الأعوام **(٦٥ ـ ٧٣هـ / ٦٨٤ ـ ٦٩١م)**، كونها تأتي مطابقة لمتطلبات الدراسة الخاصة بفعالية الشخصيات الرئيسة التي تناولها البحث عبر فصوله الثلاث. باعتبار أنَّ السنوات اللاحقة ما كانت إلا امتداد طبيعي لبسط نفوذ وسيطرت عبد الملك بن مروان على أقاليم الدولة الإسلاميّة كافة؛ ذلك بعد مقتل ابن الزبير والقضاء على حركته سنة (٧٣هـ / ٦٩١م).

وبرغم الصعوبات التي رافقت سير البحث، ومنها مرض الباحث، وصعوبة الحصول على المعلومة التي تتوافق وهدف البحث المرسوم، إلا أن النتائج التي خلص إليها العمل، جاءت معبرة عن طبيعة تلك العلاقة ما بين نظرية السيادة الفيبريّة والقيادات المُختارة كهدف للدراسة، ذلك بما قدمته مختلف المصادر والمراجع المثبتة في آخر العمل البحثي، كونها منحت المادة المطلوبة بالشكل الذي أعان العمل ليظهر بهذا الشكل، الذي ظهر عليه.

ولكون المصادر والمراجع التي تمت الاستعانة بها، معروفة في كثيراً لدى القطاع الأكاديمي المتخصص بدراسة التاريخ الإسلامي عموماً، والعصر الأموي على الخصوص؛ لذا أعرض الباحث عن أدراج تحليلاً لها ها هنا، بعد أن اشبعت تحليلاً في الكثير من الدراسات السابقة. وأمَّا بخصوص المراجع والأبحاث التي تم توظيف جوانب من أفكارها أو مادتها العلميّة، فلم تغفل الدراسة الإشارة لها، مهما كانت تلك الاقتباسات بسيطة أو قليلة، كذلك وقع إدراج الرسائل والأطاريح كافة التي تم الاطلاع عليها، ولم تتم مغادرة أياً منها دون الإشارة إليها حفظاً لمبدأ الأمانة العلميّة، والرصانة الأكاديميّة، وصيانة للحقوق، التي سار عليها الباحث، مقتفياً خُطى أساتيذه كافة وتوجيهاتهم الدائمة بهذا الخصوص.

يُذكر بهذا الصدد أنَّ الدراسة الراهنة لم يظهر لها عمل مقارب، كونها حاولت المزج ما بين العمل التاريخي والبعد السوسيولوجي، ذلك بالاستناد للمنهجيّة التحليلية في الدراسات المعاصرة.

كذلك تم تلافي التعريف بالمواقع أو الأقاليم الجغرافية التي حملها العنوان، كونها قد دُرِسَت مِنْ قبل باحثين آخرين، خاصة في دراسات الجغرافية التاريخيّة، أو ما تعلَّق منها بالأقاليم الإسلاميّة للدولة العربية، عبر فصول تلك الدراسات.

إنَّ هدف العمل هو توضيح تلك العلائق القائمة ما بين شكل القيادة وأنساق المعتقدات التي تُضفي الشرعيّة على علاقات السيطرة، على وفق المنظور الآتي :

١/ المعتقدات القانونيّة : المُعتمدة على الإيمان بشرعيّة القواعد البعيدة عَنْ الشخصنّة، وتعتمد أيضاً على إجراءات سَنْ وتطبيق تلك القواعد.

٢/ المعتقدات التقليديّة : المُستندة إلى العادات والتقاليد العرفيّة، والإيمان بشرعيّة الممارسات المعياريّة والمُقدَّسة، ذات الطابع القبلي.

٣/ المعتقدات المُلهمة : وتمتاز بعدم ثباتها واستقرارها، ولا تُدين بالطاعة للقواعد أو التقاليد، بل لشخص له نوع من القداسة والبطولة، وبعض الخصال النادرة. وهذه المعتقدات تتفرد عن سابقاتها ـ القانونية والتقليديّة ـ بأنها ذات حياة قصيرة عادةً، تنتهي بموت قائدها المُلهَم، بينما تستمر القانونية والتقليديّة على وفق النسق الذي تعمل في ظل وإطار حدوده.

فكان لزاماً على الباحث أن يتتبع كل شاردة وواردة في حيوات الشخصيّات التي تم اختيارها للدراسة، كنموذج تظهر عن طريقه تطبيقات النظريّة الخاصة بأنماط السيادة. ناهيك عن العلائق الخاصة بدراسة القواعد التي ارتبطت بها تلك القيادات، وما أفضته من نتائج على الصعيد التاريخي.

وبالنظر لكون العمل يختص بدراسة المرحلة المُبكرة من تاريخ الحكم الأُموي، وتحديداً بدايات صُعود الأسرة المروانية التي استمرَّ حُكمها زهاء خمس وسبعون عام، بما حملته من جوانب إيجابية وسلبية.

وبغض النظر عن الأخطاء العقديّة التي ارتكبتها القيادة الأموية، وبخاصة في مجال نظام الحكم، التي تسببت بعد وقت قصير في ظهور عدد من حركات المعارضة السلميّة والمُسلّحة، تلك القوى التي تفاوتت من حيث قوتها وتهديدها

الفعلي للوجود الأموي، قد أتاحت للتأريخ العربي ـ الإسلامي بعداً آخر في حدود المرحلة التي شغلها.

لقد مُرِسة خلال العصر الأموي كثيراً من السلبيات، والتي لم تقف عند حد القضاء على القيادة الأمويّة نفسها، إنما امتدت لتحفر خنادق عميقة في جسد التاريخ الإسلامي ذاته، وأن تلحق بالإسلام في مفهومه الواسع، متاعب ومآسٍ يصعب إغفالها بحال.

إذ ضرب الأمويون نظام الشورى في الحكم، ذلك النظام القائم على حريّة الانتخاب وحريّة المعارضة، مما ولّدت خطوة الأمويين هذه، التي أقدم عليها معاوية في أخريات أيامه، الكثير من ردود الأفعال؛ ومن ثمَّ قادت إلى بروز حركات المعارضة السلميّة والمُسلّحة، حيث سلكت بعضها طريق الكفاح المسلّح الذي استنزف الكثير من الدماء والموارد البشريّة والاقتصاديّة، نتيجة لخطوات غير مدروسة، أو ربما كان الهدف منها اضاعة جهود التأسيس الأولى للإسلام.

ومارس الحكم الأموي الخطيئة القاتلة، حيث أشعلوا نار العصبيّة القبليّة، وزادوا إضرامها بالتزام هذا الجانب القبلي أو ذاك، الأمر الذي أضعف قاعدتهم في بلاد الشام نفسها وشطرها في مرحلة ما إلى شطرين، أحدهما : قيسي، ينتمي إلى عرب الشمال، والآخر : يماني، ينتمي إلى عرب الجنوب.

ورغم سعي معاوية الأول، إلى تلافي هذه المعضلة، ونجاحه بها بعض الشيء، لكن السلالة المروانية التي تسنمت مقاليد السلطة عام ٦٤هـ / ٦٨٣م على يد مروان بن الحكم، في أعقاب تلك المعركة القبلية بين اليمانيين والقيسيين، التي عُرِفَتْ باسم (مرج راهط).

فكانت السياسة القبليّة في عصرها واضحة، وأخذت بالتصاعد يوماً بعد يوم، وامتدت تأثيراتها إلى الأقاليم كافة، وكذلك إلى سائر مساحات الحياة السياسيّة والإداريّة والاقتصاديّة، فكانت أحد العوامل الخطيرة في تدمير الوجود الأموي في نهاية المطاف.

أولاً : الصورة لغةً واصطلاحاً :

الصورة في اللغة :

ترد الصورة في كلام العرب على ظاهرها، وتفضي إلى تبيان معنى حقيقة الشيء وهيأته، كذلك على معنى صفته، يُقال : صورة الفعل كذا وكذا أي هيأته، وصورة الأمر كذا وكذا أي صفته(١).

وذكر الفيروزآبادي (٢) أن الصورة بالضم تعني الشكل، والجمع صور، وتستعمل بمعنى النوع والصفة. ومنها قوله (٣) : صار وجهه يصوره ويصيره، أقبل به، والشيء فصله وأوضحه.

وفي كتاب مفردات ألفاظ القرآن (٤)، جاءت الصورة بمعنى : ما يُنتقشُ به الأعيانُ، ويتميزُ بها عن غيرها، وهو على قسمين : أحدهما محسوس، يدركهُ الخاصةُ والعامةُ، كصورةِ الإنسانِ ذلك بالمعاينة، والثاني معقول، يدركه الخاصة دون العامة، كالصورة التي اختص الإنسان بها أمثال العقل، والرويّة، والمعاني التي خُص بها شيءٌ بشيءٍ.

والصِور : بكسر الصاد، جمع صورة، وأمّا صوَّره تصويراً فتصور وتصورت، فتعني : الشيء توهمت صورته فتصور لي. والتصاوير: التماثيل (٥). أمّا الصورِيّة : فمن صوَّرَ الشيءَ : أبرز له صورة، أي شكلاً، والصوَّري : نسبة إلى الصورة (٦).

وأمّا أصل هذه المادة واشتقاقها، فبيّن ابن فارس (٧): أن الصاد والواو والراء، أنها كلمات كثيرة متباينة الأصول، وأضاف : أن هذا الباب ليس بباب قياس، ولا اشتقاق، وأنه لا يُقاس من الباب هذا سوى قوله : " صَوِرَ ، يَصْوَرُ " إذا مال، وأن ما عدا ذلك يكون كلمة منفردة بنفسها، ومن تلك الكلمات المنفردة بنفسها، لفظ : " صورة "، إذ المراد صورة كل مخلوق بنفسه، وهيأته التي خلقه الله تعالى عليها.

والصورة : بضم الصاد وفتح الراء، جمع صُور وصِور، وتعني : الشكل والتمثال المجسّم. وأيضاً : شكل مخلوق من مخلوقات الله تعالى مجسَّمة كانت،

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة : صور، ج٢٨، ص٢٥٢٣.
(٢) القاموس المحيط، مادة : الصورة، ص٤٢٧.
(٣) الفيروزآبادي، المصدر نفسه، ص٤٢٧.
(٤) الراغب الأصفهاني، مادة : صور، ص٤٩٧.
(٥) الرازي، مختار الصحاح، مادة : صور، ص١٥٦.
(٦) قلعه جي، معجم لغة الفقهاء، ص٢٤٩.
(٧) معجم مقاييس اللغة، مادة : صور، ج٣، ص٣١٩ـ٣٢٠.

كالصَّنم، أو غير مجسَّمة. وهناك طائفة من قدامى الفقهاء، لا يفرقون بين التمثال وغيره، فيطلقون على الجميع : (صورة) [١].

وللصورة إطلاقات لغوية عديدة، أهمها :

١/ تطلق الصورة على الشيء المشابه لغيره، أورد البُخاري حديثاً عن ابن مسعود، أنه قال : " إنَّ أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون" [٢].

٢/ كذلك تطلق على كل ما أُخذ عن الأصل وكان مطابقاً له، كصورة الكتاب [٣].

٣/ وتأتي الصُّوْرَةُ بمعنى : مَعْرُوْفَةٌ، والجَمعُ صُوَرُ، والفعل منها التصوير، وإنه لصَيِّر : أي حَسَن الصورة [٤].

٤/ ويُقصد بها : ما يُرسم في الذهن، وهو الصورة الذهنية [٥].

٥/ والصورة تأتي بمعنى : النوع والصنف، منها قول الفقهاء : وهذه المسألة تردُ على أربع صور [٦]، أي أربعة أنواع، أو أصناف.

٦/ إطلاق هذا اللفظ على الطريقة التي حدث بها الشيء [٧].

يمكن القول بأن التصور هو جزء من المنطق، أي ما يُعرف بالتصوري، بمعنى أنك تتخيل شيئاً ما لكنك بعد أن تراه بعينيك يتحوّل إلى منطق تصديقي، بمعنى أصبح مصداق لتصورك الأول [٨]؛ ومما تقدَّم يتجلى لنا البناء الهيكلي لمعنى الصورة لُغةً.

الصورة في الاصطلاح :

بعد تعريف الصورة لغةً، صار لزاماً تعريفها اصطلاحاً للدلالة عليها ضمن إطار الدراسات التاريخية، خاصة وإنَّها ضمن إطارها التقليدي المُعتاد، ما عادت سوى قراءة تكراريّة، تفتقر إلى روافدها الداعمة منهجياً، كعلم الاجتماع ـ

(١) قلعه جي، معجم لغة الفقهاء، ص٢٤٩.
(٢) صحيح البخاري، ج٧، ص٨٥.
(٣) قلعه جي، المرجع نفسه، ص٢٤٩.
(٤) الصاحب بن عباد، المحيط في اللغة، مادة : صور، ج٨، ص١٨٠.
(٥) قلعه جي، المرجع نفسه، ص٢٤٩.
(٦) قلعه جي، المرجع نفسه، ص٢٤٩.
(٧) دوزي، تكملة المعاجم العربية، مادة : صور، ج٦، ص٤٨١.
(٨) العاملي، الوجيز في المنطق، ص٣٤.

السيسيولوجيا ـ لتسفر عن إدراك حركة المجتمع وصيرورته ضمن إطار موضوعة البحث. لذا فإنَّ تبيان مفهوم الصورة، ضمن أدبيات الفكر الإنساني بمختلف مراحله، يتشكّل عن طريق ما تقدّمه المصادر والمراجع، مِنْ مادة بهذا الخصوص.

إذ يرى أحد المعاصرين [١]، أن تعريف الصورة في الإطار الاصطلاحي يجري مجرى التعريف اللغوي، ورغم ذلك يتطلَّب البحث عن بناء واضح لهذه الكلمة في حدود إطارها الاصطلاحي.

فالصورة، ليست على نوعٍ واحد، بل هي جنس يشتمل على أكثر من نوع، وإن لكل نوع مواصفاته من حيثُ الوسيلة، كذلك من حيث المادة التي تُصنع منها، والكيفية. فبالرجوع لمعاجم اللغة وقواميسها وكتب المصطلحات وتعاريفها، نراها تقدِّم لكل قسم ونوع منها تعريفاً مستقلاً عمّا سواه [٢]، منها :

١/ الصورة المُجسَّمة : فقد ذكر صاحب كتاب معجم التعريفات [٣] : إنَّ الصورة الجسمية هي جوهر متصل بسيط لا وجود لمحله دونه، وأنه قابل للأبعاد الثلاثة المُدركة من الجسم في أول النظر. فالجوهر هو الجسم، ما قبل العرض، غير قابل للانقسام، وهما اسمان معناهما واحد [٤].

والصور من النوع هذا، تعرف بذوات الظل؛ لتميزها عن غيرها بالجسم الذي تحمله، ذلك بأن لها طولاً وعرضاً وارتفاعاً، بحيث أعضاؤها تكون نافرة وبارزة، وهي تشغل حيزاً ضمن الفراغ، ويمكن تمييزها عن طريق اللمس، إضافة إلى تمييزها بالنظر [٥].

٢/ الصورة الحسيّة : تستخدم عادة للدلالة على ماله صلة بالتعبير الحسي، وتكون أحياناً مرادفة للاستعمال الاستعاري للكلمات، وإن الصورة إذا جاء الحديث منفرداً عنها لن تستقل عن الإدراك الاستعاري، كون الاستعمال الاستعاري هنا يربط الفرد بالكل، وكذلك اللحظة بالديمومّة، وتنشأ الصورة حين يتسع الشعور باجتماعية الحياة التي تشمل الموجودات كافة [٦].

---

(١) الطائي، صورة الإمام علي (عليه السلام) في مرويات المفسرين من الموالي، الصحابة إنموذجاً، ص١٢.
(٢) الطائي، المرجع نفسه، ص١٢.
(٣) الجُرْجاني، ص١١٦.
(٤) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج٥، ص٦٩.
(٥) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص١٩٦؛ الجُرْجاني، المصدر نفسه، ص٦٨.
(٦) ناصف، الصورة الأدبية، ص٣.

إنَّ مفهوم الصورة القديم، لدى الكتاب في التراث العربي، تحدد الدلالة التي تكشف المعنى ووضوحه، وهذا ما جاء عند الجاحظ [١]. أمّا ابن قتيبة [٢] فقد أشار إلى أن الصورة هي التي تبيّن غرض المتكلم. وبعد ذلك جاء عبد القاهر الجُرْجاني [٣] ليدلي بدلوه بهذا الصدد، وليؤكد على حرصه في الربط بين اللفظ والمعنى، مستعيناً بالتناسق بينهما كأساس على ذلك.

من هذا العرض المتقدّم، نخلص إلى أنَّ التيار العام في التراث العربي القديم، يكاد يحصر مدلول الصورة في الجانب المادي المحسوس من الكلام واللفظ، الذي يقابل المعنى [٤].

وعلى هذا النحو سار الكُتّاب المغاربة، إذ يرى القرطاجني [٥] : إنَّ الصورة تُمَثّل كل معنى في الوجود له صورة في الذهن، وهيأة تلك الصورة هي اللفظ، والصورة هي تمثيل وقياس. وهناك من عدّ الصورة الحُكم الأول الذي يوضع في عقولنا أو قلوبنا عند رؤيتنا الصورة المُجرّدة للشيء [٦]. ومنهم مَن جاء على وصف الصورة بالمهيمنة، أو الصورة المُسيطرة القائدة، بوصف أن هذا النوع من الصور والمسمى بالمهيمن يمكن ملاحظته بشكل دقيق عبر الروايات التاريخية التي تقص سيرة شخوص مهيمنين على سير الأحداث، عن طريق طغيان شخصيتهم في مجمل الأحداث المروية [٧].

وفي الحديث عن الصورة النمطية المقولبة، يؤكد الداقوقي [٨] في معرض حديثه هذا، على أن الصور النمطية المقولبة تختلف عن الصور العاطفية الذهنية التي ترتكز على الإدراك العقلي السابق دون أن تكون لها انعكاسات من نوع معين على تفاعل الأفراد والمجموعات، لأن غالبية تلك الصور الذهنية العاطفية يصيبها التحوير والنسيان وإعادة النظر، نتيجة مرور الوقت، لاعتمادها على الخيال بالدرجة الأولى، على عكس الصور النمطية المقولبة التي تمثل مجموعة من المعتقدات المتراكمة، تؤطرها توليفات تاريخية وسياسية وفلسفية واجتماعية بشكل

(١) الحيوان، ج٣، ص٢٣١ـ٢٣٢.
(٢) تأويل مشكل القرآن، ص٧٨ـ٧٩.
(٣) أسرار البلاغة، ص٢٦.
(٤) الغنيم، الصورة الفنية في الشعر العربي، ص١٢.
(٥) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص١٨ـ١٩.
(٦) فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، ص٢٢٤، ٢٢٥.
(٧) فتحي، المرجع نفسه، ص٢٢٥.
(٨) صورة الأتراك لدى العرب، ص١٧ـ ١٨.

واضح، حيث لا نستطيع الحكم على صدقها أو خطأها إلا بعد تطبيق تقنيات علم تحليل المضمون.

ومما تقدّم يتبيَّن حجم التداخل في مفهوم الصورة مع مفاهيم أخرى، تقود بمجملها إلى تعدد المعنى المُراد بالمصطلح، مما يُشكل حالة من القلق لدى المُتَلقّي، بل وصعوبة في تحرّي العلاقة الوثيقة بين مجمل المفاهيم الخاصة المُتعلّقة بتعريف مصطلح الصورة [١].

ولاجتياز تلك المساحة الذهنيّة المرسومة كظاهرة ثقافيّة واقعه في أسر النص التاريخي، كان لزاماً على الدارس أن يتدبّر النصوص المُراد تحليلها واستنطاقها على وفق قواعد وخطوات علميّة، قبل أن يصدر حُكمه عليها، ذلك عن طريق :

١/ البحث في المفردات، وتعريفها ليتيسّر له فهمها وتحديد دلالاتها، كون النص التاريخي دوّن بلغة كانت فيها دلالة الكلمة، ربمَّا لا تتطابق ومدلولاتها الحاضرة.

٢/ البحث في العبارات والمركبات، وهذا مما تحفل به النصوص والأخبار بشكل كبير، ولمعرفتها نراها تصف الحدث دون أن تحدد نهايته، مما تفسح المجال لتفسير الحدث ونهاياته أو تداعياته عند المُتَلَقّي بصورة بعيدة عن الدقة والواقع، مما يقود لتعدد الأحكام التاريخية على الحدث الواحد، بتعدد القراءات الواصلة عنه.

٣/ البحث في الإنشاءات، وما دونته المصادر من أقوال صدرت عن أناس كانوا أطرافاً ضمن ذات الحدث، لأهميتها في استجلاء بعض الجوانب المصاحبة للحدث التاريخي، أو تداعياته فيما بعد [٢].

لذا يحتم التصور الذي انطلقت منه الدراسة لقراءة الأحداث ومجرياتها، الاتجاه ضمن مسلك التحليل الخاص بمعالم التحولات التي حدثت في النص والرواية التاريخية. فعرض الصورة التاريخية لطبيعة العلاقة بين القيادة والقاعدة يستتبع قراءة أدق في تفاصيل بعض الروايات والنصوص المدونة ضمن المراحل المُبكرة من تاريخ المرحلة المدروسة، لِما تشكله من أسبقيّة في صناعة الصورة الواصلة عن الشخصيّات، التي اكتمل تشكلها نوعاً ما في المدونات التاريخية المتأخرة [٣].

(١) الطائي، صورة الإمام علي (عليه السلام) في مرويات المفسرين من الموالي، الصحابة إنموذجاً، ص١٣.
(٢) يونس، مقال في تحليل النص التاريخي، ص٧١ ـ ٧٢.
(٣) العجمي، قراءة في تطور الصورة التاريخية لعمر بن عبد العزيز وأبعاد تشكلها، ص١٢٣١.

ثانياً : القيادة لغةً واصطلاحاً :

القيادة في اللغة :

الأصل في القيادة : قود، وإن القاف والواو والدال أصل صحيح، يدل على امتداد في الشيء [١]، والقود نقيض السوق، يقود الدابة من أمامها ويسوقها من خلفها. والقياد : هو الحبل الذي تقود به الشيء. والقيادة : مصدر القائد [٢].

وفي المحيط، الاقتياد والقود : واحد. وأقدته خيلاً : إذا أعطيته خيلاً يقودها. والقيادة مصدر القود. والقائد من الجبل : أنفه المستطيل على وجه الأرض ينقاد كذا ميلاً. وجبل مقود : أي ممتد طولاً في السماء [٣].

وذكر ابن منظور [٤]، في هذا السياق، أن الانقياد : تعني الخضوع، نقول : قدته فانقاد واستقاد لي، إذا أعطاك مقادته؛ وفي حديث الإمام علي (عليه السلام) : قريش قادة ذادة، أي يقودون الجيوش، وهو جمع قائد. وروي بهذا الصدد، أن قصياً قسم مكارمه، فأعطى قود الجيوش عبد مناف، ثم وليها عبد شمس، ثم أُمية، ثم حرب، ثم أبو سفيان.

أمّا الأقود : هو الذي إذا أقبل على شيء لم يكد يصرف وجهه عنه [٥]. وقاد الأمير الجيش قيادة فهو قائد وجمعه قادة وقواد، وانقاد انقيادا في المطاوعة، وتستعمل القيادة وفعلها [٦].

وجاء في القاموس المحيط [٧]، أن الأقود : الرجل شديد العنق، طويل الظهر. وهي صفات مهمة في تشخيص القائد، بوصف إنَّ ضخامة الجسد واستطالته تبعث على الهيبة في أعين الناظرين. وذكر الزبيدي [٨]: أن أبا حنيفة استعمل القياد في اليعاسيب، فقال في صفاتها : وهي ملوك النحل وقادتها.

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة : قود، ج٥، ص٣٨.
(٢) الفراهيدي، كتاب العين، مادة : قود، ج٣، ص٤٤١.
(٣) الصاحب بن عباد، المحيط في اللغة، مادة : قود، ج٥، ص٤٨٤ـ٤٨٥.
(٤) لسان العرب، مادة : قود، مج٥، ج٤٢، ص٣٧٧٠؛ الزبيدي، تاج العروس، ج٩، ص٧٦.
(٥) الفراهيدي، المصدر نفسه، مادة : قود، ج٣، ص٤٤١؛ الصاحب بن عباد، المصدر نفسه، مادة : قود، ج٥، ص٤٨٥؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة : قود، مج٥، ج٤٢، ص٣٧٧١.
(٦) المقرئ، معجم المصباح المنير، مادة : قود، ص١٩٨.
(٧) الفيروزآبادي، مادة : قود، ص٣١٣.
(٨) تاج العروس، مادة : قود، ج٩، ص٧٦.

وبمراجعة لنموذج من المعاجم العصرية تتضح جملة من السياقات التي تعكس طبيعة المفهوم اللغوي المراد لكلمة قيادة، نظير التالي، قياد : زمام وعنان، وتستعمل مجازاً بمعنى قيادة وإدارة وتدبير شؤون الدولة. وقياده في يدك : أي أنه خاضع لك، ورهن اشارتك. وقيادة : منصب القائد ورتبته، كذلك تعني : جماعة الجند تحت إمرة القائد. أمّا كلمة قائد، فجمعها قياد، ولهذه الكلمة معانٍ كثيرة، بعضها غامض، فهي تطلق على حاكم منطقة، وعلى حاكم المدينة، كما تطلق على كل من يتولى منصباً عاماً، أو يُكلف بعمل في قصر السلطان. أمّا كلمة أقود : فتعني من ينظر أمامهُ بشكلٍ مستقيم [١].

نخلص مما جاء حول جذر كلمة " قيادة " في اللغة، وما تتبعه من تصاريف لأفعال ترتبط معانيها بجملة من الأوجه والمقاصد المتعددة، يتبيّن أن مجملها تقود بشكل رئيس إلى إيضاح فعل القيادة والتزعّم، على نحو جلي، وإن المغزى هو إظهار ميزة القدرة على إدارة الجموع البشرية وتوجيهها صوب أهداف مرسومة سلفاً، وهذا ما يرتبط بعمل الدراسة الراهن، بشكلٍ مباشر.

القيادة في الاصطلاح :

للقيادة في الاصطلاح تعريفات متعددة، غير متفق عليها من حيث المبدأ، إلَّا أنَّها وبشكلٍ عام لا تبتعد في تعريفها الاصطلاحي عن معناها اللغوي [٢]. فهي : صفة تدل على هيأة نسبية بين شخص يقوم بعمل جماعي، وأشخاص يتبعون عمله، قصد تحقيق غايات مشتركة، فيصبح أحد الطرفين قائداً والآخر مقوداً [٣].

إن وضع المبادئ والخطط والاستراتيجيات وتنفيذها، جميعاً تعكس معنى القيادة ومفهومها الاصطلاحي، كذلك الإنصات باهتمام، والتصرف بمصداقية [٤]. كما عُرِّفت القيادة بمعناها العسكري على أنَّها : فن التأثير في السلوك الإنساني، بغية تحقيق مَهمة بالأسلوب الذي يبتغيه القائد [٥]. فمعرفة سلوكيات الأتباع، وضمان طاعتهم وولاءهم، يستتبع التأثير عليهم من قبل القائد لإنجاز المهام وتحقيق الهدف.

(١) دوزي، تكملة المعاجم العربية، مادة : قود، مج٨، ص٤٠٥.
(٢) فرج الله، القيادة في ضوء القرآن الكريم ـ محمد ﷺ نموذجاً، ص١١.
(٣) بدوي، معجم العلوم الاجتماعية، ص٤٧٢.
(٤) يونس، دور القيادة العسكرية في تحقيق الانتصارات في العصر الراشدي (١١ ـ ٤٠هـ / ٦٣٤ ـ ٦٧٤م)، ص٧.
(٥) الرشيد، القيادة العسكرية في عهد الرسول ﷺ، ص١١.

يذكر بدوي [١] في معجمه : إنَّ القيادة هي : القدرة على التعامل مع الطبيعة البشرية، والتأثير في سلوكها، بهدف توجيه جماعة من الناس، صوب هدف مشترك، بالشكل الذي يضمن للقائد، التعاون والطاعة والثقة من قبلهم. بمعنى آخر في حال غياب القيادة تفقد الجماعة البوصلة، في تحديد اتجاه مقاصدها وجهودها.

والقيادة تعني أيضاً : الأخذ بالزمام، والسير نحو غاية مرسومة. والقائد عند العرب الأقدمين هو : المرشد، الدليل، الهادي [٢].

ولتبيان أهمية القيادة ودورها في حياة العرب قبل الإسلام، يقف الشعر العربي لِيُترجم تلك الأهمية، وحجم ذلك الدور، عبر قول الشاعر الأفوه الأودي [٣] :

لا يَصلُحُ الناسُ فَوضَى لا سَراةَ لهمْ

ولا سَراةَ إذا جُهّالهـمْ سادُوا

بمعنى : لا بد لكل قوم من سادة وزعماء، ويجب أن يكون هؤلاء الزعماء من أصحاب الرأي والحصافة. ولا حياة لقوم بلا زعيم، وإلا عاشوا في فوضى، ولا حياة لهم إذا تحكّم في أمرهم جُهّالهم.

وترى أكثر المذاهب الإسلامية، أن القيادة السياسيّة ضرورية وواجبة لإدارة المجتمع، أمثال : الأشاعرة والمعتزلة والإماميّة [٤]. غير أن هناك فِرَقاً في الإسلام، أمثال : بعض أجنحة الخوارج، لا ترى لهذه المسألة مِن أهمية ووجوب، إلا عند ظهور الظلم، أو العكس، أي : عند ظهور العدل، لإظهار شرائع الشرع ... [٥].

يتضح مما سبق، أن القيادة كمصطلح تعني المسؤولية بإطارها العام، وهي تولي الزعامة في تسيير أمور الناس، وإدارة شؤونهم السياسية والعسكرية على وجه التحديد، نظراً لأهمية هذين المفصلين بشكلٍ خاص، في حفظ أرواح السكان وأموالهم، وديمومة بقاء الدول واستمرارها. وهذه الدراسة تحاول أن تتلمّس أشكال القيادة التي ظهرت خلال الفترة الزمنية المحددة، وتبيان أنماطها واتجاهاتها وسلوكها العام في بناء العلاقات مع القواعد الجماهيرية في حدود الأقاليم المدروسة.

---

(١) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ص٢٤٢.
(٢) المناف، القيادة والأزمة الحضاريّة، ص٤٠.
(٣) التونجي، ديوان الأفوه الأودي، ص٦٦.
(٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٢، ص٣٠٨؛ الريشهري، القيادة في الإسلام، ص٣٣.
(٥) الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ص٤٦٠؛ الشهرستاني، الملل والنحل، مج١، ص١١٦؛ التفتازاني، شرح المقاصد، ج٥، ص٢٣٦.

وانسياقا وراء البحث عن أشكال القيادة (السلطة)، نجد أن هناك ثلاثة نماذج من أنساق المعتقدات، التي تُضفي الشرعيّة على علاقات السيطرة (الهيمنة)، هي [1]:

١ / هيمنة قانونية : وتعتمد على الإيمان بشرعيّة القواعد المقررة، وإجراءات سَنْ وتطبيق تلك القواعد، وكذلك حق إعطاء الأوامر بالنسبة لأولئك المدعوّون لممارسة الهيمنة بوساطة هذه الوسائل ذات الطابع العقلي.

٢ / هيمنة تقليدية : وتعتمد على العادات والتقاليد، والإيمان بشرعيّة الممارسات المعيارية والمقدسّة، فالزعامة تهيمن من هذا المنطلق بوصفها وشاح القداسة الذي يمنحها حق السلطة على الرعيّة.

٣ / هيمنة كاريزمية (ملهمة) : تمتاز بعدم ثباتها واستقرارها، ولا تدين بالطاعة للقواعد (القانونية ، التقليدية)، بل لشخص له نوع من القداسة والبطولة وشيء من الخصال النادرة (المثالية). وهذا النوع من الهيمنة يمتاز عمّا سبقها بأنها ذات حياة قصيرة تنتهي بموت قائدها المُلهَمْ، بينما تستمر القانونية والتقليدية على وفق النسق الاجتماعي الذي تعمل داخل حدود إطاره.

إنَّ المسارات القياديّة والأنساق السلطويّة في أعلاه، قد مثلت نماذج من القيادات لتيارات من المرحلة المبكّرة من تاريخ الإسلام، وكانت أساساً في عملية الوصول للسلطة من باب إضفاء الشرعيّة المهيمنة على الاتجاه المسيطر أو الذاهب نحو السيطرة والزعامة القياديّة. وهذا ما نحاول نمذجته عن طريق فصول هذه الدراسة.

(١) تيرنر، علم الاجتماع والإسلام، ص٥١؛ راينو، ماكس فيبر ومفارقات العقل الحديث، ص٢٢٧؛ يونس، محاضرة ألقيت على طلبة الدراسات العليا (الدكتوراه)، قسم التاريخ، كلية التربية للعلوم الإنسانيّة، جامعة كربلاء، بتاريخ ١ / ١٢ / ٢٠٢١م.

ثالثاً : القاعدة لغةً واصطلاحاً :

القاعدة في اللغة :

تصريف الفعل قعد : قَعَد، يَقْعُدُ، قُعُوداً، وهي خلاف قام. والقَعَد : القوم الذين لا ديوان لهم [١]، فكأنهم أقعِدُوا عن الغزو [٢]. وذكر ابن فارس [٣] أن : القاف والعين والدال، أصل، وقواعد البيت : أساسُه. وقواعد الهودج : خشباتٌ أربع مُعترِضاتٌ في أسفله.

والقَواعِد : أصلُ أساسِ البناء، والواحد قاعِد [٤]. وذكر الصّغاني [٥] أن قَعَد تأتي بمعنى : قام، وهو من الأضداد. والقَعَدِيُّ : الذي يرى رأي الخوارج، وأقْعَنْدَدَ بالمكان : أقام به. ومن دلالات الفعل وتصاريفه، ما ذكره صاحب القاموس [٦]، إذ قال : والمَقْعَدُ والمَقْعَدَةُ : مكانهُ. والقِعْدَةُ، بالكسر : مقدار ما أخذه القاعِدُ من المكان.

وذكر الزبيدي [٧] تصريف (قاعَدَه) أي : قَعَد مَعه. والقاعِدَةُ : أصلُ الأساس. أمّا (التَّقَعْدُد) فهي : التثبت والتمكن. والمَقَاعِدُ : موضع قعود الناس في الأسواق وغيرها، والقاعِدَة : أصل الأُسِّ، والقَوَاعِدُ : الإساسُ، وقَوَاعِدُ البيت إساسُه، وهي : أساطين البناء التي تَعْمِدُه [٨].

وفي تكملة المعاجم، تأتي (قَعَد) بمعنى : جلس على العرش، استولى على المُلك. كذلك تعني : مكث، لبث، استقر، بقي في المكان، أقام. ومنها : قطن على الرغم من بعض البواعث والأسباب، وأقام عند الآخرين. أمّا، قعد إلى فلان : جلس إليه، وجلس معه. وقعد بفلان، أي : منعه من الوصول إلى غايته، ومن التصرف كما يُريد. أمّا (قَعَّد) فتأتي بمعنى : وضع القواعد والأسس. و(اقتعد) فهي : اتخذ قاعدة للمملكة. وهناك، قاعِدة الطاحون، أي : حجر الرحى الأسفل. و(القاعدة) : لا تُطلق على العاصمة فحسب، بل توصف بها : المدينة العظيمة، أيضا. فالقاعِدَة تعني : ثبات، رسوخ، استقرار، تمكن، ومتانة، وجمعها، قواعد، أي : عناصر، فهي دالة على قواعد أهلها، أي سكانها. وتحمل كلمة (قاعدة) دلالة : معتقد، عقيدة، رمز،

(١) الفراهيدي، كتاب العين، مادة : قعد، ج٣، ص٤٠٩.
(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة : قعد، ج٥، ص١٠٨.
(٣) المصدر نفسه، ص١٠٩.
(٤) الصاحب بن عباد، المحيط في اللغة، مادة : قعد، ج١، ص١٥٠.
(٥) التكملة والذيل والصلة، مادة : قعد، ج٢، ص٣٢١ ـ ٣٢٢.
(٦) الفيروزآبادي، مادة : قعد، ص٣١١.
(٧) الزبيدي، التكملة والذيل والصلة، مادة : قعد، ج٢، ص٢٩٠، ٢٩٢.
(٨) الزبيدي، تاج العروس، مادة : قعد، ج٩، ص٤٦، ٤٨، ٦٠، ٦٢.

شعار، اتفاق، ميثاق، ومعاهدة [1]. فغالبية المعاني اللغوية تتجه صوب تعلق الأمر بحالة من الاستقرار والثبات، وهذا عادة ما يلزم السكان والعوائل والأفراد القاطنين في حدود منطقة أو إقليم جغرافي مُحدد.

القاعدة في الاصطلاح :

يأتي مصطلح (قاعِدة) المفرد : وجمعه (قاعِدات وقَواعِدُ) للدلالة على عدة أمور منها [2]:

١/ قاعدة المُلك / الحزب.

٢/ تنظيم سياسي.

٣/ أمر كلّيّ ينطبق على جزئيّات.

٤/ مقر للجنود والمعدات الحربية.

٥/ عاصمة، أكبر مدن البلاد "قاعدة البلاد".

٦/ منهج، طريقة، نظام "قاعدة أخلاقية".

فكلمة (قاعدة) كمصطلح، تُمَثّل المعنى السكاني لمجموعة ما من البشر، ضمن إطار تواجدهم المكاني، أي بمعنى آخر : تلك المجموعة البشرية القائمة بمكان ما، التي يُعتمد عليها من قِبَل الحاكم أو القائد، في تفعيل حركتها لصالح تحقيق بعض الأهداف والغايات (السياسية والعسكرية) على وجه الخصوص، ضمن إطار المصالح المرسومة بين الطرفين؛ وهذا ما تحاول الدراسة من الوصول إلى تحديد غاياته، وسُبُل تطوره، ودوافع تشكله، عن طريق دراسة صيغ التفاعل التي قامت ما بين القيادة من جهة، وقواعد الجمهور من جهة أخرى.

(١) دوزي، تكملة المعاجم العربية، مادة : قعد، مج٨، ص٣٣١ـ٣٣٥.
(٢) عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، مادة : قعد، مج٣، ص١٨٤٠ـ١٨٤٢؛ مدكور، المعجم المعجم الوجيز، مادة : قعد، ص٥٠٩ـ٥١٠.

انتهج حكام بني أمية نظام ولاية العهد، الذي استحدث على عهد معاوية بن أبي سفيان (٤١ ـ ٦٠هـ / ٦٦١ ـ ٦٨٠م)، أول حكام الدولة الأموية [١]؛ فبعد أن يرحل الحاكم، يقوم ولي عهده مقامه في الحكم [٢]، وكانت البيعة تتم لمن حضره من الناس، وأمّا أهل سائر الأمصار فإنهم يمنحون بيعتهم لولاة الحاكم وعماله في أمصارهم، فهم ينوبون عن الناس في القيام بالأمر [٣].

غير أن الأمر قد أختلف بعد رحيل معاوية بن يزيد بن معاوية (٦٤هـ / ٦٨٣ ـ ٦٨٤م)، الذي تولى الحكم مدة ثلاثة أشهر وقيل أربعين يوماً [٤]، ثم توفي. حيث لم يستخلف معاوية الثاني أحداً من بعده [٥]، فترتب على أثر ذلك اضطراب الوضع في بلاد الشام عموماً، والبيت الأموي على وجهٍ خاص، إذ لم يوفق أفراده من توحيد كلمتهم بادئ الأمر؛ فظهر أكثر من مرشح للزعامة، يروم تولي الحكم، مما انعكس تلقائيا ذلك الخلاف على سائر الأمصار، حتى استقرَّ الرأي لدى بني أمية وأتباعهم على بيعة مروان بن الحكم (٦٤ ـ ٦٥هـ / ٦٨٤ ـ ٦٨٥م)، أواخر سنة ٦٤هـ / ٦٨٤م ضمن حدود الشام وبعض نواحيها [٦].

في الوقت نفسه، كانت البيعة قد أخذت لعبد الله بن الزبير (٦٤ ـ ٧٣هـ / ٦٨٤ ـ ٦٩٢م)، واجتمع عليه الناس، عدا طائفة من أهل الشام [٧]، ذلك عام ٦٤هـ / ٦٨٤م [٨]. حيث بويع لمروان بن الحكم في الشام، بعد عقد الحجاز البيعة لعبد الله بن الزبير [٩].

---

(١) الطبري، تاريخ الرّسل والملوك، ج٥، ص٣٣٨.
(٢) ذوقان، ولاية العهد في العصر الأموي (٤١هـ/٦٦١م ـ ١٣٢هـ/٧٥٠م)، ص٥٣.
(٣) الطبري، تاريخ الرّسل والملوك، ج٦، ص٤١٦.
(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص٣٧٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص١٢٩.
(٥) البلاذري، المصدر نفسه، ج٥، ص٣٨٢؛ الطبري، المصدر نفسه، ج٥، ص٥٣٠.
(٦) ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٤، ص١٤٥، ١٤٨؛ فلهوزن، تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ص١٧٨.
(٧) وهم جند الأردن، بقيادة حسان بن مالك بن بحدل الأمير أبو سليمان الكلبي، كان على قضاعة الشام يوم صفين، قام بأمر البيعة لمروان، زعيم بني كلب ومقدمهم، ذو مقدار ومنزلة عند بني أمية، توفي في حدود السبعين للهجرة، (ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٢، ٤٤٨؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حوادث ووفيات ٦١ـ٨٠هـ، ص٩٢؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١١، ص٢٧٧). البلاذري، المصدر نفسه، ج٦، ص٣٤٢؛ ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٤، ص١٤٤.
(٨) ابن سعد، الطبقات الكبرى، الطبقة الخامسة من الصحابة، ج٢، ص٦٨، ٧٠؛ ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص٢٥٩؛ ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٤، ص١٤٥.
(٩) ابن سعد، المصدر نفسه، ج٢، ص٧٤؛ ابن خياط، المصدر نفسه، ص٢٥٩.

إنَّ هذا التداخل في أحداث تلك المرحلة، من حيث تنصيب الحكّام الذي جرى في إقليمين من أقاليم الدولة هما : الشام والحجاز، وأخذ البيعة لهم، سواء الخاصة أم العامة، قد أفرز شكلاً من أشكال قلق الشرعيّة، الذي انسحب بالتالي على مجيء عبد الملك بن مروان (٦٥ ـ ٨٦هـ / ٦٨٥ ـ ٧٠٥م)، حين تولى الحُكم، بعد رحيل والده بحدود عشرة أشهر، ذلك عام ٦٥هـ / ٦٨٥م[١].

وعليه سيكون عبد الملك بن مروان وإقليم الشام، الأنموذج الخاص بدراسة شكل القيادة الحاكمة وطبيعة علاقتها مع القاعدة، وماهية الخطاب السياسي الذي انتهجته تلك القيادة تجاه القاعدة، وموقف القاعدة ومطالبها من المشروع السياسي للقيادة، إضافة إلى وسائل التأثير المتبادل بين الطرفين، هي بمجملها المحاور الرئيسة التي تمثل خطوات عمل هذا الفصل من الدراسة.

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حوادث ووفيات ٨١ ـ ١٠٠، ص١٣٣؛ الخراشي، عبد الله بن الزبير والأمويون، ص١١٧.

أولاً : المواصفات الشخصيّة للقيادة :

وصف عبد الملك بالميل إلى السيف والعنف، وبأنه تصدى لخصومه وصرعهم واحداً بعد الآخر [١]، فقد قتل عمرو بن سعيد الأشدق [٢]، بدمشق، لخلعه إياه، حينما خرج لمحاربة مصعب بن الزبير [٣]، في العراق [٤]، ثم أرسل الحجاج بن يوسف الثقفي [٥] إلى مكة، فأحبط حركة عبد الله بن الزبير، بعد قتله وصلبه [٦].

ففي دراسة شخصية عبد الملك بن مروان تتضح جملة من الصفات العامة، ذات الأبعاد القيادية والإدارية، التي تتجه صوب تثبيت أركان السلطة ووسائلها، منها الإرادة القوية، وثبات العزم، مع الإصرار على الوصول إلى غايته، مهما كان في طريقه من عقبات، ومهما حاول البعض من تنحيته عن مبتغاه [٧].

كانت تصاحب الصفات أعلاه، صفة عبّر عنها القدماء في توصيفهم لعبد الملك، بأنه يمتلك ناصية الحزم ـ ويقصد به الثبات في مواجهة المواقف، واتخاذ القرارات، والبت في الأمور دون خوف أو تردد [٨] ـ ولذا قالوا : كان معاوية أحلم، وعبد الملك

---

(١) عطوان، الأمويون والخلافة، ص١١٨.

(٢) ينتسب عمرو بن سعيد إلى آل العاص، أحد فروع البيت الأموي، وصف بالفصاحة والبلاغة والكرم والجود، وأنه كان خطيباً مفوهاً، حتى لقب بالأشدق لفصاحته وبلاغته و" تشادقه بالكلام "، فعد من خطباء قريش المعدودين، قتله عبد الملك بن مروان ذبحاً عام ٧٠هـ / ٦٨٩م. الزبيري، نسب قريش، ص١٧٣، ١٧٨؛ الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص١٧١؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص٣٠٢؛ طلفاح، عمرو بن سعيد الأشدق ودوره في الدولة الأموي ٥٠ ـ ٧٠هـ / ٦٧٠ ـ ٦٨٩م، ص٢٨.

(٣) الأخ غير الشقيق لعبد الله بن الزبير بن العوّام، نشأ في كنف أخيه عبد الله ورعايته، وكان أبرز قواده في حركته ضد الدولة الأموية حتى قتل سنة ٧٢هـ / ٦٩١م، بمسكن على نهر دجيل، أمام عبد الملك بن مروان. ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص٢٦٨؛ الراوي، آل الزبير ودورهم في الدولة العربية الإسلامية حتى منتصف القرن الثالث الهجري، ص٨١، ٨٤.

(٤) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص٣٣٧؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٧٠.

(٥) ابن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود، يعود نسبه إلى قبيلة ثقيف، سياسي أموي وقائد عسكري، ولد في الطائف من الحجاز سنة ٤١هـ / ٦٦١م، وأنتقل إلى الشام، ولّي على الحجاز ومن ثم العراق بعد ذلك، لمع نجمه على عهد الحاكم الأموي عبد الملك بن مروان، توفي بمدينة واسط في حدود عام ٩٥هـ / ٧١٣م. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٤، ص٢٢٢؛ ابن شاكر، فوات الوفيات، ج٤، ص٢٥٤؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١١، ص٢٣٦ ـ ٢٤٠؛ آق بيگ، قراءة في سيرة الحجاج بن يوسف الثقفي، ص٥٠، ٣٧٢.

(٦) هذا ما سنأتي عليه في الفصل الثالث من هذه الدراسة.

(٧) الريس، عبد الملك بن مروان والدولة الأموية، ص٢٢٩.

(٨) الصاحب بن عباد، المحيط في اللغة، ص١٧؛ الجُرْجاني، معجم التعريفات، ص٧٧.

أحزم [١]. ومن الأمثلة الواضحة على حزمه؛ موقفه الخاص بقراره الذي أمضاه بحق عمرو بن سعيد الأشدق، وما كان منه. وشهد له الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور (١٣٦ ـ ١٥٨هـ/ ٧٥٣ ـ ٧٧٤)، وقد ذكر ملوك بني أمية عنده، حيث قال : كان عبد الملك أشدهم شكيمة، وأمضاهم عزيمة [٢].

وبشكل عام يمكن إجمال الصفات التي تمتعت بها شخصية عبد الملك بن مروان، وأن نجعلها تحت وصف واحد، استناداً إلى جملة سلوكه السياسي، وتصرفاته وأعماله، هي : القوة. فالقوة كانت الطابع العام لشخصية عبد الملك، والمتمثلة بقوة الإرادة والعزم والتنفيذ والسلوك [٣].

كان من نتائج صفة القوة التي امتازت بها شخصية عبد الملك، أن كان شديداً في سياسته، وهذه الشدة كانت ـ بصفة خاصة ـ موجهة ضد المخالفين أو العاصين، ومن يُحتمل أن يكونوا كذلك. وتجلت بشكل واضح في معاملته لأهل العراق [٤]، كما سيتبين لاحقاً.

ففي تتبع لرسائل وخطب عبد الملك إلى خصومه، تتبيَّن جوانب مهمة من شخصيّة هذا الحاكم، الذي وصل لسدة الحُكم في ظروف مُربَكة، سواء على الصعيد الداخلي، أم الخارجي [٥]. فقد جابه مصاعب جمّة، مقتبل عهده الطويل نسبياً، الذي ناهز زهاء إحدى وعشرين عام، وبرغم من وقوع بعض المعارك التي سهلت عليه إعادة النفوذ الأموي من جديد على بلاد الشام، كما في وقعة مرج راهط سنة (٦٤هـ /

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص٣١٣.
(٢) البلاذري، المصدر نفسه، ج٥، ص١٢.
(٣) الريس، عبد الملك بن مروان والدولة الأموية، ص٢٢٩.
(٤) الريس، المرجع نفسه، ص٢٣٠.
(٥) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٨٨؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص١٥٧؛ دكسن، الخلافة الأموية ٦٥ ـ ٨٦هـ / ٦٨٤ ـ ٧٠٥م دراسة سياسية، ص١٩٩.

٦٨٤م) [١]، ومن ثم امتداد ذلك النفوذ إلى مصر، إلا أن زفر بن الحارث الكلابي [٢] زعيم القيسية، لم يزل معارضاً في قرقيسيا [٣].

وفي الحجاز والعراق كان عبد الله بن الزبير لا يزال صامداً منذ عهد يزيد، معلناً نفسه خليفة للمسلمين [٤]. وكان للروم (البيزنطيين) دورهم في تهديد بلاد الشام من جهة الشمال، وأنهم ساعدوا المردة [٥] داخل بلاد الشام.

وحيث أن عبد الملك تسلّم زمام الأمور في وقت كانت فيه الدولة مضطربة غير مستقرة إلا في الأقسام التي أوصل إليها مروان بن الحكم نفوذه خلال مدته القصيرة؛ لذلك كان لزاماً على عبد الملك أن يواجه ابن الزبير الذي تفاقم خطره، وأن يتخذ من الرسائل وسيلة للضغط عليه وعلى أعوانه، فبدأ عبد الملك بمراسلة قواده ويوعدهم ويمنيهم في سبيل ترك ابن الزبير وحيداً والتخلي عنه [٦]، مما يسبب الاضطراب في صفوفه، وهو بذلك يدلل رجاحة عقلية في ميدان السياسة؛ ومن ثمَّ لا يتعجل اللقاء مع الخصم حتى يتبيّن له النصر [٧].

ففي رسالة بعث بها عبد الملك إلى مصعب بن الزبير، مذكراً إياه بقضية نقض أبيه بيعته للإمام علي (عليه السلام) أنَّها كانت بسبب الحسد، إذ يقول : ثم دعا الناس إلى علي

---

(١) اشتملت وقعة مرج راهط تفاصيل عديدة ودقيقة، واختلف الرواة في سرد تفصيلاتها من حيث العرض الشامل لمجريات الوقعة أو العرض المختصر لأحداثها؛ فمسألة تاريخ وقعة مرج راهط، ومدتها، وإخراج الضحاك من دمشق إلى مرج راهط، وأعداد الجيوش، والإمدادات، وأسماء القادة، ومجريات الوقعة، وخدعة المهادنة، وأسماء القتلى، وانتصار مروان بن الحكم ثم مبايعته، وهروب عُمال عبد الله بن الزبير، كانت من الأمور التي اختلف حولها الرواة والمؤرخون القدامى. موسى، وقعة مرج راهط ٦٤هـ / ٦٨٤م دراسة في الرواة والمؤرخين من القرن الثاني حتى القرن الرابع للهجرة، ص٧٤.

(٢) خطاب، زفر بن الحارث الكلابي ودوره في أحداث عصره، ص٢٣٥.

(٣) بلد عند مصب نهر الخابور في الفرات، معقل القيسية في منطقة الجزيرة. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٤، ص٣٢٨). الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٣٤.

(٤) فوزي، الخلافة الأموية ـ دراسة لأول أسرة حاكمة في الإسلام ٤١ ـ ١٣٢هـ / ٦٦١ ـ ٧٥٠م، ص٩٩.

(٥) تسمية اطقت على قبائل فارسية الأصل، يقيمون في مناطق أعالي بلاد ما بين النهرين، تنصروا في زمن الامبراطورية البيزنطية، وأخذوا بشن غارات على الحدود الشمالية لبلاد الشام، مما اضطر عبد الملك لعقد اتفاقيتين مع جوستنيانوس الثاني إمبراطور بيزنطة، في السنوات ٦٥هـ / ٦٨٥م و٦٩ ـ ٧٠هـ / ٦٨٩ ـ ٦٩٠م، أفضت إلى استتباب الأوضاع الخارجية. هذا وقد ذكرهم البلاذري تحت مسمى (الجراجمة)، وانهم من مدينة تقع على جبل اللكام يقال لها الجرجومة. البلاذري، فتوح البلدان، ص٢١٧؛ إسماعيل، المردائيون (المَردة)، ص٢٩، ١٥١.

(٦) الصدفي، تاريخ دول الإسلام، ج١، ص٦٢.

(٧) الهرثمي، مختصر سياسة الحروب، ص٢٠.

وبايعه، فلما دانت له أمور الأمة، واجتمعت له الكلمة، أدركه الحسد القديم لبني عبد مناف، فنقض عهده ونكث بيعته بعد توكيدها [١].

وبيّن عبد الملك علو نسبه على ابن الزبير، الذي يمتد لِما قبل الإسلام، ويعضد ذلك في مستهل الرسالة الثانية التي أردفها لمصعب ايضاً، بأن قدّمها واصفاً نفسه بعبارة : أمير المؤمنين ! ويبدو أن عبد الملك قصد برسائله إلى مصعب، إدخال الضعف والهوان في نفوس أتباع ابن الزبير، مع تبيان تفوقه عن طريق تلقبه بما ذُكِر، فينعكس ذلك على أدائهم القتالي، كما أنه يشكك بمصداقية دعوى عبد الله بن الزبير الخاصة بالخلافة [٢].

على أنَّ عبد الملك لم يدع باباً إلا طرقه في سبيل احراز النصر والحصول عليه، لهذا راسل عيسى بن مصعب بن الزبير [٣]، من قادة آل الزبير المبرزين، وهو يقاتل مع والده في العراق، ودعاه للتخلي عن والده؛ لأن قضيته خاسرة، ضامناً له العفو وكاتباً إليه : إن أحببت فأقم معي، وإن كرهت فالحق بحيث أحببت [٤].

عند قراءة هذه الرسالة يتبيّن من الوهلة الأولى مقدار سذاجتها، غير أن مقصد عبد الملك الخفي يظهر عن طريق ايصال درجة الخلاف ما بين أفراد البيت الزبيري إلى حد بذر الفرقة بين الأبن ووالده، ومن ثمَّ يتأكد النصر لعبد الملك.

ومن أولى خطبه التي ألقاها بدمشق، بعد الذي أوقعه بعمرو بن سعيد الأشدق، قال عبد الملك : ارموا بأبصاركم نحو أهل المعصية، واجعلوا سلفكم لمن غبر منكم عظة، ولا تكونوا أغفالاً من حُسن الاعتبار، فتنزل بكم جائحة السطوات، وتجوس خلالكم بوادر النقمات، وتطأ رقابكم بثقلها العقوبة، ... حتى يقول : فانظروا لأنفسكم وأقبلوا على حظوظكم، وليكن أهل الطاعة يداً على أهل الجهل من سفهائكم، واستديموا النعمة التي ابتدأتكم برغيد عيشها ونفيس زينتها، ... إلى أن ينتهي بقوله : انهضوا إلى أعطياتكم غير مقطوعة عنكم ولا مكدرة عليكم [٥]. حيث تتضح معالم سياسة الترهيب والترغيب بشكلٍ جلي، فحملت المقدمة تنبيهاً لِما جرى مع خصم من الخصوم، بعد ذلك اشار إلى وجوب فرز الذين يشككون بقوة الحاكم وسياسته، ومن ثم يُبيّن قيمة النعمة التي بين أيديهم، وكيف عليهم الحفاظ على ديمومتها، حتى يدعوهم إلى استلام اعطياتهم التي لن يقطعها عنهم ما دام ولائهم محفوظ.

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٣، ص٥٧٨.
(٢) العش، الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداءً من فتنة عثمان، ص٢٠٠.
(٣) دكسن، الخلافة الأموية ـ دراسة سياسية، ص٢٠٩ ـ ٢١٠.
(٤) السدوسي، حذف من نسب قريش، ص٥٧.
(٥) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشا، ج١، ص٢١٨.

ومن خُطبه التي يُستشف منها طبيعة النهج السياسي، تلك الكلمات التي ألقاها في مكة، بعد انهائه لأمر عبد الله بن الزبير، إذ قال : " أيها الناس : ما أنا بالخليفة المستضعف [يعني عثمان بن عفان] ولا الخليفة المُداهِن [يعني معاوية] ولا الخليفة المأفون [١] [يعني يزيد]، فمن قال برأسه كذا، قلنا له بسيفنا كذا " [٢].

هنا تتضح طبيعة الخط السياسي الذي اختطه عبد الملك لنفسه في مضمار الحكم، عن طريق الاعتماد على القوة والحزم كحل أمثل أمام المصاعب التي تواجهها السلطة، فتحديد السيف كفيصل مع الخصوم، يشير إلى تعاظم مبدأ الاستبداد على الأرجح لدى مَنْ يُطلق تلك العبارات، خصوصا بعد حسمه للأمور بقوة السيف.

إلا أنَّ أحد المعاصرين [٣]، حاول التخفيف مِنْ حِدَّة ونوعيَّة هذا الخطاب المباشر الذي اطلقه عبد الملك أمام مشهد ومسمع جموع من الحاضرين، عن طريق التوسل بأشكال من التبريرات غير المُجديّة، لإيجاد مخرج لسياسته المُتسمة بالعنف والقسوة؛ وذلك بالاستناد لقول مَنْ حاول تلخيص حياة عبد الملك بن مروان ـ بدوريها ـ بأنَّه : كان سنان قريش وسيفها، رأياً وحزما، وعابدها قبل أن يُستَخلف، ورعاً وزهدا [٤].

ففي خضم تلك التطورات، أخذت معالم المُلك تتعزز شيئاً فشيئاً، كذلك يمكن القول بأن شكل الخلافة وبما حملت من جدل أخذت تتلاشى، حتى بلغ الأمر مُغادرة جدل الملكية والخلافة، غير أنه أخذ يتمحور حول المُلك المُطلق واستبداده، فأصبح بنو مروان يطلبون السلطة شرط أن لا يتقاسمها أحد معهم، وكلما جاء إلى السلطة أحد منهم كان أشد فتكاً ممن سبقه [٥]. فكان عبد الملك تجسيداً واضحاً لهذا المفهوم، حين يقول : لا يجتمع فحلان في هجمة قط، إلا قتل أحدهما صاحبه [٦]؛ وهذا ما دعا بعضهم للقول بأن عبد الملك أدخل : روحاً جديدة إلى بلاطه، كان أسلافه يعاملون الرعيّة على طريقة شيوخ القبائل العربية القدماء؛ ذلك من خلال الأخذ بالمشورة، فلما انتهى إليه الأمر خرج على هذه السُنّة، وحكم المملكة حُكماً مُطلقاً [٧]، ويظهر

(١) أحمق، ضعيف الرأي والعقل. الفراهيدي، كتاب العين، مادة : أفن، ج١، ص٧٦.
(٢) الجاحظ، البيان والتبيين، ج٢، ص٨٥.
(٣) الريس، عبد الملك بن مروان والدولة الأموية، ص٢٣٤ ـ ٢٣٥.
(٤) علي، الإدارة الإسلامية، ص٧٧؛ الهنائي، رؤية الجاحظ في عصرَي بني أميّة وبني العباس (٤١ ـ ٢٥٥هـ / ٦٦١ ـ ٨٦٨م) دراسة تاريخيَّة نقديَّة، ص١٦٢.
(٥) مبارك، أصول الاستبداد العربي، ص١٧٦.
(٦) الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٨٦.
(٧) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص١٣٥.

هذا معالم وشكل الحُكم المُطلق بصورة أكثر جلاءً من ذي قبل، وهو الأمر الذي أصبح السمة الغالبة في الحُكم مهما تبدّل الحاكم [١].

فإلى أي مدى كان الحُكّام يتعاملون مع النص القرآني من الناحية التطبيقية؟ فعبد الملك بن مروان وصِفَ قبل توليه المُلك، بالورع، والتقوى، وكثير الخلوة بالقرآن، وحينما علم بأن المُلك قد آل إليه، قال مخاطباً القرآن الكريم : هذا آخر عهدنا بك [٢]. مع العلم بأنه كان يُعد مِن فقهاء المدينة [٣]، غير أن وصوله إلى سدة السلطة، وضع كل ما كان عليه جانباً، وأخذ يحكم بالحديد والنار. مُستنداً إلى أعلى درجات الحُكم المُطلق [٤]، مُعبراً بذلك عن شخصيّة لا ترتضي إلا بفرض هيمنتها وقوتها وإرادتها على الساحة السياسية بأكملها، وأن لا مكان إلا للسيف والأغلال [٥]، على حد وصفه، لِمَنْ يُعارض ذلك. ففي زمن حُكمه، سُجِلَت خَطوات إضافية وجديدة في تشريع الاستبداد؛ ذلك بالاستناد إلى نظرية الحُكم المستند إلى الاختيار الإلهي، وان الله سبحانه وتعالى قد آتاهم المُلك، وأنهم يحكمون بإرادته، ويتصرفون على وفق مشيئته [٦]، وأحاطوا خلافتهم بهالة من القداسة، وأسبغوا على أنفسهم ألقاباً دينية، كالتي أطلقها عبد الملك على شخصه، أمثال : أمين الله [٧]، وإمام السلام [٨].

وهناك مَنْ يرى بأنَّ تعزيز فكرة السلطة المُحتمية وراء التفويض الإلهي، أو ما اصطلح عليه : بمبدأ الجبر أو الجبرية [٩]، كانت قد تعززت بشكل خاص زمن حُكم عبد الملك بن مروان، وانه استعان بالشعراء بشكل خاص؛ لبث هذه الفكرة بين الناس، بوصف الشعر أهم وسيلة إعلامية يمكن الركون إليها في ظل هكذا مواقف، وإنَّها خير أداة لتعزيز الثقة بالأمر؛ لما يتمتع الشعراء بمنزلة احترام وتقدير في نفسية الإنسان العربي، كيما تتقبلها الأغلبية السكانية، فتتحقق للسلطة والمتمثلة بشخصه غاية التمكين والظفر بالسيطرة على إرادة المجتمع الشامي أولاً، وباقي

(١) مبارك، أصول الاستبداد العربي، ص١٧٧.
(٢) إمام، الطاغية ـ دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي، ص١٧٣.
(٣) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٧٨.
(٤) مبارك، المرجع السابق، ص١٧٧.
(٥) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص٨٣؛ السيوطي، المصدر نفسه، ص٢١٧.
(٦) إمام، المرجع نفسه، ص١٦٨.
(٧) عطوان، الأمويون والخلافة، ص٢٠.
(٨) فلوتن، أبحاث في السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات المهدوية في ظل خلافة بني أميّة، المنشور ضمن كتاب : الدكتور إبراهيم بيضون، الدولة الأموية والمعارضة ـ مدخل إلى كتاب السيطرة العربية للمستشرق الهولندي فان فلوتن ـ مع ترجمة له، ص١٢٦.
(٩) من الجَبْر، وهو إسناد فعل العبد إلى الله تعالى، والجَبْرية على شقين : متوسطة تُثبت للعبد كسباً في الفعل كالأشعرِية، وخالصة لا تُثبت كالجَهْميّة. الجُرْجاني، معجم التعريفات، ص٦٦.

الأمصار ثانياً [١]. فالسلطة يتم تحديدها من الله تعالى، وليس للناس فيها رأي ولا مشورة، و" الخليفة " هو " خليفة الله "، ابتداءً من عبد الملك بن مروان، وأن على الناس الطاعة لهذه الإرادة الربانية والخضوع لها، ولِمن يُمَثلها على الأرض بالزمان والمكان [٢].

(١) عطوان، الأمويون والخلافة، ص١٩ ــ ٢٥؛ إمام، الطاغية ـ دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي، ص١٦٨ ــ ١٦٩؛ الجراري، في الشعر السياسي، ص٢٣٣ ــ ٢٣٦. وهناك دراسة حاولت أن تفسّر الأمر بشكلٍ آخر، إذ يقول أحد الباحثين : أن تفسير أدب الأمويين تفسيراً جبرياً، على اعتبار اعتناقهم لمذهب الجبر ليستندوا إليه في أمر خلافتهم. إنما كان تفسيراً متسرّعاً. وان القرائن التي تم تقديمها كدليل على ذلك لم تكن كافية للخروج باستنتاج بهذا الحجم، كون لغة الخطاب التي اعتمد عليها لإثبات ذلك، كانت لغة واحدة في أدب الأمويين وأدب معارضيهم على السواء؛ فإذا كانت كافية في حالة الأمويين، فهي كافية إذن، لدمغ كل الأحزاب السياسيّة آنذاك بدمغة الجبريَّة. مما يجعل الأمر ينطبق على كافة الأطراف بلا خلاف في حال اثباته. الراميني، أدب الأمويين بين دعوى جبرية الخليفة وقداسته، ص٢٣.

(٢) الدوري، الديمقراطية في فلسفة الحُكم العربي، ص١٩٥؛ يونس، أضواء على نشأة القدريَّة، ص٤، ١٠.

ثانياُ : الخطاب السياسي اتجاه القاعدة :

مثلت سياسة عبد الملك في تعامله مع القاعدة جانباً من شخصيته [١]، فكان يراوح ما بين الترهيب والترغيب في خطبه السياسية لأهل مكة والمدينة ودمشق والكوفة، إذ يحثهم على الطاعة، ويبيّن لهم منافعها، ويخوفهم من العصيان، ويبغض إليهم ويلاته، فكان مستوى التجبّر ومنسوبه لدى عبد الملك عالياً بالغاً أعلى درجات القسوة والتخويف [٢]. حيث يأمر أهل دمشق بالصمت، في أولى خطبه المنسوبة له، التي ألقاها بعد وفاة والده مروان، إذ نراه يهدد كل مَنْ ينصح لهُ أو ينتقده منهم بالموت [٣].

وكرر ذلك في موقفٍ آخر بعد حادثة عمرو بن سعيد الأشدق وقتله [٤]، حيث سعى عبد الملك لأن يُظهر الأمر بأنَّه لم يكن قراراً شخصياً ينفرد به، بل إنه موقف عموم الأسرة المروانيّة ومَنْ والاهم من رؤوس القبائل وزعمائها، حين حرص على أن يكون المروانيون جميعهم حضوراً في قصره ساعة تنفيذ عملية القتل [٥].

ومن خطبة له، عندما قَدِمَ الكوفة بعد القضاء على مصعب بن الزبير [٦]، حيث طلب من أهلها أن يعترفوا بـِ " خلافته "، ويستسلموا لِحكمه، وأرهبهم من عواقب الخروج عليه [٧]. وذات المعاني السابقة رددها، حين وفد إلى مكة حاجاً عام (٧٥هـ / ٦٩٥م) ، إذ أمر أهلها أن يعربوا عن نقدهم لسياسته، وتذمرهم منها، وإنكارهم لها، غير أنه حذرهم من العصيان، وأنذرهم من التمرّد، وأرهبهم بالعذاب الشديد، وأن الموت عقاب يطال كل مَن يحاول أن يثور عليه، أو يُزاحمهُ سلطان الحُكم [٨].

---

(١) عثمان، صفات خلفاء بني أمية الخِلْقية والخُلُقية وأثرها في السياسة الداخلية، ص٦٠٠.
(٢) عطوان، الأمويون والخلافة، ص١٢٠.
(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص١٥.
(٤) الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٧، ص١٧٥؛ العسكري، الأوائل، ص٢٤٨؛ الحوفي، أدب السياسة في العصر الأموي، ص٣٠٣.
(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٤، ص٢٦٧.
(٦) ابن العوّام القرشي الأسدي، ولاه أخوه عبد الله بن الزبير على العراق، حارب المختار وقضى عليه، كان سفّاكاً للدماء، تولى أمرة العراق لخمسة أعوام، قتله عبد الملك سنة ٧٢هـ / ٦٩١م عند دير الجاثليق. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص١٣٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٥، ص١٢٧.
(٧) البلاذري، المصدر نفسه، ج٥، ص٣٥٢.
(٨) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص٣٤٩؛ العسكري، المصدر نفسه، ص٢٥٠؛ ابن الأثير، المصدر نفسه، مج٤، ص٣٩١.

ونصح عبد الملك لأهل المدينة في خُطبْ أخرى، بأن يعاودوا حياتهم الأولى، وأن يسمعوا له ويطيعوه، ونهاهم عن الاشتغال بالسياسة، وردعهم عن التعلّق بالأحاديث التي تطعن عليه وعلى أهل بيته، وتبشر بانهيار سلطانهم وسقوطه [١].

ومن سياسة عبد الملك مع القاعدة القبلية، حين وسِدَتْ إليه مقاليد الأمور، أن سَلَكَ طريقاً وسطاً في ميدان العصبيات، فأبتعد قدر ما يستطيع عن الانحياز لطرفٍ على حساب الآخر، حيث نراه يترك التعصب للقبائل اليمانية وقرّب القبائل القيسية بقدر ما كان يقرب اليمانية، فأدت هذه السياسة إلى التخفيف من حدة السيطرة التي كانت قد وصلت لها اليمانية في السطوة والنفوذ السياسي [٢]. وعبّر أحد الشعراء [٣] عن هذا الحال الجديد بقوله :

فلولا أمير المؤمنين لأصبحت . . . قُضاعَةُ أرْباباً وقَيْس عبيدُها

وأفضى هذا الموقف إلى ترك القيسية سياسة مُقاومة عبد الملك، والسعي للحصول على مكاسب جديدة، كون الأمر خيراً لهم، خصوصاً بعد أن أحسن إليهم عبد الملك، وقرّب رجالهم، ووسّدهم من الأمور ما وسّد خصومهم من اليمانيّة، فأصبح زفر بن الحارث الكلابي [٤] وأبناؤه من شخصيات البلاط الأموي في دمشق، ولهم مكانتهم المرموقة [٥].

وبهذا ظهر عبد الملك أنه لا يقل حنكة عمَّن سبقه، ويعرف كيف يؤلف بين الخصوم؛ ليجعل منهم سنداً للدولة المتمثلة بشخصه، وأظهر اعتماده الواضح على أهل الشام؛ كونهم ساعدوا على توطيد المُلك لبني أميّة، ووقوع العاصمة بين ظهرانيهم؛ ومن ثمَّ فإنَّ مِنْ مصلحة أهل الشام : بقبائلها القيسية واليمانية، في مساعدة بني أميّة؛ لأن التخادم بالتقابل جرى بين الطرفين بشكلٍ جلي، فكانت لهم السيادة، وعليهم تم الاعتماد، وشغلوا وظائف الإدارة والجيش العليا، وغير ذلك من

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، مج٥، ص١٨٠ ـ ١٨١.
(٢) عاقل، خلافة بني أميّة، ص١٥٩.
(٣) عويج الطائي. الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٥، ص٥٤٤.
(٤) أبو الهذيل بن عمرو بن معاوية الكلابي، عُدَّ من التابعين، من أهل الجزيرة، كان كبير قيس في وقته، شهد حرب الجمل، وشهد صفين مع معاوية، كان أميراً على أهل قنسرين، كذلك شهد وقعة مرج راهط مع الضحّاك بن قيس الفهري، إذ مالَ إلى جانب عبد الله بن الزبير، وتحصَّن من الأمويين بعد تلك الموقعة بحصن قرقيسيا، وافاه الأجل زمن حُكم عبد الملك بن مروان، إذ توفي بعد ٧٠هـ / ٦٨٩م. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٩، ص٣٤ ـ ٤٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٤، ص١١٣ ـ ١١٥.
(٥) فلهوزن، تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ص٢٠٤ـ ٢٠٥.

الأمور كالنسب والمصاهرات، مما ولّد لدى أهل الشام روح الجماعة، وأن مصالحهم واحدة، بخلاف ما كانت عليه الحال في باقي أمصار الدولة، حيث الضعضعة وغياب الاستقرار النسبي في الجبهة الداخلية، والانقسام الذي دفع وبشكل غير مباشر إلى استمرار نفوذ الشام وسطوتها [١]. ومن الطبيعي فإن سياسة عبد الملك في استرضاء القيسيين، قد أغضبت جانباً من أحلافه اليمانية وخصوصاً الكلبيين، إلا أنه وبما يمتلك من حنكة ودهاء، أشعرهم بأنهم لا يزالون موضع اهتمامه وتقديره، ولا يقلون في دورهم وتأثيرهم عن القيسيين؛ وبذلك تمكن من إحلال التوازن بين عنصرين من قاعدته الرئيسة في الشام [٢].

فقد صهرت ـ نوعاً ما ـ سياسة التوازن والمساواة التي انتهجها عبد الملك بن مروان تجاه القيسيّة واليمانيّة، والتقليل من سياسة الانحياز السلبي لأحد الطرفين ضد الآخر، في الفتن التي نشبت بينهما خلال عهده المبكّر، ومحاولاته للتوفيق بينهما، والحد من الصراعات القبلية [٣]. ويؤكد ذلك قيامه بتسليم سعيد بن أبان بن عيينة بن حصن وحلحلة بن قيس بن سيار الفزاريان إلى قبيلة كلب للثأر منهما، انتقاماً لإشعال نار الفتنة بين قيس وكلب [٤]. ورغم ذلك ظلت اليمانية تشعر بغصة من عبد الملك، إلا أنه لم يتحرّج حينما أمر بسجن عدد من كبار وجوه القبائل اليمانية، لقاء قتل غلام من قيس، فزاد ذلك من حنق اليمانية عليه [٥]، غير أن سلوك وسياسة القيادة الحاكمة والمُتمثلة بشخص عبد الملك، قد أجادت في التوفيق بين الخصوم واقناعهم بأن الدولة مصدر ضامن للجميع.

ومن أجل اعلاء المكانة السياسية لأهل الشام، سعى عبد الملك لإعلاء شأن بلادهم من الناحية الدينية. وعلى ما يبدو إن الذي دفعه لسلك هذا الطريق، اعتصام عبد الله بن الزبير ووجوده في مكة، وسيطرته عليها مدة زادت على عشرة أعوام، مما أعاق سفر الحجيج من أهل الشام لمكة، أثناء مواسم الحج [٦]. وربما قصد عبد الملك من عدم تيسير سفر هؤلاء الحجاج، لِقطع الطريق على ابن الزبير في التأثير عليهم عِبر دعواه الخاصة بالخلافة. ومن أجل هذا كله، نرى عبد الملك يشجع الناس على زيارة بيت المقدس في فلسطين إلى جانب مكة [٧]، كذلك عمل على تحسين

(١) عاقل، خلافة بني أميّة، ص١٦٠.
(٢) خماش، الإدارة في العصر الأموي، ص١١٣؛ فلهوزن، تاريخ الدولة العربيّة، ص٢٠٥.
(٣) الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٦، ص١٤٧.
(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٨، ص٣٠٨.
(٥) صديق، أثر القبائل اليمنية في الشام في العصر الأموي، ص١٤٢.
(٦) عاقل، المرجع نفسه، ص١٦١.
(٧) فلهوزن، المرجع نفسه، ص٢٠٦.

معمار مدينة القدس وتنظيمه، وأمر ببناء قبَّة الصخرة، ودلالة ذلك شريط الكتابة القائم داخل القبة الذي يشير إلى عام (٧٢هـ / ٦٩٠م) كسنة لتشييدها [١].

ومن الملاحظ في هذه الخطوة، أنها جاءت لتعزز الرؤية الجديدة لعبد الملك، الذي وصف بأنه أمسى أقل اهتماماً بالدين، خصوصاً بعد تولّيه الحُكم، حيث انصرف همه لتثبيت سلطانه، إلى الدرجة التي سمح معها لقائد جيشه الحجّاج بن يوسف الثقفي برمي الكعبة بالمنجنيق في سبيل اخضاع ابن الزبير الموصوف بالمُتَمَرّد [٢]؛ وهذا ما يُظهِر مساحة التواصل في تركيز إيديولوجيا الطاعة التي سعى لها عبد الملك بن مروان وأعوانه وقادة جيشه مع القاعدة من أهل الشام. فقد أظهر تشجيع الحجّاج مقاتلة الشام على هذه الخطوة، معتبراً إياها نوعاً من التعظّيم لأوامر الخلافة وطاعة الخلفاء [٣]. مُبيناً للمقاتلة أهمية الطاعة الواجب تقديمها من قِبَلَهم، كونها تحمي الأمة من الفتنة!. وعلى هذا الأساس فإنّ طاعة خليفة دمشق واجبة على رعيته [٤].

إنَّ بعضاً يُحاول التخفيف من حِدّة هذا التناشُز بين الناحية السياسية في شخصيّة عبد الملك وخطاباته، وبين الناحية الدينية بعد أن تسنم مقاليد الحُكْمْ، بأنه لم يصل للدرجة التي وصل إليها يزيد بن معاوية من استثارت الناس، ومُخالفة النواميس الدينيّة. ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن عبد الملك كان أبصر لمصالحه كرجل دولة، ولتثبيت سلطانه كان عليه مدارات الناس في بعض الأمور، فحين أراد أن يضم كنيسة يوحنا المعمدان إلى المسجد في دمشق، عَدَلَ عن قراره هذا، إرضاءً لرعاياه من النصارى [٥].

كان احتياج عبد الملك إلى دعم الشاميين له واضحاً جداً، خصوصاً أمام ابن الزبير في العراق والحجاز. فحجم الأعطيات التي كان يطلبها أبناء تلك القبائل الداعمة للبيت المرواني وحُكمه في دمشق، قد بلغ حدوداً عالية، مع ذلك حصلوا على ما طلبوه، لقاء خدماتهم خارج إقليم الشام [٦]. وبمرور الوقت اتسعت هذه

(١) فلهوزن، تاريخ الدولة العربيّة، ص٢٠٧.
(٢) عاقل، خلافة بني أميّة، ص١٦٢.
(٣)البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص٣٦٣؛ بن حسين، الدولة الأمويّة ومقوّماتها الإيديولوجيّة والاجتماعيّة، ص٣١٦.
(٤) بن حسين، المرجع نفسه، ص٣١٦.
(٥) عاقل، المرجع نفسه، ص١٦٢.
(٦) الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٦، ص١٦٤.

الممارسة على سبيل التشجيع والمُكافأة للقيام بأعمال مماثلة، كما في صراع عبد الملك مع الخوارج، فكان أكثر الشاميين يصلهم عطاءً منتظماً في أواخر عهده [١].

وأيّاً ما تكن قيمة الروايات ومقدار صحتها بخصوص خُطَبْ عبد الملك، وحقيقة تأريخيتها، فالواضح أن هناك عناصراً جديدة قد تشكّلت في رؤية السلطة والذات والآخر، وأنها تداخلت مع عالم السياسة والأيديولوجيا لعبد الملك خصوصاُ، ولبني مروان عموماً؛ لذلك فإن إصراره على القول بأن القوة أساس سلطته، بل وسياسته، له ما يبرره من مجريات الأحداث، وبالذات ما يتعلق منها بالعراق والحجاز [٢].

لم تكن سياسة القوة لوحدها أسلوباً مُتبعاً في الخطاب مع القاعدة المناصرة والمعارضة لعبد الملك على السواء، حيث اتجه كما تم التنويه من قبل، صوب سياسة بذل المال للخصوم قبل غيرهم. فقد أستطاع عبد الملك من إغراء مجموعة من قواد مصعب بن الزبير، عند وصوله بالجيش إلى مسكن [٣]، وأخذ يكاتب أهل العراق [٤]، أمثال : حجار بن أبجر [٥]، وعتاب بن ورقاء [٦]، وقطن بن عبد الله

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص٣٦٨؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مج٣، ص١٠٨، ١١٦؛ السامرائي، الدولة العربية الإسلامية في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان ٦٥ ـ ٨٦هـ / ٦٨٤ ـ ٧٠٥م ـ دراسة في إصلاحاتها المالية وتنظيماتها الإدارية، ص١٧١.

(٢) السيد، الجماعة والمجتمع والدولة ـ سلطة الإيديولوجيا في المجال السياسي، ص٨٠ ـ ٨١.

(٣) موضع قرب نهر الدجيل، عنده يقع دير الجاثليق، من أرض العراق. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص٥٠٣، مج٥، ص١٢٧.

(٤) مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص٢٣٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٢٥.

(٥) ابن جابر العجلي، توفي والده قبل استشهاد الإمام علي (عليه السلام) بوقت قصير وهو على النصرانية، وكان حجار ممن شهد على كتاب ابن زياد في حق حجر بن عدي الكندي سنة ٥١هـ / ٦٧٠م، وكاتب الإمام الحسين (عليه السلام) في طلب القدوم إلى الكوفة سنة ٦٠هـ / ٦٧٩م، وكان ممن خاطبهم الحسين (عليه السلام) صراحةً في موقف كربلاء سنة ٦١هـ / ٦٨٠م ملقياً عليهم الحجّة، طارده المختار الثقفي فيمن طارد من الذين اشتركوا بمقتل الحسين (عليه السلام) إلا أنه تمكن من الفرار واللحاق بمصعب بن الزبير، وفي سنة ٧١هـ / ٦٨٩م كاتب عبد الملك المروانية من أهل العراق، فأجابوه بقبول التخلي عن مصعب بن الزبير، لقاء ولاية أصبهان، وكان ابن أبجر منهم، بعد أن خذل مصعباً في موقف اللقاء. الطبري، المصدر نفسه، ج٥، ص١٤٥، ٢٧٠، ٣٥٣، ٤٢٥، ج٦، ص١٣٤، ١٥٦، ١٥٨؛ ابن حجر، الاصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص١٤٣.

(٦) ابن الحارث بن عمير التميمي، عيّنه مصعب على ولاية أصفهان، ثم أرسله لقتال الخوارج في الري، فقاتلهم ونهب المدينة، ثم تحوّل ليصبح من مؤيدي الدولة الأموية، اسند إليه الحجاج قتال الخوارج، قُتِلَ سنة ٧٧هـ / ٦٩٥م. أبو نعيم الأصبهاني، تاريخ أصبهان، ج٢، ص١١٤؛ الذهبي، العبر في خبر مَن غَبر، ج١، ص٦٤.

الحارثي [١]، وزفر بن قيس، ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني [٢]، ومحمد بن عمير [٣]، وقد تضمنت تلك الكتب وعوداً بالأموال والعطايا، مقابل التخلي عن مصعب بن الزبير حينما تقع المعركة، وأجابوه بالقبول لقاء شروط اشترطوها، منها تمكينهم من ولاية أصبهان [٤]، فأستجاب لمطلبهم [٥]. وقد دوّن بعض المؤرخين أسماء مَنْ تخلوا عن مصعب في معركته الأخيرة، التي وصفت بالحاسمة، لسيطرة عبد الملك بعدها على العراق وانتزاعه من أيدي ابن الزبير [٦].

(١) ولاه عبد الملك على الكوفة، بعدما أستولى على العراق، على أثر مقتل مصعب بن الزبير، لم تدم مدة ولايته سوى أربعون يوماً ثم عزله، فأستعمل عليها أخاه بشر بن مروان. الطبري، تاريخ الرُسُول والملوك، ج٦، ص١٦٤؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، مج١٠، ص٢٥٥.

(٢) من أشراف الكوفة الناقمين على المختار الثقفي، اشترك في حادثة كربلاء، سعى المختار للقصاص منه، فرَّ والتحق بمصعب بن الزبير بالبصرة، خرج قاصداً الكوفة مع جيش ابن الزبير، طالب مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي بقتل أسرى جيش المختار في الكوفة والبالغ عددهم ستة آلاف رجل صبراً، انضم إلى جيش مصعب بن الزبير في مواجهة جيش الشام، كاتبه عبد الملك بن مروان فيمن كاتب من أهل العراق، فخذل مصعب حين المواجهة، وانهزم من المعركة. الطبري، المصدر نفسه، ج٦، ص١٠٩ـ١١٠، ١١٦، ١٥٦ـ١٥٨، ١٩٧ـ١٩٨، ٢٦٣ـ٢٦٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٦٩، ١٧١.

(٣) ابن عطارد بن حاجب التميمي، من أجواد أهل الكوفة وأشرافهم، له أخبار مع الحجاج وبشر بن مروان، كان من أمراء الجند في جيش الإمام علي (عليه السلام) في معركة صفين سنة ٣٧هـ / ٦٥٧م، كما وفد على عبد الملك بن مروان، توفي ٨٥هـ / ٧٠٤م. الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج٢، ص١٠٠٣؛ ابن حجر، لسان الميزان، ج٧، ص٤٢٣.

(٤) مدينة عظيمة ومشهورة من مدن بلاد فارس، تقع في نواحي الجبل، وقيل في سبب تسميتها أمور، منها أن أسم أصبهان مركّب من : أصْب، وتعني بالفارسية البلد، وكلمة هان : تعني الفارس، فكأنه يُقال : بلاد الفُرسان. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج١، ص٢٠٦ ـ ٢٠٧.

(٥) ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٤، ص٣٢٥.

(٦) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٤، ص٤١٢ـ٤١٣؛ الطبري، المصدر نفسه، ج٦، ص١٥٦.

وكان عبد الملك قد أقدم على مكاتبة إبراهيم بن مالك الأشتر [١]، الذي تجحفل مع جيش مصعب بن الزبير، عقب مقتل المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي [٢] (٦٧هـ / ٦٧٦م)، وقد عرض عليه ولاية العراق [٣]، إلا أن إبراهيم رفض الأمر قائلاً : ما كنت لأتقلد الغدر والخيانة [٤]، غير أن عتاب بن ورقاء التميمي، أحد قادة مصعب قد انسحب من جيش إبراهيم، مما أفقد الجيش توازنه وأربك صفوفه، وأفضى الأمر بعد ذلك إلى مقتل مصعب سنة (٧٢هـ / ٦٩١م)، عقب مقتل إبراهيم بن مالك.

وجرى ذلك بعد أن أفشى إبراهيم سر المراسلات التي كان قد بعثها عبد الملك إلى أهل العراق، حين أقبل بكتاب عبد الملك مختوماً لم يقرأه، فقرأه مصعب، فإذا هو يدعوه إلى نفسه، ويسعى لأن يغريه بولاية العراق، فقال لمصعب : والله ما كان أحد آيَس منه مني، وقد كتب إلى أصحابك كلَّهم بمثل ما كتب إليَّ، فأطعني فيهم وأضرب أعناقهم [٥]. ولهذا الموقف دلالاته، كما لكل ما سبقه من المواقف والإشارات، الدالة على طبيعة سياسة عبد الملك في استدراج الخصوم واستمالتهم والقواعد التي تتبعهم، ليكونوا طوع أمره في تنفيذ خطواته الرامية إلى تثبيت أركان حكمه، وأسقاط الخصوم.

ومن أمثلة ذلك، محاولته استمالة الأحنف بن قيس [٦] زعيم قبيلة تميم في البصرة، وذلك بمنحه ولاية الشام، إلا أنَّه رفض العرض هذا [٧]، فكان عبد الملك

---

(١) قائد عسكري، خرج للثأر من قتلت الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) بعد حادثة كربلاء ٦١هـ / ٦٨٠م، قَتَلَ عبيد الله بن زياد في معركة الخازر، حارب بعد ذلك الأمويين إلى جانب مصعب بن الزبير حتى لم يبقَ سواهما، بذل له الأمان والولاية عبد الملك بن مروان، على أيّ بلد شاء، فرفض احتراماً للوفاء والعهد، قُتِلَ سنة ٧١هـ / ٦٩٠م، ودُفِنَ بالقرب من سامراء. الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٥، ص٢٦١؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، مج٢، ص٤٨٦.

(٢) كان والده صحابياً، ولد المختار عام الهجرة، خرج بطلب الثأر للإمام الحسين بن علي (عليه السلام)، حضي بتأييد الكثير من شيعة الكوفة فغلب عليها، قتل أشهر من أشترك بواقعة كربلاء، قتله مصعب بن الزبير في الكوفة سنة ٦٧هـ / ٦٨٧م، وكانت إمارته عليها عاماً ونصف العام. ابن قتيبة، المعارف، ص٣٥٦؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢٥، ص٢٠٩ ـ ٢١٠.

(٣) الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٥، ص٧؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص١٥٦.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف،ج٤، ص٤٠٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٢٥.

(٥) البلاذري، المصدر نفسه، ج٤، ص٤١٣؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مج٣، ص١٠٥ ـ ١٠٦؛ مسكويه، المصدر نفسه، ج٢، ص١٥٦ ـ ١٥٧.

(٦) من فصحاء العرب ودهاتهم، عُرف بالحلم، شهد عمليات فتح خراسان، كان صديقاً لأمير العراق مصعب بن الزبير، توفي عام ٧٢هـ / ٦٩١م. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص٩٣.

(٧) البلاذري، المصدر نفسه، ج٤، ص٤٠٨.

يقول : السياسة، هيبةُ الخاصّةِ مع صدقِ مودَّتِها، واقتيادُ قلوبِ العامةِ بالإنصافِ لها، واحتمالُ هَفَواتِ الصنائع [١].

هذا وقد عرض عبد الملك على زفر بن الحارث، حاكم قرقيسيا [٢]، أن يمنحه مالاً شريطة أن يوقف القتال [٣]. ومنح كذلك عبيد الله بن الحر الجعفي، أموالاً لشن الغارات على جيش مصعب في العراق [٤]، فقد قال ابن الحر لعبد الملك : إنّي أتيتك لتوجِّه معي جنداً إلى مصعب لأحاربه، فأمر له عبد الملك بمائة ألف درهم، ولأصحابه بمالٍ فرّقه عليهم [٥].

واتخذ عبد الملك من المناورات والمهادنات أسلوباً مع بعض الخصوم، كما فعل مع نجدة بن عامر الحنفي [٦]، أحد زعماء الخوارج في اليمامة [٧]، المقتول على يد قوة عسكرية أرسلها عبد الملك عام (٧٣هـ / ٦٩٢م)، بعد أن وعده بتوليته عليها، قبالة الدخول في طاعته، ولمّا غاب المراد عن التحقق، أرسل له بجيش لإضعاف حركته ومن ثم القضاء عليه [٨].

ومن سياسة عبد الملك في توسعة القاعدة التي تؤيده، نجده قد استعمل الهبات وزيادة العطاء في سبيل كسب ولاء الناس وتأييدهم أو بهدف استمالة سكان الأمصار التي يتسيّد عليها بعض المعارضين، ويبرز ذلك بشكلٍ جلي، في مرحلة الصراع الذي دار بينه وبين عبد الله بن الزبير، حيث كان لسلاح العطايا والأموال

---

(١) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١، ص١٠؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، مج١، ص٢٩٩؛ ابن منقذ، لباب الآداب، ص٣٥.

(٢) بلدة على نهر الخابور، تقع بالقرب من رحبة مالك بن طوق، يقع عندها مصب الخابور في نهر الفرات، فهي في مثلث بين الخابور والفرات، وقيل سميت نسبة إلى قرقيسيا بن طهمورث الملك الساساني، فتحها المسلمون صلحاً عام ١٩هـ / ٦٤٠م. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٤، ص٣٢٨ ـ ٣٢٩.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٤، ص٤٠٨.

(٤) البلاذري، المصدر نفسه، ج٥، ص١٢٦.

(٥) البلاذري، المصدر نفسه، ج٥، ص١٢٣.

(٦) شاعر من الخوارج، كان مع نافع بن الأزرق، ففارقه لإحداثه في مذهبه وسار إلى اليمامة، فلما قدم مصعب سنة ٦٩هـ / ٦٨٨م، أرسل جيشاً فهزمه نجدة، وبلغ نفوذه أن بايعه أهل صنعا، وسيطرة على البحرين، واتخذ من القطيف قاعدة له ولأنصاره، قضى عليه عبد الملك بجيش أرسله عام ٧٣هـ / ٦٩٢م. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٠١.

(٧) تقع في الإقليم الثاني، بينها وبين البحرين مسيرة عشرة أيام، وتحسب على نجد وقاعدتها حَجْر، وكانت من أحسن البلاد أرضاً، وأكثرها خيراً ونخلاً. ياقوت الحموي، مج٥، ص٤٤٢.

(٨) الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ص٩٢؛ عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص٩٠.

دور خطير في جذب القلوب، وأغراء النفوس، خصوصاً تلك التي لا تعرف للعهود والمواثيق الصدق والوفاء، حيث كان هذا جُزءاً من الخطاب السياسي الذي انتهجه عبد الملك مع معارضيه، فهذا زفر بن الحارث الموالي لأبن الزبير، الممتنع في حصن قرقيسيا مع قبائل قيس المتعصبة له، إذ عزم عبد الملك أن يزيل الحصن ومن احتمى به؛ ليكون الطريق مفتوحاً أمامه في مواجهة مصعب بن الزبير في العراق، وبعد حصار دام لأربعين يوماً، أرسل عبد الملك كتاباً إلى زفر بن الحارث يدعوه إلى الطاعة ولزوم الجماعة [١]. حيث أُرسِلَ الكتاب بيد رجاء بن حيوة الكندي [٢]، والحجاج بن يوسف الثقفي، وتمكن الهذيل بن زفر بن الحارث [٣] من اقناع والده على قبول طاعة عبد الملك، الذي أوعز بدوره إلى أخيه محمد بن مروان بأن يعرض الأمان على زفر وولده، فوافق زفر على هذا الصلح، شريطة أن لا يُقاتل إلى جانب عبد الملك حتى يرحل عبد الله بن الزبير عن عالم الدُنيا، وأن يُمنح مالاً يُقسّمه بين أصحابه [٤]، وختمت تلك المُراسلات التي وقعت بين الطرفين بزواج الرباب ابنة زفر بن الحارث، بمسلمة بن عبد الملك [٥].

ومن أساليب النهج السياسي في خطاب عبد الملك مع القاعدة المجتمعية، ذلك الأسلوب الخاص بإعلاء الانتماء القرشي [٦]، بوصفه نوعاً من الحصانة القبلية له ولقومه؛ ذلك لِما لقريش ـ قبيلة الحُكّام ـ من منزلة وشرف بين عموم قبائل العرب. ويتضح هذا الأمر أو السلوك السياسي لعبد الملك عن طريق قراره الخاص بمحاربة مصعب بن الزبير بنفسه : لأنّه لا يقوم بهذا الأمر إلّا قرشيّ له رأيْ [٧]. بحكم وضعها القانوني الواقع فوق القبائل، ولأنها خارج إطار المنافسة والتزاحم [٨].

حيث أكّد عبد الملك بذلك على شرعيّته التاريخيّة والقانونيّة لانتمائه لقريش، لكنّ هذه الإيديولوجيا كانت غير موفقة تماماً؛ لأنّها تبدو ضعيفة وهشّة أمام الشرعيّة

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٤، ص٣٨٣.
(٢) أبو المقدام الشامي، سكن فلسطين، وقيل سكن الأردن، كان من عُباد أهل الشام وزهادهم، وعدّ من رعيل الفقهاء، توفي عام ١١٢هـ / ٧٣٠م. ابن حبان، الثقات، ج٤، ص٢٣٧؛ أبو الرب، رجاء بن حيوة الكندي ودوره في الحياة العامة في الدولة الأموية، ص٢٦٢.
(٣) شاعر من الرؤساء والفصحاء في العصر المرواني، دخل على يزيد بن المهلب يستعينه على ديّات تحمّلها عن بعض الناس، قاتل يزيد بن المهلب يوم العقر، توفي سنة ١١٦هـ / ٧٣٤م. المرزباني، معجم الشعراء، ص٥٢٩.
(٤) البلاذري، المصدر نفسه، ج٤، ص٣٨٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٤٠.
(٥) البلاذري، المصدر نفسه، ج٤، ص٣٨٥.
(٦) فلهوزن، تاريخ الدولة العربية، ص٢٠٤.
(٧) الطبري، تاريخ الرُسُل والملك، ج٦، ص١٥٧.
(٨) فلهوزن، المرجع نفسه، ص٢٠٤.

التاريخيّة لمصعب بن الزبير ـ حفيد عمة الرسول (ﷺ) صفية بنت عبد المطلب ـ وابن الصّحابي الزبير بن العوّام [١].

وتعد سمة التحذير من مخاطر العواقب نمطاً من أنماط الخطاب السياسي الذي مارسه عبد الملك بن مروان مع عموم الناس، حيث نقرأ في خطبته التي ألقاها في مدينة الكوفة، التي دخلها عقب مقتل مصعب بن الزبير سنة ٧٢هـ / ٦٩١م، أسلوباً مبنياً على تبيان حالة الفرق بين ميزات الحرب والسلم بالنسبة لعموم الناس، حيث قال : أيها الناس إن الحرب صعبة مُرَّة، وإن السِّلم أمْنٌ ومَسَرَّة [٢]، كذلك أوضح مركزه العام في إدارة الحرب ومعرفته بها وخبرته منها، دلالة على إمكانية إحراز النصر بما له من بصر وبصيرة في تحريك خيوطها لصالحه، موضحاً ذلك بقوله : وقد زبنتنا الحرب وزبنّاها، فعرفناها وألفناها، فنحن بنوها وهي أمنّا [٣]، وأمّا بخصوص كيف يتعامل معهم، بعد إلقائه الحجة عليهم، يذكر : ولا أظنكم تزدادون بعد الموعظة إلّا شراً، ولن نزداد بعد الإعذار إليكم والحجة عليكم إلّا عقوبة، فمن شاء منكم أن يعودُ لمثلها فليَعُدْ [٤]، وكأنه يراوح ما بين الترغيب والترهيب في شكل الخطاب السياسي الذي اتبعه؛ وهذا عنه ليس بغريب، فالمقدرة الأدبية والبلاغية في الخطابة، مشهودٌ له بها [٥]، وجاءت خطبته هادئة لينة لا تحمل لغة الوعيد والقسوة؛ كون دخوله العراق جاء بعد مكاتبته لأهله الذين تخلوا عن مصعب، فلم يكن دخوله قهراً وعنوةً، حيث يمكن القول بأنّ دخول العراق لم يكن بسيوف أهل الشام، بقدر ما كان برضى أهل العراق أنفسهم، وبشكلٍ خاص من زعماء تلك القبائل التي استهجنت أفعال مُصعب، وإيغاله بالدماء [٦].

(١) بن حسين، الدولة الأمويّة ومقوّماتها الإيديولوجيّة والاجتماعيّة، ص٣٣٢.
(٢) أبو علي القالي، الأمالي، ج١، ص١١.
(٣) أبو علي القالي، المصدر نفسه، ج١، ص١١.
(٤) أبو علي القالي، المصدر نفسه، ج١، ص١٢.
(٥) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص١٢٢ ـ ١٢٣.
(٦) جفّال، الخليفة عبد الملك بن مروان الناقد الأديب، ص٢٤٢.

ثالثاً : القاعدة وموقفها من المشروع السياسي للقيادة :

لا ريب بأن مواقف القاعدة بكلا شقيها : السياسي والاجتماعي، ومطالبها من عبد الملك بن مروان ومشروعه السياسي، قد جاءت بناءً على مشتركات المصالح ما بينها وبين القيادة بشكلٍ عام، تلك القيادة التي أخذت بتثبيت أركان سلطتها بعد أن خاضت جملة من المواجهات مع مختلف أشكال الخصوم، حتى بلغت مرحلة إرساء قواعد حكمها القانونية وبسطها على جميع أراضي الدولة [١].

فعلى الصعيد العسكري / الحربي، نرى استمرار روح بن زنباع الجذامي، سيد جذام وأمير فلسطين [٢]، في تأدية دوره؛ ليكون من أبرز الزعماء الشاميين تأييداً للخلافة الأموية، حيث شارك عبد الملك في حروبه لإعادة لملمت أطراف الدولة وللقضاء على حركة ابن الزبير ومؤيديها، لهذا نجده أحد الذين ساروا مع عبد الملك لحصار وقتال زفر بن الحارث الكلابي في قرقيسيا [٣]، وكان ضمن الجيش الأموي المتجه صوب العراق بقيادة عبد الملك، لحرب مصعب بن الزبير والي العراق الزبيري [٤]. ولم يقتصر دور روح بن زنباع على المشاركة في الحملات العسكرية التي كان يسيّرها عبد الملك، وإنما تطور حجم تأثيره ليصبح من أهم مُستشاريه [٥]، وتعدى ذلك ليصبح بمثابة الوزير الذي لا يفارق زعيمه [٦]. ومن الواضح أن دور ابن زنباع ما كان ليتعاظم لولا حجم الموقف الذي مثله عن طريق القاعدة القبلية التي يستند عليها في الشام [٧].

ومن العناصر اليمانية التي ضمنت ولاء أبناء قبائلها للقيادة المروانية قبيلة كندة، حيث كان حضور الكنديين إلى جانب عبد الملك هاماً، فغلبت العناصر اليمانية على بطانته التي تضمّنت زعماء من ذوي النفوذ القبلي البارز، أمثال : رجاء بن حَيَوة الكندي، الذي أرسل إلى زفر بن الحارث يدعوه إلى الطاعة [٨]. والسكوني الحصين بن نمير المعدود على كبار قواد الجيش الأموي الذي سار مع عُبيد الله بن

---

(١) دونر، تكوّن الدولة الإسلامية، ص٨٥.
(٢) الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج١، ص٩٨.
(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٤، ص٣٨٨؛ العزام، روح بن زنباع الجذامي ودوره في دعم الخلافة الأموية، ص٨٨٨.
(٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٠، ص٢٦٢.
(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٩، ص٦٥.
(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٢٥١؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج١، ص٩٨.
(٧) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص٢٨؛ القضاعي، تاريخ القضاعي، ص٣٤٨؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٦، ص٢٥١.
(٨) البلاذري، المصدر نفسه، ج٤، ص٣٧٦.

زياد لقتال التوّابين والمختار الثقفي، ولقي حتفه في تلك المواجهة أمام جيش المختار بقيادة إبراهيم بن الأشتر في معركة الخازر [١]. ومن السكاسك [٢] تخرّج عدد من القادة الذين تسنّموا قيادة شرطة عبد الملك بن مروان، أمثال : عبد الله بن هانئ الأودي، ويزيد بن أبي كبشة، ويزيد بن بشر السكسكي [٣].

وبالرجوع للتفتيش عن قواعد أخرى قدمت مواقف مساندة لعبد الملك وخلافته عملاً بنظرية تشابك المصالح، نرى أن أول من دعا لعبد الملك بن مروان من قبيلة تميم كان صعصعة بن معاوية، عم الأحنف وعبد العزيز بن بشر التميمي، مع جماعة من بكر بن وائل وغيرهم، إلى جانب خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد، فوقع صِدام بين جُند مُصعب بن الزبير وبينهم، وأستمر قرابة أربعة وعشرون يوماً، ذلك في منطقة جفرة نافع بن الحارث، فأنهزم بنو تميم ومن شايعهم في أثناء تلك المواجهة [٤].

ويصور لنا البلاذري بروايته عن الأحنف، وبدقة فائقة توجهات قبيلة تميم، ذلك بالقول : أن بني تميم خيل صعاب، تضطرب على سائسها ساعة ثم تتبعه [٥]. ولهذه الرواية دلالة واضحة لسبب تباين توجهات قبيلة تميم ومواقفها، وتأييدها للفريق هذا أو ذاك، غير أنها في النهاية تركن إلى الطرف الغالب منصاعةً له وبكامل إرادتها.

ففي سنة (٧١هـ/٦٩٠م)، نشب القتال بين عبد الملك بن مروان من جهة، ومصعب بن الزبير والي العراق لأخيه عبد الله بن الزبير من جهة أخرى، فكان إبراهيم بن الأشتر قائداً لجيش مصعب، تحت زعامة عتاب بن الورقاء الرياحي التميمي، إلا أن الأخير أنهزم بالناس [٦]، فكانت نتيجة ذلك الصِدام لصالح عبد الملك وجيش الشام [٧]، ويتضح من هذا الموقف أن عتاباً التميمي قد انقلب عن هدفه بعد

(١) الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٣، ص٤١٦؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٩٣.
(٢) بطن من بطون قبيلة كندة القحطانية، كانت منازلهم في البدء بأرض اليمن، ثم انتقل بعضهم إلى بلاد الشام زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، ظهر لهم زعماء خلال العصر الأموي، مارسوا دوراً فعالاً خلال الحكم المرواني. ابن قتيبة، المعارف، ص١٠١؛ السمعاني، الأنساب، ج٧، ص١٠١؛ العميري، قبيلة السكاسك ودورهم في التاريخ العربي الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي، ص٣٥٦، ٣٦٤؛ المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج٣، ص١٧١٣.
(٣) ابن حبيب، المحبّر، ص٣٧٣؛ العبدولي، قبيلة كندة في صدر الإسلام والدولة الأموية، ص٢٣٧.
(٤) الطبري، المصدر نفسه، ج٦، ص١٥٢ـ ١٥٤.
(٥) أنساب الأشراف، ج٥، ص٢٨٨.
(٦) الطبري، المصدر نفسه، ج٦، ص١٥٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص٣١٥.
(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٤، ص٣٢٩؛ ابن كثير، المصدر نفسه، ج٨، ص٣١٦.

أن أدرك بأن الغلبة ستكون من نصيب عبد الملك، خصوصاً بعد وصول تلك الرسائل التي كان قد بعث بها عبد الملك لزعماء القبائل في العراق، والمُشار لها فيما سبق.

ويروي لنا الطبري، أن عبد الله بن خازم [١] لمّا عَلِمَ بمسير مصعب لقتال عبد الملك، سأل عمّن معه، وهل أن عباد بن الحصين التميمي منهم، فقيل له، استخلف على البصرة، فتذكّر بُعدهُ عن مصعب، كونه في خُراسان [٢]، فردَّد قائلاً :

خُذيني فجريني جعارِ وأبشري . . . بِلَحْمِ أمريءٍ لم يَشهد اليومَ ناصُرهُ [٣]

وأعلن أهل العراق البيعة لعبد الملك بعد أن طالبهم بها [٤]. وذكر ابن كثير[٥]، أن الذي قتل مصعب، رجل من تميم، ذلك لثأرٍ كان بينهما، لا حُباً بعبد الملك، حيث قال الرجل بعد محاولة إكرامه من قِبَل عبد الملك : لم أقتله على طاعتك، ولكن بثأرٍ كان لي عنده. وبذلك مالت أكثر تميم إلى صف الخلافة القانونية التي مَثّلها عبد الملك بن مروان بعد أن استتب له الأمر.

وأمام المشروع السياسي الذي تزعمّه عبد الملك بن مروان، والمتمثل بترسيخ القاعدة القانونية في القيادة والحكم، نجده قد واجه بشكلٍ مباشر أقوى حركات المعارضة التي عصفت بالدولة العربية الإسلامية منذ أواخر العصر الراشدي، المُتَمثّلة بحركات الخوارج. إذ شكلت مصدر قلق دائم للأمويين خصوصاً في العراق، فكانت هذه الحركة أحد الدوافع التي قادة عبد الملك ليضع الحجاج بن يوسف الثقفي والياً للعراق، تمهيداً لصد خطرهم ومن ثم القضاء عليهم [٦].

---

(١) أبو صالح السلمي، أمير خراسان ووالياها لعشر سنين، أحد الأبطال المشهورين، قيل له صُحْبة، ثار عليه أهل خُراسان فقاتلوه، قتله وكيع بن الدَّورقية، ذلك في حدود سنة (٧٢هـ/٦٩١م). ابن قتيبة، المعارف، ص٤١٨؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٧، ص٨٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٩، ص٩٩ ـ ١٠٠.

(٢) بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق وآخر حدودها مما يلي الهند وغزنه وسجستان وكرمان ، وتشتمل على أمهات من البلاد منها : نيسابور ، ومرو ، وهراة ، وبلخ. وقيل في معنى خُراسان أنها جاءت من كلمتي (خُر) اسمٌ للشمس و(أسان) موضع الشيء ومكانه، أي بمعنى موضع الشمس أو بلاد الشمس. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص٣٥٠؛ أبو الفداء، تقويم البلدان ، ص٤٤١.

(٣) تاريخ الرُسُل والملوك، ج٦، ص١٥٨.

(٤) الطبري، المصدر نفسه، ج٦، ص١٦٠ ـ ١٦١؛ ابن كثير، المصدر نفسه، ج٩، ص٨٤.

(٥) المصدر نفسه، ج٩، ص٨٣ ـ ٨٤.

(٦) أحمد، الخلافة والدولة في العصر الأموي، ص١٦٤.

إن استعادة العراق جعلت عبد الملك أمام الأمر الواقع في إعداد العُدة لمعالجة الاضطرابات التي توقعها فرق الخوارج أمثال : النجدات والأزارقة، وغيرهما. فكان أن سحب الحجاج من الحجاز ونصّبه والياً على العراق، معضّداً إياه بالقائد العسكري المهلب بن أبي صفرة الأزدي المحنك والمتمرّس في قتال الخوارج منذ أيام مصعب بن الزبير [١].

وكان عبد الملك دائم السؤال لواليه عن نشاطهم، نتيجة لاتساع الرقعة الجغرافية التي شغلها الخوارج، فضلاً عمّا تضمنته هذه الحركات من شخوص مؤثرة في المجتمع، أمثال : يزيد بن قرة الشيباني، أحد أهم زعمائهم، الذي أقلق الحجاج، فأخذ باستشارة عبد الملك في كيفية التعامل معه، فكان جوابه : احتل له، فإن قدرت عليه فأضرب عنقه [٢].

هكذا رسم عبد الملك المخطط للتخلص من هذا الخارجي الذي شغل الحجاج، وتنجح المكيدة ويتم القبض على يزيد الشيباني ويمثل للمحاكمة، فتظهر له أبنة ذات أدب ومنطق بليغ تُبيّن أمر والدها للحجاج، وبأنه لا مُعيل لهم سواه، وتطلب له العفو، فيتريّث الحجاج في حكمه، لا سيما أنه يُقدّر البلاغة والأدب عند الإنسان، ويبعث بذلك إلى خليفته عبد الملك، شارحاً له أمر الرجل وأهله، فيعفو عنه ويُخبر الحجاج بأن يضم أسمه للديوان مع أفراد أسرته، كيما يستطيع أن يعيلهم، بعد أن اتضح له بأن خروج الرجل كان طلباً للمال ليس إلا [٣]. نلحظ عن طريق هذه الحادثة سعي عبد الملك لاحتواء المعارضة، فإذا ما تأكد له عدم عودتهم للخروج عليه عفا عنهم؛ ومن ثمَّ يكون استخدام القوة تارة ليس هدفاً بحد ذاته، كونها متى ما أدّت نتائجها أتبعها بالعفو، فتم له الأمر ووطده لصالح تثبيت أركان حكمه، كوسيلة للدعاية له من جانب، ولتحقيق مطالب المعارضين واسترضائهم من جانبٍ آخر [٤].

تعدّ مرحلة الصراع ما بين الحُكم المرواني من جهة وحركات الخوارج من جهة أخرى نقطة محورية في تطور المطالب وشكلها ذلك على جانبين مختلفين بشكلٍ قاطع. فالقاعدة المعارضة والمتمثلة بالخوارج كانت ترفض شكل هذا الحُكم برمته، كونها ترتكز على جملة استنباطات عقدية وفهم خاص للنص القرآني، وهذا

(١) فوزي، الخلافة الأموية، ص١٠١ ـ ١٠٢؛ ميحاط، آل المهلب ودورهم في الدولة الأموية، ص٢٧.
(٢) التنوخي، المستجاد من فعلات الأجواد، ص٢٣٣.
(٣) التنوخي، المصدر نفسه، ص٢٣٣ ـ ٢٣٤.
(٤) إبراهيم، دراسة العصر الأموي من خلال رسائل الخلفاء إلى ولاتهم (٤١هـ ـ ١٣٢هـ)، ص١١٦.

ما أوضحته الكثير من المصادر التاريخية التي تناولت الخوارج وخطبهم ومسيرة تطورهم التاريخي والفكري والعقدي [١]. في حين انتج هذا الوضع زمرة من الولاءات التي دانت للحكم الأموي بشكلٍ عام، والمرواني بشكلٍ خاص، تمثّلت بقيادات عسكرية مهمة، كما هو الحال مع آل المهلب بن أبي صفرة، تلك الأسرة الأزديّة، التي قدمّت خدماتها لعبد الملك بن مروان وأولاده، خصوصاً في مرحلة الصراع مع الخوارج في شرق الجزيرة العربية وبلاد فارس [٢].

ففي معرض الحديث عن مجابهة الخوارج، نجد أن زاوية النظر لهذه الفرقة تختلف بين المؤرخين، ففي الوقت الذي يراهم أحد المؤرخين المُحدثين [٣] بأنهم أحد أحزاب المعارضة في الإسلام، وأن تكوينهم إنما جاء تعبيراً عن تناقضات اجتماعية واقتصادية؛ ومن ثمَّ فإنَّ فكرهم جاء معبراً عن سخط جماهير واسعة على آلية الإستخلاف (شرط القرشية عند السُنّة، واقتصارها على آل البيت عند الشيعة)، لذا فهم برفضهم هذه الآليات يُمثّلون (الجناح الديموقراطي) في الإسلام؛ ومن ثمَّ أصبحوا جديرين بوصف ثوريي الإسلام [٤].

وهناك مُؤرِّخ آخر [٥] يضعهم في إطار مغاير، إذ يُرْجِعُ نشأتهم بسبب حادثة محددة، هي ما تعلق برفض الأساس الذي قامت عليه نظرية الحُكم، على وفق ما نتج عن اجتماع السقيفة.

وهنا تثير ظاهرة الخوارج بعضاً من الأسئلة لعلّ منها : هل كانت قضية التحكيم [٦] ذريعة اتخذها الخوارج للخروج؟ وبناءً على ذلك : لماذا لم يطرح أي منهم قضية الإستخلاف؟ ولماذا انضموا للإمام علي (عليه السلام) وقاتلوا معه؟ وهم يدركون أنَّه ينطلق من مفهوم النسب القرشي وأحقية آل البيت [٧].

---

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص٤٦، ٥٦؛ الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٣، ص١١٥، ١٧٤، ٢٥٢، ٣٩٨؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٥، ص١٣٠؛ صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج١، ص٤٠٨ ـ ٤١٥.

(٢) سلطان، آل المهلب في المشرق الإسلامي ودورهم السياسي والحربي حتى سقوط الدولة الأموية، ص٤١ ـ ٤٤.

(٣) إسماعيل، الحركات السريّة في الإسلام، ص٢٠.

(٤) إسماعيل، المرجع نفسه، ص٢١.

(٥) أبو زبيدة، أشراف القبائل في البصرة والكوفة خلال العهد الراشدي والأموي، ص٢٤٠.

(٦) حادثة وقعت على أعقاب حرب صفين سنة (٣٧هـ/٦٥٧م)، بين الخليفة المُنتخب الإمام علي (عليه السلام) وعامل الشام معاوية بن أبي سفيان، للقضاء والفصل بينهما، واختيار حكمين لإصدار حكم بين الطرفين، غير أن الأمر خالف مدلوله ومقصده. العاملي، وقعة صفين، ص٣٢٨، ٣٤٤.

(٧) الجوير، السياسة الأمنية للدولة الأموية (٤٠ ـ ٩٦هـ/ ٦٦٠ ـ ٧١٤م)، ص١١٢.

فثمة مؤشر يدل على أن هناك بُعداً تكوينياً لهذا الحزب قبل حادثة صفين، إذ ليس من الغريب أن يرجع الخوارج إلى فئة اجتماعية واحدة هم الأعراب [١]، تلك الفئة التي شكلت محور أحداث هذه المرحلة، فهم أول مَن انقلب على الدولة بعد وفاة الرسول (ﷺ)، وهم مَن اشتركوا في الثورة التي قامت ضد الخليفة الثالث ومن ثم قتله [٢]، وايضاً أنَّ الأعراب هم الذين انقلبوا على الخليفة الرابع ثم قتلوه (عليه السلام)، ولذلك يمكن القول : أن ثمة رابط بين هذه الظاهرة وتلك الأحداث، ولعلّ ما يؤكد قوة الرابط ـ إضافة لوحدة البُنية الاجتماعية [٣] في أحداث الردة والفتنة والخروج ـ هو تكرار الرموز الفاعلة واستمرارها بمواجهة قوى الدولة أيَّ كانت [٤].

يمكن القول أن هذه الظاهرة وعلى وفق المعطيات في أعلاه لم تكن تعبيراً عن تناقضات اجتماعية / اقتصادية، بقدر ما كانت تعبيراً عن تحوّلات اجتماعية لازمت الدولة منذ قيامها وتحديداً منذ فتح مكة عام (٨هـ / ٦٢٨م) ووراثة دورها الاجتماعي والاقتصادي، إذ يبدو أن الكثير من الأعراب قد لمسوا في آليات الإسلام الاقتصادية بديلاً عن تلك التي كانت تحقق تكامليتهم الاقتصادية مع مكة ما قبل الإسلام، فمعادلة السيف مقابل الغنيمة ربما كانت بديل العرب عمّا كانت تؤمنه قريش من حاجات هؤلاء، مقابل تأمين طُرُق تجارتها على الأرجح، ولعلّ تراجع هؤلاء في تبعيتهم للدولة قد يرجع لاختلال تلك المعادلة، خصوصاً بعد تراجع أعمال انتشار العرب خارج أرض الجزيرة العربية، وتفعيل مؤسسات الدولة الاقتصادية [٥].

ويمكن النظر إلى حركة الخوارج على أنها استمراراً لحركة الرفض ضد مفهوم الدولة، والمُتمثّل بالسيادة التي دعّمها ورسّخها مفهوم النسب القرشي للخلافة.

---

(١) من الناحية الاجتماعية ينتمي الخوارج بمعظمهم لعرب الشمال، وبشكلٍ خاص لقبيلة بني تميم، التي استقرت في مصري الكوفة والبصرة، وأسهمت بدورٍ واضح في الثورة على الخليفة عثمان بن عفان حين خالف سياسة أبو بكر وعمر بن الخطاب (رض). إسماعيل، الحركات السريّة في الإسلام، ص١٨.

(٢) الجوير، السياسة الأمنية للدولة الأموية منذ قيامها حتى وفاة الوليد بن عبد الملك وآثارها على الأوضاع الداخلية (٤٠ ـ ٩٦هـ / ٦٦٠ ـ ٧١٤م)، ص١١٢.

(٣) يُذكر أن أول مَن رفض التحكيم هم بنو تميم، حيث مرَّ الأشعث بن قيس على نفر منهم فقرأ عليهم الكتاب، فقال له عروة بن أذينة : أتحكمون في دين الله الرجال، وضرب دابة الأشعث، مما أغضبه وقومه، وأضطر الأحنف وجماعة من رؤساء تميم للاعتذار من الأشعث. ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص٣٠٠.

(٤) الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٣، ص١٩.

(٥) الجوير، المرجع نفسه، ص١١٣.

هكذا كانت الخلفية السياسية وبصورة موجزة لهذا التيار؛ ومن ثَمَّ جاء تصدّي الأمويين له على وفق منهجية تسلسلية في محاولة الدولة احتواء هذه الفئة التي تعامل معها الخليفة أبو بكر في سبيل احتواءها عن طريق ضرب تمردها المبكر فيما اصطلح عليه بحركة الردّة، ثم منعها من الاشتراك في ما وصف بعمليات الفتح خارج الجزيرة العربية، إلا أنها وجدت الفرصة بعد قرار الخليفة الثالث بإشراكها في تلك العمليات العسكرية بأن تُعيد انتشارها في الأمصار الجديدة، ومن ثم تَعُد العُدّة للانقضاض على الدولة عبر الثورة التي اشتركت بها ضد الخليفة عثمان والتمرّد على الخليفة علي (عليه السلام)، ثم التبلور في اتجاه سياسي يكون حاضناً لمسيرتها عبر التخلص من أزمة الشرعيّة عن طريق طرح شعار يُمثّل البديل السياسي؛ ولعلّ هذا ما يُفسّر مجابهة كل القوى لهذا التيار سواء أكانوا علويين أم أمويين [١].

ومهما كانت طبيعة تلك الفرقة، سواء أكانت تياراً ثورياً، أم حركة إرهابية، إلا أنها مثّلت واقعاً مريراً لازم الدولة الأموية منذ قيامها، فتحركات الخوارج لم تتوقف، وضرب الأمويين استمرَّ ملازماً لكل بادرة مسلحة منهم، لذا يمكن القول بأن ضرب الأمويين لهذه الجماعة مثّل ضرباً لتيار آمن بمفهوم الدين ولم يؤمن بمفهوم الدولة، خصوصا كما يُفْهَم من الرسائل التي تم تبادلها بين عبد الله بن أباض [٢] وعبد الملك بن مروان [٣].

لذلك كانت سياسة الدولة الأموية قائمة على ضرب الخوارج وبشدة، خصوصاً زمن حُكم عبد الملك بن مروان، كون الأمويون أدركوا أن لا مساومة مع هذا التيار الجانح [٤] الذي يميل لتكفير الجميع.

---

(١) الجوير، السياسة الأمنية للدولة الأموية، ص١١٥.

(٢) من زعماء الخوارج، ينتهي نسبه إلى قبيلة بني تميم، عاش عبد الله بن أباض في مدينة البصرة وعاصر وقعة صفين, وكانت له مواقف حاسمة في تلك الأحداث, فقد شب في زمن معاوية, وادرك عبد الملك بن مروان، توفي سنة (٨٦هـ / ٧٠٥م). ابن قتيبة، المعارف، ص٦٢٢؛ بحّاز، معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر، ج٢، ص٢٦٣ ـ ٢٦٤.

(٣) الخزرجي، نص رسالة عبد الله بن اباض لعبد الملك بن مروان دراسة في مضامينها وابعادها الفكرية، ص٩ ـ ١٤.

(٤) بالإمكان أن يُطلق لفظ التطرّف على الخوارج، فهم يمتازون ويتصفون بأغلب الصفات التي ساقها المُفكِرون في مَنْ يُوصَف بهذه الصفة، فبملاحظة السمات التي حددها أحد الباحثين نجدها تنطبق تماماً مع سلوك الخوارج، إذ شخص سمات المتطرفين بـِ : التعصب للرأي، التشدد في أداء الواجبات الدينية، الجنوح نحو العنف، سوء الظن بالآخرين، واستباحة دماء المخالفين وأعراضهم وأموالهم. الأصيبعي، التطرف الديني، ص٤٧.

ومن ثمَّ كانت مواجهة هذه الفرقة تُعبّر عن منهجية السياسة المُتبعة ونوعها القاصدة إلى ضربهم بحيث لا تقوم لهم قائمة، وهذا ما تجسد بشكل واضح فترة سلطة عبد الملك التي كانت ترى في قسم من المعارضين بأنهم يُشكلون أرض خصبة لتزايد الخارجين عن سلطان الحُكم القانوني وإرادته والمُتَمَثّل بالقيادة الحاكمة لعبد الملك. حيث أن ركون هذا التيار إلى تكفير المخالفين [١]، قد أتاح للحكّام مسوّغ منطقي للبطش بهم، بوصفهم من القواعد التي اتخذت موقفاً معادياً للسلطة ورموزها بشكلٍ واضح لا يقبل اللبس [٢]، حتى قيل بأن أكبر محنة تعرّض لها الخوارج عندما رماهم عبد الملك بن مروان بقائدين من أكفأ وأشد القادة الأمنيين، هما : المهلب بن أبي صفرة والحجاج بن يوسف، اللذان تمكنا من الإجهاز على أكثر ثورات الخوارج ضراوة، ومنها على سبيل الذكر، حين تمكن الحجاج من القضاء على حركة شبيب بن يزيد [٣] سنة (٧٧هـ / ٦٩٦م) [٤].

وبعيداً عن تتبع مسيرة المهلب بن أبي صفرة ومراحل صراعه العسكري مع الخوارج عامة والأزارقة منهم خاصة، الذي ينقسم بشكلٍ عام على مرحلتين، الأولى ما بين الأعوام (٦٥ ـ ٧١هـ / ٦٨٤ ـ ٦٩٠م) التي كانت تحت ظل آل الزبير، والثانية التي كانت بعد سيطرة عبد الملك بن مروان على العراق والحجاز التي شملت ما بين الأعوام (٧٢ ـ ٧٧هـ / ٦٩١ ـ ٦٩٦م) ذلك على أثر اعلان المهلب البيعة لعبد الملك بن مروان، التي بموجبها انتقل ولاءه إلى دولة بني أميّة فأضحى يُقاتل الخوارج تحت رايتها، أثر إقرار عبد الملك له بذلك، خصوصاً وأن ميزات هذا الرجل وأخبار انتصاراته كانت قد طرقت مسامع الجميع خلال المرحلة الأولى من ذلك التماس العسكري المباشر مع الخوارج [٥]، ومن هنا تم تثبيت موقف هذه الأسرة التي ايّدت وبشكلٍ واضح الزعامة القانونية التي مثّلها عبد الملك بن مروان في حُكمه للدولة التي أخذت باستعادة مكانتها شيءً فشيء، خصوصاً بعد القضاء على حركة عبد الله بن الزبير، وتحقيق نفوذها المباشر على العراق.

---

(١) الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ص٨٧.

(٢) عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص٢٠.

(٣) ابن أبي نعيم الشيباني، رأس الخوارج بالجزيرة، وفارس زمانه، بعث لحربه الحجاج خمسة قواد فقتلهم، ثم سار إلى الكوفة، وحاصر الحجاج، ثم جاء المدد من الشام واقتتل الطرفان، ثم ساروا صوب الأهواز، وهناك غرق شبيب في القتال بنهر دُجيل ذلك العام، وله إحدى وخمسون سنة. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص١٤٦ ـ ١٤٩.

(٤) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص٢٧٥ ـ ٢٧٦.

(٥) ميحاط، آل المهلب ودورهم في الدولة الأموية (٤٠ ـ ١٠٢هـ / ٦٦٠ ـ ٧٢٠م) دراسة في دورهم السياسي وأثرهم العسكري والأدبي، ص٢٧، ٣٥.

إن الخلاف الذي لم يزل قائماً بين ابن الزبير من جهة وبني هاشم بزعامة محمد بن الحنفية [١] من جهة أخرى، سعى عبد الملك للنفاذ عن طريقه طمعاً في كسب ود الهاشميين والحصول على موقف ـ أقل ما يُقال عنه أنه مُحايد ـ بعد الذي كانوا قد تلقوه من الأذى على أيدي آل الزبير [٢]، فكان عبد الملك أكثر ذكاءً من خصمه الزبيري، فسعى للتعامل معهم بهدوء وحكمة، وعمل على كسبِ ودِّهم أو في قليله تجنب فتح باب للصراع المباشر معهم قد يشغله عن مبتغاه الرئيس وهو التفرغ لقتال ابن الزبير سواء في العراق أو الحجاز، إذ كانت تصله أخبار الحجاز وما تحمله بين طياتها من تهديدٍ ووعيدٍ كان يتلقاه بنو هاشم من عبد الله بن الزبير خصوصاً ابن الحنفية وأصحابه، حينها سعى عبد الملك للإسراع بكسب ود ابن الحنفية ومحاولة استمالته تحقيقاً لهدفه المنشود، والخاص بالحصول على موقف تأييد له ولو بشكلٍ ظاهر، فكتب عبد الملك كتاباً جاء فيه : أنه قد بلغني أن ابن الزبير قد ضيّق عليك، وقطع رحمك، واستخف بحقك، حتى تبايعه، فنظرت لنفسك ودينك وأنت أعرف به، حيث فعلت ما فعلت، وهذا الشام فأنزل منه حيث شئت، فنحن مكرموك وواصلو رحمك وعارفو حقك [٣].

وتُرينا بعض اجراءات عبد الملك ميله الواضح في كسب موقف إيجابي من بني هاشم، فهو يُرسِل إلى الحجاج، رافضاً رفضاً قاطعاً التعرّض لأحد من بني عبد المطلب عموماً، لأنهم بمكان آمن عنده [٤]، ويمنعه من أي تطاول على الهاشميين، دلالة على رغبة واضحة في التقرب إليهم، وحرصه بالحفاظ على مكانتهم، بوصفهم سليلي بيت النبوة، أضف إلى ذلك مصاهرة عبد الملك لهم في أحدى زوجاته [٥]، فمراعاته لهم واجبة عليه وعلى الناس.

ويؤكد عبد الملك على علاقته ببني هاشم عبر رسالته التي بعث بها إلى محمد بن الحنفية، عن طريق عبارات تعكس جانب القربى بينهم، وتدفع الطرف المقابل لتقديم موقف القبول لشكل الحُكم وشخص الحاكم، حيث جاء بها : إنَّك عندنا

---

(١) أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب، أمه خولة بنت جعفر المنتهي نسبها إلى بني حنيفة، ولد سنة ٢١هـ / ٦٤١م، وصف بالشجاعة والبطولة، حمل الراية يوم الجمل وصفين، لم يخرج مع أخيه الحسين (عليه السلام) لمرضه، توفي سنة ٨١هـ / ٧٠٠م ودفن في الطائف. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٦٧.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٩٨ ـ ٩٩.

(٣) ابن سعد، المصدر نفسه، ج٥، ص١٠٧

(٤) إبراهيم، دراسة العصر الأموي من خلال رسائل الخلفاء إلى ولاتهم، ص١٤٦.

(٥) الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٦، ص٤٢٠؛ المقريزي، النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، ص٣٢.

محمود، وأنت أحب إلينا وأقرب بنا رحماً من آل ابن الزبير، فلك العهد والميثاق وذمة الله ورسوله أن لا تُهاج ولا أحد من أصحابك بشيء تكرهه، أرجع إلى بلدك وأذهب حيث شئت، ولست أدع صلتك ودعتك ما حييت [١].

إذ يُظهر عبد الملك حماسته لابن الحنفية، بعد أن بايعه [٢]، ويدعوه لاختيار ما يريد وما عليه إلا إجابة طلبه، ويستمر عبد الملك بالتقرب من بني هاشم واستشارتهم في الأمور التي تستعصي عليه [٣]، إيماناً بقدرتهم العالية على الفتوى والإيضاح، فيرسل إلى واليه على المدينة، قائلاً : أن اشخص إليَّ محمد بن علي بن الحسين (عليه السلام) مكرَّماً ومتعه بمائتي ألف درهم لجهازه، وبثلاثمائة ألف درهم لنفقته وأزح علتّه في جهازه وجهاز مَن يخرج معه من أصحابه وأحتبس الرسول قِبَله إلى موافاته عليّ [٤].

إنَّ دعوة محمد بن علي الباقر (عليه السلام) جاءت طلباً للحصول على مشورة في ظل ظرف استثنائي، يتطلَّب مواجهة الضغط الاقتصادي البيزنطي [٥] على الدولة العربية زمن عبد الملك، حيث أن السكة [٦] كانت تضرب ببلاد الروم والمعاملات تدور بين الناس بدنانير الروم ودراهمهم [٧]؛ فأشار روح بن زنباع على عبد الملك بأن يلجأ إلى الباقر محمد بن علي (عليه السلام) ليشير عليه بما يتوجَّب فعله أمام هذا الأمر، فكانت المشورة بضرب الدينار والدرهم العربي لأول مرة في تاريخ الإسلام [٨].

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص١١١.
(٢) ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج٢، ص٧٩.
(٣) ابن الجوزي، المصدر نفسه، ج٢، ص٧٨.
(٤) البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص٤٦٩؛ السامرائي، الدولة العربية الإسلاميّة في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان ـ دراسة في إصلاحاتها المالية وتنظيماتها الإداريّة، ص٦١.
(٥) زمن الإمبراطور البيزنطي جستنيان الثاني. السامرائي، المرجع نفسه، ص٥٨.
(٦) الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس، بطابع حديد يُنقش فيه صور أو كلمات مقلوبة الصورة، يُضرب بها على وجهي الدينار أو الدرهم، فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة. ولفظ السكة هو أسماً للطابع وهي الحديدة المُتخذة لذلك، وتطور الأمر حتى أصبح هذا الاسم يُطلق على الوظيفة، فصار علماً عليها في عُرف الدولة. البلاذري، فتوح البلدان، ص٦٥١؛ ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج٢، ص٦١٢.
(٧) البيهقي، المصدر نفسه، ص٤٦٨ ـ ٤٦٩.
(٨) البيهقي، المصدر نفسه، ص٤٧٠؛ السامرائي، المرجع نفسه، ص٦٢ ـ ٦٣.

رابعاً : وسائل التأثير المُتبادل بين القيادة والقاعدة :

تتمثّل آليّات الحُكم الأموي في أحدى جوانبها ذلك التعصّب القبلي للسلطة الأمويّة سواء للقيسية أو اليمانية [١]. فالركون لهذا العامل يُعد مرتكزاً ذا تأثير بعيد المدى، خصوصاً أبان تلك المرحلة التي وصل خلالها عبد الملك إلى السلطة، إذ غلبت العصبيّة القبليّة على الفترة المروانيّة تقريباً، وكانت هذه المسألة بمثابة لعبة قائمة في صلب الدولة، وليس ببعيد أن تكون هناك أطراف كانت تمارسها داخل الدولة، كقوى مؤثرة تستثمر الأمر لتمرير مصالح خاصة. والقيسيّة واليمانيّة كانت بمثابة الأحزاب التي تدعم هذا الطرف أو ذاك، حيث تميزت القيسيّة بروحها التوسعيّة بينما تميّزت اليمانية بتشجيعها لقوى الانصهار الذاهبة إلى تشكيل حالة من حالات الاندماج بين العرب والموالي [٢].

يمكن القول إنَّ الأمويين درجوا على استقطاب القادة الأكفاء، وتوليتهم لإدارة مهام متعددة، وهذا ما دعا عبد الملك أن يوكل إلى المهلب بن أبي صفرة مثلاً، مهمة حرب الخوارج، على الرغم من كونه موالياً لابن الزبير، فخبرة المهلب في حربهم كانت مدعاة لأن يوليه تلك المهمة، إضافة لكونه شخصيّة ذات تأثير حاسم من الناحية السياسية والاجتماعية، فهو من قبيلة الأزد، ذات التواجد الواسع في البصرة، حيث يُخاطب عبد الملك أخاه بشر بن مروان قائلاً : فأبعث المهلب في أهل مصره إلى الأزارقة ... فإنه أعرف بهم، وخله ورأيه في الحرب، فإني أوثق شيء بتجربته [٣].

وفي سياسة التعيين على الولايات، نجد عبد الملك قد أسندها في الأماكن غير المؤثرة لأشخاص ينتمون للبيت الأموي كيحيى بن الحكم بن أبي العاص وأبان بن عثمان بن عفان وطارق بن عمرو، حيث أسند لهم ولاية المدينة [٤]، وأسند ولاية البصرة لخالد بن عبد الله [٥]، وباستثناء أخاه بشر الذي توفي بعد مدّة قصيرة، فإنه لم يعيّن شخصاً بمهام حسّاسة كولاية العراق [٦].

إن أحد الأسباب الرئيسة التي جعلتنا ننسب لعبد الملك وعاملة المخلص الحجاج تلك السياسة التي تمتاز بالنفس الطويل، ذلك أن كل تغيير رئيسي في السياسة لا بد له أن يشمل العراق، ذلك الإقليم الذي كان ومنذُ الدخول المُبكر له، من أكثر الولايات

(١) بن حسين، الدولة الأمويّة ومقوّماتها الإيديولوجيّة والاجتماعيّة، ص٣٣٣.
(٢) فلهوزن، تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأمويّة، ص٢٠٤، ٣٣٥.
(٣) ابن مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج٢، ص١٦٦.
(٤) الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٥، ص٣١٢.
(٥) الطبري، المصدر نفسه، ج٦، ص١٩٤.
(٦) بن حسين، المرجع نفسه، ص٣٤٨.

اضطراباً وأصعبها على الحُكم. فبرغم أن الشام كانت الدعامة الأساسية لحُكم آل مروان، فإنَّ العراق كان هو المُتحكّم بصورة فعالة في حركة الاستقرار الداخلي للدولة وسلطتها، بمعنى أن مشاكله كانت تُشغل القسم الأكبر من وقت كل حاكم. إذ لم يكن أكثر الولايات اضطراباً وأقلها استقراراً وحسب، لكنه كان أيضاً أكثر الولايات عرباً من حيث العدد، ففي تقدير تقريبي كان عدد أبناء القبائل فيه يقترب من أن يبلغ ثلاثة أضعاف أبناء قبائل الشام؛ مما دفع الحجاج لأن ينتهج سياسة تحفيز الهجرات نحو الشرق للتخلص من تزايد السكان العرب في العراق [١].

ومن وسائل التأثير التي مال لها عبد الملك في عهده، هو إضعاف طبقة أشراف القبائل وزعمائها، وفسّر أحد الباحثين هذا السلوك الإداري؛ بأنه مرتبط بتطوّر النظام العسكري في الدولة، كذلك تنامي الجهاز الإداري الذي أخذ بالاعتماد على مَن له الإمكانيات والقدرات المعرفية لا الشرفية والانتماءات النسبية فحسب [٢]. وهو مؤشر واضح على تفوق القيادة القانونية التي تستند لقوة النظام والانضباط في اختيار قادة المفاصل المهمة في الدولة.

ومن أمثلة التأثير التي لجأ لها عبد الملك : الركون لشخصيات تمتلك مكانة مؤثرة بين قاعدتها، فهذا روح بن زنباع الجُذامي، فقد فعّل عبد الملك من حوله طاقم من المُستشارين كان روح من أبرزهم، فالمشورة لها سحرٌ خاص بين العرب، وهي من دلائل التمكن للحاكم وقدرته على بسط سلطانه؛ وذلك لتعمقه في التمييز بين الآراء وانتخاب الملائم منها، مما يمنح الحاكم ميداناً للتأثير على القاعدة بشكل أفضل ومرونة أعلى [٣].

ولمّا استولى الأمويون على مقاليد الحُكم وأستتب لهم أمرها في حدود سنة (٤١هـ / ٦٦١م)، عملوا على تنمية الموارد الاقتصادية الخاصة بهم، كي يتسنى لهم القيام بالأمر، إذ كان الأمويون بحاجة ماسّة إلى استمالة القلوب بالعطايا والمنح، هذا بالإضافة إلى ما يستلزمه منصب الحاكم من نفقات، ذلك لِما أصبح عليه منصب "الخلافة" على عهدهم مِن موقع تُحيط به مظاهر الأبهة والعظمة، فوجد الأمويون أن سبيلهم إلى ذلك هو وضع اليد أو تملك الأرض الزراعية، لِما تُحققه هذه الأرضين من استثمار جيد يَدُرُ دخلاً وعائداً مادياً كبيراً إذا ما أحسن استغلالها [٤].

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص١٦٧؛ شعبان، صدر الإسلام والدولة الأمويّة، ص١١٤.

(٢) بن حسين، الدولة الأمويّة ومقوّماتها الإيديولوجيّة والاجتماعيّة، ص٣٦٠.

(٣) العزام، روح بن زنباع الجُذامي ودوره في دعم الخلافة الأمويّة، ص٨٨٨ ـ ٨٩٢.

(٤) عبد الفتاح، ضياع بني أميّة في عصر الخلافة، ص١٣ ـ ١٤.

إذ عمل الأمويون الخلفاء منهم والأمراء على امتلاك الضِياع [١] الواسعة ضمن أماكن مُختلفة مِن أقاليم الدولة، فظهر على عهدهم اصطلاح « ضِياع بني أميّة » و « ضِياع الخلافة » [٢]؛ ليُشير إلى الضِياع التي يمتلكها الخلفاء الأمويون وذويهم ويتوارثونها [٣].

إنَّ النمو المضطرد لظاهرة اقتناء الضِياع والإقطاعات المُستحدثة من قبل عبد الملك ومن سبقة من حُكام الدولة الأمويّة [٤]، غير مستبعد أن جرت حيازتها غصباً، حيث يذكر البلاذري [٥] ان عبد الملك كتب إلى واليه ابن هبيرة يطلب منه تكوين قطائع له بناحية البصرة [٦].

ومما يؤكد سمة « الإقطاعية » في شكل الملكيات الجديدة، هو انتقال الأرض بمَنْ عليها مِنْ مُزارعين، وما عليها مِنْ مراعٍ وطواحين ومتاع وحوانيت إلى طبقة المالكين الجُدد، ففي زمن حُكم عبد الملك بن مروان تم إفراد ديوان خاص للإشراف على إدارتها، عُرِفَ بديوان « المستغلات » [٧].

فكانت أولى الوسائل التي انتهجها الأمويون لتملك الضِياع هي الاقطاعات التي كان يقطعها " الخليفة " الأموي القائم بالحُكم لأهل بيته ولكبار رجالات الدولة من أرض الصوافي [٨] العامرة أي الصالحة للزراعة. فلتقوية مركزية الدولة وأصحابها، وتشكيل قوة اقتصادية تتبع الحاكم وتؤيده، نرى عبد الملك قد استثمر هذا الأمر

---

(١) جمع ضيعة، ويضيع، ومن معانيها : العقار، المنازل، والأرض المُغِلَّة، وتُشير الضيعة عند الحضر إلى مال الرجُل من النخل والكُرُم والأرض، أمّا لدى العرب فمعناها : الحرفة والصناعة والتجارة. ابن منظور، لسان العرب، مادة : ضيع، ص٢٦٢٤.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢١٦، ٢٤٧، ٤١٣، ٤٣٥، ٤٦١، ٤٦٢.

(٣) عبد الفتاح، ضياع بني أميّة في عصر الخلافة، ص١٤.

(٤) كمعاوية بن أبي سفيان. الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص٢٣.

(٥) المصدر نفسه، ص٢٧٣.

(٦) إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي / طور التكوين، ج١، ص٥٨.

(٧) إسماعيل، المرجع نفسه، ص٥٩.

(٨) جاء في بعض المعجمات اللغوية أن الصوافي مشتقة من الفعل : صفا، يصفو، وصفوة كل شيء خالصه وخيره، والصفاء مصدر الشيء الصافي، أمّا الاصطفاء فهو : الاختيار من الصفوة، هذا على صعيد اللغة، أمّا الاصطلاح فهي : الأموال (كالأرض وغيرها) والتي يختارها الإمام (الحاكم) لنفسه خالصة، وله بها حق التصرّف كما يرى هو نفسه. الفراهيدي، كتاب العين، مادة : صفو، ج٢، ص٤٠٣؛ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٣، ص٢٩٢؛ ابن سلام، كتاب الأموال، ص٧٥؛ الجنابي، أراضي الصوافي في الدولة العربية الإسلامية حتى عام ٣٣٤هـ، ص٥.

لحيازة غالبية أرضين الصوافي في بلاد الشام، عبر اقطاعها لأهله والأشراف وكبار قادته حتى لم يبق منها شيء [١].

كذلك ظهر اهتمام عبد الملك باستخراج الأرض من البطائح، إذ أوعز إلى الحجاج في أثناء ولايته على العراق (٧٥ ـ ٩٥هـ / ٦٩٤ ـ ٧١٣م)، فعمد للضياع التي استخرجها عبد الله بن دراج لمعاوية، فأعاد استصلاحها وحازها لعبد الملك [٢].

وعلى ما يبدو أن اقبال الأمويين على توسيع ملكياتهم من الضياع، وذلك عن طريق الشراء، سبباً في سماح عبد الملك لكبار القادة والمُلاك بشراء الأرض الخراجيّة [٣]، مما أعاد بالنفع على طبقة أو شريحة معينة من المتنفذين بالانتفاع؛ مما أثّر في توجهاتهم السياسية، وانسحب ذلك تلقائياً على قاعدتهم.

وعُمِدَ أيضاً إلى المصادرات كوسيلة نمت عبرها ممتلكات الأمويين من الضياع، فكان الأمويون يُصادرون أموال وممتلكات الخارجين عليهم [٤]، حيث صادر عبد الملك بن مروان ضياع آل الزبير بعد إخفاق حركتهم، فتم الاستيلاء على ما كان لهم من ضياع وأرضين في الحجاز ومصر وغيرهما من أراضي الأقاليم التي كانت لهم بها سطوة [٥].

من هنا تبرز لنا ملامح فلسفة السلطة الحاكمة في فرض سطوتها على الرعيّة عبر فرضها لقوة القانون الحاكم في وضع وتسخير الموارد الاقتصادية كافة لتكون تحت يدها التي يصعب مقاومتها، واتخاذها من هكذا منهج في التعامل مع موارد الدولة لتكون مصدراً من مصادر سلطة القانون والقيادة الحاكمة.

ولجأت القيادة الحاكمة كذلك إلى أسلوب التأثير النفسي في القاعدة، وذلك عن طريق التأثير على الوافدين عليها، عبر استخدام قواعد الخطابة المباشرة معهم، فكان عبد الملك المتمكن من أساليب الحديث يقول لمن يدخل عليها، إذا كان قادماً من مكانٍ بعيد : اعفني من أربع وقل بعد ما شئت، لا تكذبني، فإن المكذوب لا رأي له، ولا

(١) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق لأبن عساكر، ج١، ص٢٤٠؛ رحال، تاريخ بلاد الشام الاقتصادي في العصر الأموي، ص١١٧؛ عرفة، الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر الأموي، ص١٥٩ ـ ١٦٠.
(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص٣٥٥ ـ ٣٥٦؛ عبد الفتاح، ضياع بني أميّة في عصر الخلافة، ص٢٨ ـ ٢٩.
(٣) ابن منظور، المصدر نفسه، ج١، ص٢٤٠؛ عبد الفتاح، المرجع نفسه، ص٤٠.
(٤) عبد الفتاح، المرجع نفسه، ص٤٣.
(٥) الأزرقي، أخبار مكة وما جاء بها من الآثار، ج٢، ص٨٨٧؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص٨٣.

تجبني فيما لا أسألك عنه، فإنّ في الذي أسألك شغلاً عن سواه، ولا تجاملني، فإنّي أعلم بنفسي منك، ولا تحملني على الرعيّة، فإنهم إلى معدلتي ورأفتي أحوج [1].

فالتعامل مع القاعدة على وفق أصول الصدق في المَحدث، والإجابة بدقة، وتجنّب التملق والإطراء المبالغ، وشحذ القلوب على الناس، خصال تفضي إلى نقل الصورة الموضوعية عن واقع ما يجري، مما يمنح المتلقي تأثيراً بعيد المدى خصوصاً إذا ما كان السامع رأس السلطة ومُحركها، إذ يبعث ذلك على صقل القاعدة وجعلها في طوع الحاكم وتحت تأثيره المباشر.

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٧، ص١٤٣.

بعد وفاة يزيد بن معاوية (٦٠ ـ ٦٤هـ / ٦٧٩ ـ ٦٨٣م) ثار التوّابون [١] في الكوفة، وتواصلت ثورتهم فترة حُكم مروان بن الحكم وبدايات سلطة عبد الملك بن مروان. وقد أضعف الخطاب الإيديولوجي للتوّابين من الشرعيّة التاريخيّة الأموية التي جاهد عبد الملك ومن قبله مروان في تثبيتها عبر الشرعيّة القانونية في الحُكُم، رغم قضاء الأمويّين على هذه الثورة [٢].

وخلال تلك الفترة القصيرة المكتظة بالأحداث والاضطرابات، ظهر المختار بن أبي عبيد الثقفي (٦٦ ـ ٦٧هـ / ٦٨٥ ـ ٦٨٧م) ثائراً، في الفترة نفسها التي زامنت ثورة التوّابين في الكوفة [٣].

ودعا المختار الناس إلى تأييده والوقوف إلى جانبه، بوصفه وزير محمد بن الحنفيّة، ابن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الذي أمره بقتال الأمويّين، وكذلك الطلب بدماء أهل البيت (عليهم السلام) الذين قضوا في كربلاء [٤].

ويصف أحد الكُتاب المُحدثين [٥]، المختار بن أبي عبيد بأنه من الزعماء الثائرين على بني أمية لأهداف شخصية؛ كونه حاول الاتصال بعبد الله بن الزبير ذلك بعد استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام)، ولمّا وَجَدَ ضُعفاً في تجاوب ابن الزبير معه

(١) تسمية تم اطلاقها على جماعة من زعماء أهل الكوفة ذوي الأصل اليماني في معظمهم، من الذين شكلوا حركة هددت الاستقرار السياسي لأركان الدولة الأمويّة، إلى حدٍ ما، أبان عهدها السفياني؛ ذلك لِما حملته من شعارات سياسية ودينية، عقب حدث تاريخي مؤثر، ألا وهو مقتل الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) في معركة الطف سنة (٦١هـ/٦٨٠م)، فكانوا يتواصلون مع مَن يثقون بِهم عن طريق المراسلات والدعاة، بهدف كسب تأييدهم ومؤازرتهم لهذه الحركة ذات الطابع التكفيري عن الشعور بالذنب، فألتف حولهم عدد لا بأس به من المؤيدين الذين شعروا بالذنب والتقصير اتجاه ضعف مناصرتهم للإمام الحسين عند خروجه على يزيد، ثم تدرّج الأمر بالحركة لتنتقل من مرحلتها السريّة صوب العلنيّة ذلك على أثر رحيل يزيد بن معاوية سنة (٦٤هـ / ٦٨٣م)، وأستمرّ نشاطها علناً وازدادت أعداد المنضوين تحت رايتها، حتى بدأت تحركاتها العسكرية خلال سنة (٦٥هـ / ٦٨٤م)، والتي انتهت بمعركة عين الوردة، حيث هُزِمَتْ الحركة وقتل أبرز زعمائها سُليمان بن صُرَد الخُزاعي. الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٥، ص٥٥١ ـ ٥٥٢؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مج٣، ص٩٥ ـ ٩٧؛ بيضون، التوّابون، ص٩٨ ـ ٩٩ ، ١٠٤ ـ ١٠٥، ١٥٥، ١٦٦؛ الخشخشي، حركة التوّابين ٦١ ـ ٦٥هـ / ٦٨٠ ـ ٦٨٤م دراسة تاريخية، ص١ ـ ٢.

(٢) بن حسين، الدولة الأمويّة ومقوّماتها الإيديولوجيّة والاجتماعيّة، ص٣٧١.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٨٤.

(٤) الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٨٩؛ الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٥، ص٥٧٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٤، ص٢٩.

(٥) عبد الهادي، الأمويون والفقهاء ٤١ ـ ١٣٢هـ / ٦٦١ ـ ٧٥٠م دراسة سياسية، ص١٤٢.

انصرف عنه صوب الكوفة [١]، داعياً للثأر لدم الإمام الحسين وأهل بيته (عليه السلام)، مستنداً إلى تفويض ابن الحنفية بذلك، قاصداً إلى تزعّم تيار الشيعة، ليصل إلى الحكم والسلطان [٢].

وحين استقر المقام للمختار في الكوفة، دعا إلى إمامة محمد بن الحنفية، وتبعه على ذلك قسماً من شيعة الكوفة، ويُرجّح أحد المؤرخين بأن ابن الحنفية لم يكن يعلم بأمر هذه الدعوة التي بثّها المختار بين أتباعه [٣].

وبدأ المختار حركته عملياً، بعد أن أزاح عامل ابن الزبير عن الكوفة، ووطد أركان سيطرته بشكل يضمن له إمكانية التحكم بالظروف كافة، حتى تمكّن فيما بعد من قتل عدد ممن اشتركوا في مقتل الحسين (عليه السلام)، ووقعت بينه وبين جيش بني أمية بعض المعارك، التي أسفرت في أواخر حكمه عن قتل عبيد الله بن زياد وغيره الكثير من أشراف الشام وقادة جيوشهم في معركة الخازر سنة ٦٦هـ / ٦٨٦م [٤]، وتوهم بعضاً منهم بأنه ادعى أموراً عظيمة، وكانت نهايته على يد المصعب بن الزبير حين تمكن منه في الكوفة سنة ٦٧هـ / ٦٨٧م [٥].

إذ كانت الكوفة قد شهدت سنة ٦٦هـ / ٦٨٥م سيطرة بعض الشيعة بقيادة المختار الثقفي، وحينها أدرك عامل ابن الزبير خطر المختار، ألقاه في السجن، وتدخل عبد الله بن عمر بن الخطاب في أمره وأخرجه من سجنه، فنزل داره واجتمعت عليه شيعة الكوفة واتفقت عليه [٦]، وجرى هذا بعد عامين عن قدوم المختار إلى الكوفة الذي أرّخه الطبري [٧] في منتصف شهر رمضان من سنة ٦٤هـ / ٦٨٣م.

فكان أن جمع المختار تأييد الكثير من أهل الكوفة لحركته، وبقايا التوابين، وكل ناقم على عمّال ابن الزبير ومَن سبقهم من عمال بني أميّة وسياستهم [٨]، فتشكّلت لديه قاعدة اجتماعيّة مثّلت خنجراً في خاصرة ابن الزبير الذي كان يعد العدة لمواجهة

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٩، ص١٣.
(٢) عبد اللطيف، العالم الإسلامي في العصر الأموي ٤١ ـ ١٣٢هـ / ٦٦١ ـ ٧٥٠م دراسة سياسية، ص٤١٣.
(٣) ابن كثير، المصدر نفسه، ج٨، ص٣٤٩.
(٤) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مج٣، ٩٨.
(٥) الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٥، ص٥٦٩، ج٦، ص٩٣؛ التميمي، المحن، ص١٧٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٤، ص٧١ ـ ٧٢.
(٦) الطبري، المصدر نفسه، ج٦، ص٨ ـ ٩.
(٧) المصدر نفسه، ج٥، ص٥٦٩.
(٨) جاسم، مؤتمر الجابية دراسة في التطورات السياسية في العصر الأموي، ص١١١.

الأمويين [١]، فكان أن حرص المختار على تصفية غالبية الذين اشتركوا في مقتل الحسين بن علي (عليه السلام) فتتبعهم، خاصة من كانت لهم القيادة في تلك الواقعة [٢].

وتمكن المختار بمعية إبراهيم بن الأشتر من اقتحام قصر الإمارة في الكوفة، وطرد عاملها عبد الله بن مطيع [٣]، بعد أن كان المختار الثقفي ممن اسعفوا عبد الله بن الزبير في حصار مكة الأول، ترك ابن الزبير وتوجه صوب العراق [٤]، ففرض سيطرته عليه، حتى امتد نفوذه إلى منطقة الجزيرة [٥]، التي تمكن منها ابن الأشتر بعد القضاء على قادة الجيش الأموي أمثال عبيد الله بن زياد والحصين بن نمير، حين تمكن من قتلهم في معركة الخازر [٦].

وفي خضم تلك الأحداث، وجّه عبد الله بن الزبير أخاه مصعباً إلى العراق، بعد أن بلغه تذمّر قسماً من أشراف أهل الكوفة لسياسات المختار الثقفي معهم، فزحف مصعب بن الزبير نحوها، وأنهى أمره بعد سلسلة من الصِدامات، وحسب رواية اليعقوبي [٧] كانت الأحداث في سنة ٦٨هـ / ٦٨٨م، والبلاذري [٨] جعل مقتل المختار في شهر رمضان سنة تسع وستين للهجرة، أمّا الطبري [٩] فقد أرَّخ لِمَقتل المختار ضمن أحداث سنة ٦٧هـ / ٦٨٦م، وشايعه على ذلك التأريخ قسماً من المؤرخين [١٠]، وكان عمرهُ يوم مقتله سبعاً وستين سنة [١١].

---

(١) جاسم، مؤتمر الجابية دراسة في التطورات السياسية في العصر الأموي، ص١١٢.
(٢) الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٦، ص٦١ ـ ٦٣.
(٣) ابن الأسود القرشي العدوي المدني، له رواية، كان على رأس قريش يوم الحرة (٦٣هـ / ٦٨٣م)، أمرّه عبد الله بن الزبير على ولاية الكوفة، قُتِلَ وحُمِلَ رأسه إلى المدينة سنة (٧٣هـ / ٦٩١م). ابن سعد، الطبقات الكبرى، مج٥، ص١٠٩، ١١٣؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٣، ٦٦٧.
(٤) الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٨٨؛ جاسم، المرجع نفسه، ص١١٢.
(٥) الطبري، المصدر نفسه، ج٦، ص٩٢.
(٦) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص٣٣٧.
(٧) تاريخ اليعقوبي، مج٢، ص١٨١؛ سالم، تاريخ الدّولة العربيّة،ج٢، ص٣٨٤.
(٨) أنساب الأشراف، مج٤، ص٣٤٧.
(٩) المصدر نفسه، ج٦، ص٩٣.
(١٠) ابن قتيبة، المعارف، ص٤٠١؛ المسعودي، التنبيه والأشراف، ص٢٧٠؛ المقدسي، البدء والتاريخ، ج٦، ص٢٣؛ ابن الجوزي، المُنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٦، ص٦٨؛ أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج١، ص١٩٥؛ دكسن، الخلافة الأمويّة ـ دراسة سياسيّة، ص١٠٩.
(١١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٤، ص٧٢؛ محمد، حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي وأبعادها السياسيّة والفكريّة، ص٣٤ ـ ٣٥.

وكان أن أعدّ مصعب بن الزبير جيشاً لمجابهة المختار في الكوفة، وأختار المهلب بن أبي صفرة لقيادته، واصطحب معه عبيد الله بن علي بن أبي طالب، ليبطل دعوى المختار الخاصة بطلب ثأر آل محمد (عليهم السلام)، وأستمر القتال في أزقة الكوفة لأربعة أشهر، حتى استنفذت قواه [١]، فانهزم صاحب الكوفة في معركة المذار [٢]، بعد أن خسر الكثير من أتباعه، ومَن نجا منهم كان نصيبه القتل صبراً على يد فاتح الكوفة الجديد [٣].

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج٢، ص١٨١.

(٢) أرض بالقرب من الكوفة، سميت بذلك لفساد رائحة تربتها. البكري، معجم ما أستعجم من أسماء البلاد والمواضع ، ج٤، ص١٢٠٣.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، مج٤، ص٣٣٩؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص٣٠٨؛ اليعقوبي، المصدر نفسه، مج٢، ص١٨١ ـ ١٨٢؛ الدجيلي، المختار الثقفي، ص١١١؛ محمد، حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي وأبعادها السياسية والفكرية، ص١٠٥.

أولاً : المواصفات الشخصيّة للقيادة :

يُعدّ المختار بن أبي عبيد الثقفي من الثوار المغامرين، وكان يرى في نفسه أنه لا يقل مقدرة عن مروان بن الحكم أو عبد الله بن الزبير، وأنه لم يكن دونَ أحدٍ من رجالات العرب؛ لذلك وجد في الكوفة منطلقاً جيداً لحركته ومن ثم مشروعاً لإقامة دولته [١].

هناك القليل مما يُعرف عن الصفات الشخصيّة للمختار، فهذا ابن حبيب [٢] يجعله من بين الأشراف العوران، بعد أن شتر ابن زياد عينه بضربة سوط على وجهه [٣]. ومن أهم ما وصف به المختار هو البيان في القول وفصاحة اللسان، وتمثّل هذا بما نُسِبَ له من كلامه المسجوع، خصوصاً ما ظهر منه في خطبه بعد خروجه في الكوفة [٤].

وعُرِفَ عن المختار الشجاعة والجرأة في ميادين القتال، فقد وصفه الحجاج بأنه كان : رجلاً ديناً، ومقارع أعداء، ومسعر حرب [٥]. وتحدّث عبد الله بن الزبير واصفاً المختار بقوله : ما أبالي إذا قاتل معي المختار مَنْ لقيت، فإني لم أر أشجع منه قط [٦].

وشهد له معاصروه بتمكنه من شؤون القتال، إذ يذكر أبو مِخْنَف أن عمير بن الحباب [٧] قال فيه : ضرّسثْه الحرب، وقاسى منها ما لم نُقاس [٨]. وليس أدل على شجاعته من تصديه لرجل معروف بالبطش، من أهل البصرة، قَدِمَ مع مصعب بن الزبير حين حاصر قصر الكوفة، حيث لم يجرؤ أحد من أصحاب المختار على

---

(١) الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٦، ص١٠٧؛ العصيمي، قبيلة هوازن ـ نسبها ودورها السياسي والاجتماعي حتى نهاية العصر الأموي، ص٢٤٢.

(٢) المحبّر، ص٣٠٢؛ ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص٢٢٤.

(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج٢، ص١٧٤.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، مج٥، ص٧٣؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٨٩؛ الطبري، المصدر نفسه، ج٦، ص٢٣.

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٤، ص٣٠٦.

(٦) البلاذري، المصدر نفسه، ج٤، ص١٨.

(٧) ابن جعدة السلمي، شاعر وفارس من فرسان العرب المشهورين بالنجدة، قدم على عبد الملك بن مروان فأدنى منزلته، وكانت بينه وبين أهل اليمن مناوشات وحروب، قاتل بني تغلب في الجزيرة، وقُتِلَ بعد أن قَتَلَ سادات تغلب ورجالاتها يوم الثرثار من سنة سبعين للهجرة. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٦، ص٤٧٢ ـ ٤٧٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٣، ص٣٦٧، مج٤، ص٩٤ ـ ١٠٠.

(٨) الطبري، المصدر نفسه، ج٦، ص٨٧.

مواجهته [١]. كما عُرِفَ عنه أيضا الحذر، وقدرته على توقع الأحداث والتمكن من تفهمها أو البناء عليها قادم الأيام [٢].

تذكر دو لانج [٣] ثلاثة عشر نوعاً من أنواع الكاريزما [٤]، موضحةً عن طريقها المجالات التي يمكن لها أن تشكل إطاراً واضحاً لتجليها، منها : الكاريزما السياسيّة أو القياديّة، التي تُعدّ بمثابة هبة تأتي وتزول، فربّما يكون الله سبحانه وتعالى قد منحها للشخص، ومع ذلك يُشترط أن تستمد تأكيدها من عامة الناس بالنسبة لهذا القائد الموصوف بها. وعلى الأرجح تكون هذه الصفة مؤقته، نتيجة عوامل وانتكاسات غير متوقعة للكاريزما الشخصيّة. غير أن التاريخ ربما يمنح لبعض الشخصيّات كاريزما ذات ديمومة، مما يُبقي على سيرتها حتى بعد مرور الوقت والسنين [٥].

وهناك : الكاريزما الأسطوريّة / البطوليّة، وهي عادة ما ترتبط بالشخصيّات التاريخية ذات الأثر العميق نوعاً ما في تاريخ أمّة أو شعب أو طائفة دينية أو اجتماعية، ورُبّما تكون تلك الشخصيّة قد تم تحميلها من الأمور ما لا تحتمل، فتبدأ الأساطير بالتشكّل حولها، مما يمنحها كاريزما بطوليّة ذات امتداد تاريخي، يكسبها الشهرة على مدى الزمن [٦].

وعطفاً على ذلك، يمكن تلمّس العلاقة التي ربّما اقترنت ما بين أوصاف المدح والثناء التي جاءت بحق شخصيّة المختار التاريخيّة ضمن مُنعطفاتها السياسيّة والعسكريّة، بشهادة مَن تقدّم ذكرهم بحقه، وما رافق تلكم الشخصيّة من أهداف أخلاقية حاولت النفاذ إليها عبر سلسلة من المطالبات المتعلّقة بالثأر لكربلاء ودماء آل البيت (عليهم السلام) التي سالت على أرضها. مما أنتج مزيجاً روحياً أسهم وبشكل غير

---

(١) الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٦، ص١٠٦.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٤، ص٣٠٥ ـ ٣٠٧؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج٢، ص١٧٨ ـ ١٧٩؛ الطبري، المصدر نفسه، ج٥، ص٥٧١ ـ ٥٧٣، ٥٧٦ ـ ٥٧٧.

(٣) الكاريزما، ص٧.

(٤) إنها خصائص شخصيّة مُتفرّدة، تمنح الإنسان قدرات فوق الطبيعية أو استثنائية، لا يملكها سوى بعض البشر، وقد تكون هبة من الله، وتفضي إلى معاملة الشخص على أنه قائد ملهم. ورغم كون الكاريزما صفة للشخصيّة بإطارها العام، إلا أن الأتباع قد يمارسون دوراً في تشكيل هذه الصفة لدى بعض القادة، ذلك عن طريق إشعارهم بالدور المهم الذي يمارسوه ضمن المرحلة التاريخية التي يحيونها. وتعتمد القيادة الملهمة على البطولة أو القدسيّة أكثر من اعتمادها على الوضع الرسمي، حيث يحظى القائد الكاريزمي أو الملهم بقبول غامر لدى الجماهير. بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ص٥٧؛ هاوس، القيادة الإدارية، ص٢٢٩.

(٥) لانج، المرجع نفسه، ص٧.

(٦) لانج، المرجع نفسه، ص٩.

مباشر في صقل أو بلورت كاريزما الشخصيّة البطوليّة للمختار الثقفي التي اتضحت معالمها فيما بعد.

إن تحوّل شخصيّة المختار إلى أسطورة ذات أبعاد كاريزمية هو بمثابة الوجه الآخر لدراما [١] التاريخ السياسي الذي أسهم هو شخصياً في صنعه، كما أنها الصيغة التي تعكس حدة الخلاف بين زمن السلطة وتاريخ الرمز [٢]، ففي هذا الخلاف كانت تتساقط قواعد المنطق [٣]، غير أنها لم تخمد حالة الخلاف بين محاولات تصويره بوصفه نموذجاً للفضيلة، وأخرى نموذجاً للزيغ والضلال [٤].

فالتضارب الذي وقع في تقييم شخصيّة المختار وتوجهاته، كان مردّه وحسبما يرى المُبَرِّد [٥] بأنه كان لا يُقفُ له على مذهب، فكان خارجياً، ثم صار زُبيرياً، وبعد ذلك أصبح رافضياً في ظاهره، على حد قول المُبَرِّد. فهذه التقلبات بين التوجهات العقديّة، جعلت من شخصيته القياديّة المعارضة، ذات نزعة يغيب عنها الاستقرار الواضح في التوجه، هذا من ناحية، ومن ناحيةٍ أخرى يؤكد هذا الأمر على أن المختار كان معارضاً للسلطات القائمة بامتياز.

فبالرجوع إلى أولى خطبهِ التي ألقاها في مجلسْ حضرهُ قوم من شيعة الكوفة [٦]، أخبرهم بأن المهدي بن الوصيّ، محمد بن علي، بعثه أليهم أميناً ووزيراً، ومُنتجباً وأميراً، وأنه مأمور بقتال المُلحدين، والطلب بدماء أهل بيتهِ، والدفع عن الضعفاء [٧].

---

(١) مصطلح مشتق من كلمة يونانية تعني يفعل أو يسلك، وتشير الكلمة أيضاً إلى التأليف أو التكوين، إذ عرّفها أرسطو باعتبارها محاكاة لفعل إنساني، يعكس ملمحاً ناشئا عن الاحتفالات الدينيّة. فتحي، معجم المصطلحات الأدبيّة، ص١٥٨ ـ ١٥٩.

(٢) ضَرَبَ مثلاً، كناية، تلميح، شيء يعتبر ممثلاً لشيء آخر، أو بتعبير أدق هو كلمة أو عبارة أو تعبير آخر يمتلك مركباً من المعاني المترابطة، وبهذا المعنى يمكن القول أن الرمز يمتلك قيماً تختلف عن قيم أي شيء يرمز إليه كائناً ما كان. دوزي، تكملة المعاجم العربية، باب : رَمَزَ، ج٥، ص٢١٥؛ فتحي، المرجع نفسه، ص١٧١.

(٣) آلة لجميع العلوم؛ وقيل : آلة من آلات الكلام، يُعرف بها صحيح الكلام من سقيمه، وفاسد المعنى من صالحه، كالميزان ...؛ وقيل أيضا : آلة قانونية تعصم مراعاتها الإنسان عَن أن يضلَّ في فكره. السجّستاني، صوان الحكمة، ص١٤٣؛ التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ج١، ص١٠٩؛ ابن سينا، الإشارات والتنبيهات، ج١، ص١١٧.

(٤) الجنابي، المختار والحركة المختارية ـ فلسفة التوبة والثأر، ص٢١.

(٥) الكامل في اللغة والأدب، ص٨٨.

(٦) يوم الجمعة للنصف من شهر رمضان من سنة ٦٤ للهجرة. ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٦، ص٢٩.

(٧) الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٥، ص٥٨٠؛ ابن الجوزي، المصدر نفسه، ج٦، ص٢٩.

يتضح بعض الشيء، أن المختار حَمَلَ تخويلاً بقيادة القوم صوب الهدف الذي رُسِمَ له مِن قِبَل ابن الحنفية، والذي لقّبه بالمهدي أبن الوصيّ، للتدليل على عِظَمْ حجم التكليف والمُكلِّف بالإضافة إلى المُكلَّف، من سياق الحديث والعبارات التي استخدمت بوضوح متناهي، ودقة عالية، حين وَصَفَ نفسه بالأمين على الأمر، والوزير المُنتجب، والأمير بالقيادة، موضحاً الهدف من ذلك، أي قتال الأمويين الذين وصفهم بالملحدين، طلباً بدماء أهل بيتهِ، إضافة إلى الدفاع عن المستضعفين من أهل العراق، ومنهم الشيعة والموالي.

ويبدو أن المختار قد تعكّز على الواقع الاجتماعي للكوفة وتقسيماتها السكانية والطبقية، حيث وجد الموالي أو الحمراء [١]، من أشد المعارضين لأساليب الظلم والتمييز التي مارسها معهم الحُكّام الأمويون، مما وضع المدينة والمناطق المجاورة لها، في صف المعارضة السياسية [٢]، فلجأ إلى محاولة استقطاب هذه الفئة الاجتماعية التي بلغ تعدادها زهاء عشرين ألف رجل في الكوفة وحدها [٣]، حسب بعض التقديرات، إضافة إلى ما عُرِفَت به الكوفة من ميل نحو التشيع بشكلٍ عام [٤].

إنَّ الصعود السريع، المُعَزّز بالبطولة والإقدام لشخصيّة كالمختار، ذات الأصل العائلي الشريف، إذ تمتعت أسرته بأهميّة واضحة بين أبناء قبيلة ثقيف في مدينة الطائف، فهم من أشرافها [٥]، منحه القدرة على التموج مع الأحداث بشكل واضح.

---

(١) وهم المسلمون من غير العرب، وتحديداً اطلقت اللفظة بمدلولها الجديد، والذي عرفه العرب بمعاني مغايرة، على العجم من أهل فارس، ذلك بعد دخولهم الإسلام، فكلمة الموالي ترادف كلمة الأنصار من حيث الدلالة والهدف، وان كان لفظ المولى يُطلق في اللغة على الشيء وضده، كونه من ألفاظ الأضداد، التي تحمل المعنى وخلافه، وتعتبر من المشتركات اللفظيّة. والعرب تطلق على الموالي من العجم كلمة الحمراء، كقولهم جئت من حمراء ديلم، نسبة إلى نقيب لهم كان اسمه ديلم، إذ لمّا غشي العرب المسلمون مدينة قزوين، كان يقيم بإزائهم قوم من أساورة الديلم، فلمّا أسلموا أتوا الكوفة وأقاموا بها، على غرار أساورة البصرة، وكان لهم من العطاء ما كان لِمَنْ سبقهم. البلاذري، فتوح البلدان، ص٣٩٣ ـ ٣٩٤؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة : حمر، مج٢، ج١٢، ص٩٩٠؛ بالنور، دور الموالي في سقوط الدولة الأموية ٤١ ـ ١٣٢هـ، ص٤٩ ـ ٥١، ٦٥؛ الجابري، الموالي في العراق ـ دراسة في أحوالهم العامة حتى سنة ١٣٢هـ، ص٦ ـ ٧؛ المقداد، الموالي ونظام الولاء ـ من الجاهلية إلى أواخر العصر الأموي، ص١٤٣ ـ ١٤٤؛ النجار، الموالي في العصر الأموي، ص١٠٧ ـ ١٠٩.

(٢) دلّو، مساهمة في إعادة كتابة التاريخ العربي ـ الإسلامي، ص١٧١.

(٣) الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٨٨؛ العلي، الكوفة وأهلها في صدر الإسلام ـ دراسة في أحوالها العمرانية وسكانها وتنظيماتها، ص٤٢٢.

(٤) دلّو، المرجع نفسه، ص١٧١.

(٥) ابن هشام، السيرة النبوية، ق١، ص٤١٩؛ ابن حبيب، المحبّر، ص٤٦٠.

أمّا بعد الإسلام، فقد عُدّ أبو عبيد بن مسعود والد المختار الثقفي من الصحابة، وأنه أول مَن انتدب للذهاب إلى العراق، إذ رأى فيه الخليفة الثاني عمر بن الخطاب صفات المحارب فأسند إليه القيادة [١]، ووصف بصاحب المنبر واستشهد بعد ذلك في جماعة من المسلمين أكثرهم من بني ثقيف، عند قتال الفرس في أثناء معركة الجسر، أول وقعة للمسلمين مع الفرس سنة ١٣هـ / ٦٣٣م [٢].

وضمن أخبار العراق لا نجد أي ذكر لمشاركة المختار في حروب ومعارك تلك المرحلة المُبكّرة، وربمّا يعود ذلك لصغر سنه، عدا بعض الإشارات الضعيفة غير الموثقة [٣]. وأمّا بصدد حياة المختار الخاصة فلا يُعرف عنها سوى القليل، غير أنّه تزوّج لأكثر من مرّة، وحين قتل كانت له زوجتان، الأولى : أم ثابت بنت سمرة بن جندب الفزاري، والثانية : عمرة بنت النعمان بن بشير الأنصاري [٤].

وبالعودة إلى تتبع عناصر شخصيّة المختار، يبدو أنه كان رجلاً ذكياً، وزعيماً شعبياً صاحب مكانة بين الناس، وإنَّه وهب الفراسة على فهم الجماهير ونفسياتهم وكيفية اجتذابهم إليه، حيث وصف بأنه : ذو رأي، وتأثير في سامعيه [٥].

وأدرك المختار ـ على ما يبدو ـ تلك القدرات التي يحملها بين جنباته، فعمل على توظيفها بالشكل المناسب، خصوصاً في الكوفة ـ مهد الشيعة وموطنهم ـ تلك الأرض الخصبة، فبادر إلى نثر بذور دعوته للأخذ بثأر آل البيت (عليهم السلام)، مستغلاً ذلك الخصام التقليدي القائم بين العراق والشام ، كي يضرب بأهل العراق أعدائهم أهل الشام ضربة حاسمة تضع حداً لحكمهم وهيمنتهم على السلطة ومقاليدها [٦].

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص٣٥٠؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص١١٣؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج١، ص١٣١.

(٢) البلاذري، المصدر نفسه، ص٣٥١ ـ ٣٥٢؛ ابن أعثم الكوفي، المصدر نفسه، ج١، ص١٣٤؛ ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، مج٤، ص١٧٠٩؛ ابن حجر، الاصابة في تمييز الصحابة، ج٧، ص٢٢٣.

(٣) يقول : ابن نما الحلي، من دون أن يشير إلى مصادره، أن المختار كان في سن ثلاثة عشر سنة، وحضر مع أبيه وقعة قس الناطف (يوم الجسر)، وكان يتفلت للقتال فيصده عمّه سعد بن مسعود عن ذلك. ذوب النّضار في شرح الثأر، ص٦٠ ـ ٦١؛ أبو الشعر، حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي في الكوفة، ص١٤٤ ـ ١٤٥.

(٤) الزبيري، نسب قريش، ص٣١٣ ـ ٣١٤؛ الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٦، ص١١٢؛ أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٩، ص٢٢٨ ـ ٢٢٩.

(٥) الطبري، المصدر نفسه، ج٥، ص٥٧٢ ـ ٥٧٣.

(٦) خليف، حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة، ص٧٥.

كان لظهور المختار الثقفي في المرحلة نفسها التي أنتجت الحجاج بن يوسف الثقفي ـ مع الاحتفاظ بفارق التوجه ـ قد شكّلت مفارقة، جعلت من التدوين التاريخي يقول : بأن المغيرة بن شعبة الثقفي [١] والمختار المعاصرين أحدهما للآخر ـ إضافة للحجاج ـ هما أبرز مَنْ أنجبتهم ثقيف، وكلاهما أشترك بخاصية الذكاء الفطري والدهاء السياسي. فالمغيرة داهية السلم والحرب، وفيه من الحيلة والمكر ما فيه، على حدِ وصف أحدهم [٢]، وبذات الصدد يتحدّث السيوطي [٣] قائلا في وصف المغيرة : لو أن مدينة لها ثمانية أبواب، لا يخرج مِن بابٍ منها إلا بِمَكْر وحيلة، لخرج المغيرة مِن أبوابها كافة. وفعلا قد خرج المغيرة بن شعبة خروجاً نهائياً من وجهة نظر التاريخ الأخلاقي في العراق، عندما جرى تجريده من كل شيء، بما في ذلك مِن تاريخ وعي الذات السياسي والروحي العراقي على مر الأزمان والحقب، لِما تركه من فجوة لدى النفوس، عبر سلوكيات بعيدة كل البعد عن المضمون الأخلاقي والقيمي [٤].

وبالمقابل وقع التاريخ العراقي ووعيّه الذاتي أسيراً مفتوناً بشخصيّة المختار، حيث انتج تأريخاً موازياً ومعاكساً لِما مرَّ عليه ضمن رواسب مرحلة الثقفي ابن شعبة، ليظهر الثقفي ابن أبي عبيد بشخصيته الثائرة المطالبة بإنصاف المضطهدين وأصحاب الحق [٥]. ويظهر مِن وراء هذين التاريخين وبينهما تراكمات الصورة الأسطورية للبطل الملهم؛ كونها استمدت أكثر عناصرها ومكوناتها من تاريخ واقعي، بعد أن تم رفعها إلى مصاف النضال الخالص. وهكذا جرى نسج الصورة

(١) صحابي شهد بيعة الرضوان، من ذوي الحزم والدهاء، تولى البصرة ثم الكوفة، في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (٢١ ـ ٢٤هـ / ٦٤١ ـ ٦٤٤م)، واستعمله معاوية بن أبي سفيان أيضا في السنوات (٤١ ـ ٥٠هـ / ٦٦٠ ـ ٦٦٩م)، اخلص المشورة لأبن أبي سفيان، فقيل هو من أشار عليه العهد بالملك لابنه يزيد من بعده، وأن يوليه ولاية العهد. مات بالطاعون بعد ان اصيب به سنة ٥٠هـ / ٦٦٩م، وفي رواية الطبري كان ذلك في سنة ٥١هـ / ٦٧٠م، ودفن في الكوفة. ابن قتيبة، المعارف، ص٢٩٥؛ الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٥، ص٢٥٥؛ الذهبي، تجريد أسماء الصحابة، ج٢، ص٩١؛ اليماني، غربال الزمان في وفيات الأعيان، ص٤٨؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٧٢؛ السيد، إمارة المغيرة بن شعبة الثقفي على الكوفة (٢١ ـ ٢٤هـ ، ٤١ ـ ٥٠هـ)، ص٨١ ـ ٨٦.

(٢) الذهبي، العبر في خبر مَن غبر، ج١، ص٥٦.

(٣) تاريخ الخلفاء، ص١٧١.

(٤) الجنابي، المختار والحركة المختارية ـ فلسفة التوبة والثأر، ص٢٧.

(٥) الجنابي، المرجع نفسه، ص٢٨؛ حسن، حضارة العرب في العصر الأموي، ص١٠٠.

النموذجية للمختار في الذهنية المذهبية، بوصفها لا تتعارض مع مجريات وحيثيات فعلها التاريخي المُنجز والمفعم بالبطولة والمناجزة، خصوصاً من بعض الأوجه [١].

كانت الانطلاقة التي خاضها المختار في عالم السياسية قد بدأت ببيعته لعبد الله بن الزبير في الحجاز، وحملت معها شروطاً، منها : ألّا تصدر الأمور إلا عن مشورة بين الطرفين، وأن لا ينفرد ابن الزبير بأمر دون المختار، كذلك أن لا يخالفه في شيء. ولمّا وجه يزيد بن معاوية جيشه صوب مكة لقمع عبد الله بن الزبير ومحاصرته، وقف المختار إلى جانبه، وقاتل معه في تلك المحنة. غير أن المختار قد استغل دعوة ابن الزبير لنفسه بالخلافة، على أثر موت يزيد المفاجئ، ففارقه متجهاً صوب الكوفة، لعله يجد فيها ما يبتغيه ويرضي طموحه السياسي المتصاعد [٢].

وأخذ طريقه صوب الكوفة، حيث تمكن من طرد واليها عبد الله بن مطيع من قبل ابن الزبير؛ وذلك بعد حصاره لقصر الإمارة أياماً عديدة، بمعية إبراهيم بن الأشتر، وجمع ممن تعهدوا بنصرته، طلباً للثأر من أشراف الكوفة وقتلت شهداء كربلاء [٣].

باستيلاء المختار على الكوفة وضواحيها، وبعد قتل إياس بن مضارب [٤] وأبنه راشد، ونفي عبد الله بن مطيع والي الزبيريين على الكوفة، تمكن من بسط نفوذه، تمهيداً لإعلان نفسه حاكماً جديداً، لا على الكوفة وحدها، بل العراق وما تلاه من جهة الشرق من أراضٍ وولايات [٥]، وإن كان ذلك من الناحية النظرية لا أكثر؛ نظراً لغياب اتفاق الروايات على تلك الأمكنة، بالإضافة لقصر مدة حكمه، وسيطرة الولاة المحليين من ذوي الميول الأموية أو الزبيرية على تلك المناطق [٦].

---

(١) الجنابي، المختار والحركة المختارية ـ فلسفة التوبة والثأر، ص٢٨.

(٢) الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٥، ص٥٧٥؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مج٣، ص٧٨؛ المقدسي، البدء والتاريخ، ج٦، ص١٨؛ الحصموتي، حركات المُعارضة السياسية في العصر الأموي في كتب أنساب الطالبيين ـ دراسة مقارنة، ص١٦٦.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، مج٤، ص٣١٥ ـ ٣١٧.

(٤) العجلي، صاحب شرطة الكوفة، زمن عبد الله بن مطيع، قتله إبراهيم بن الأشتر قبل إعلان المختار خروجه بقليل، ذلك في إحدى سكك الكوفة. البلاذري، المصدر نفسه، مج٤، ص٣١٣؛ جعيط، الكوفة ـ نشأة المدينة العربية الإسلامية، ص٣٠٤؛ أبو الشعر، حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي في الكوفة، ص١٧٧ ـ ١٧٨.

(٥) ابن قتيبة، المعارف، ص٣٥٦؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٩٠.

(٦) الدينوري، المصدر نفسه، ص٣٤٥؛ المسعودي، التنبيه والأشراف، ص٢٧٠؛ مسكوية، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج٢، ص١٠٦؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٦، ص٥٥؛ أبو الشعر، المرجع نفسه، ص٢٠٠، ٢٠٨ ـ ٢٠٩؛ الغزي، شخصيّة المختار الثقفي عند المؤرخين القدامى، ص٢٨٣ ـ ٢٨٤؛ ٢٨٩، ٢٩٢.

ويبدو أن المختار كان على جانب مهم من المعرفة في أساليب التعامل النفسي أو ما يُصطلح عليه بالحرب النفسية [١]، وله القدرة على توظيف وسائل الإعلام والدعاية، فكان يُخاطب عواطف الناس ومشاعرهم، كما كان يُخاطب عقولهم، ولم يكتفِ بالوسائل الدعائية المُتعارف عليها ذلك العصر كالشعر والخطابة، بل فعّل أساليب جديدة، منها التمثيل والتشابيه، ضمن ما يُسمى بمسرح الشارع [٢]، ولجأ إلى تحشيد المظاهرات للمطالبة بالقصاص من قتلت أهل البيت (عليهم السلام) في يوم كربلاء، والعمل على بث الشائعات [٣]، حتى تمكن من تحقيق انقلاباً عسكرياً لانتزاع الكوفة من أيدي الزبيريين [٤].

يتضح دهاء شخصيّة المختار في عدة مواقف، تعكس بالضرورة ذلك الميل الواضح من قِبَله، صوب مَنح المُتَلَقي، أنه أمام شخصيّة مُتَفرّدة في التعامل مع الامور، ليس بالمعنى الواقعي وحسب، بل أن هناك تأييد غيبي لقضيته، وإلهام يُسدد خطاه، لإنجاز صورة واقع يحاول تشكيله من جديد؛ حيث تجلى بشكل دقيق في مسألة حديثه للخواص بأنّه مبعوث محمد بن الحنفية، ذلك في كلماته التي بثّها بين شيعة الكوفة قُبَيل خروج سُليمان بن صُرَد الخُزاعي، إذ قال : إني قد جئتكم من قِبَل وَلِيِّ الأمر،... بأمر فيهِ الشفاء، وكشفُ الغِطَاء، وقتلُ الأعداءِ، وتمامُ النّعْماء [٥].

---

(١) وضع العدو ضمن حالة نفسية معيّنة، غالباً ما تكون غير مستقرة، مما تفضي إلى الهزيمة والانكسار المعنوي، الذي يسبق الواقعي، ذلك بالاستخدام المدبر لفعاليات معينة، هدفها التأثير على آراء وعواطف وسلوك مجموعة من البشر وقت الحرب، عن طريق تغيير منهج تفكيرهم بشكل يحقق مصالح المستفيد وغاياته في القضايا التي يجري الصراع من أجلها. عدّاي، الحرب النفسيّة منذ بداية الدعوة الإسلاميّة حتى نهاية العصر الأموي، ص١٦ ـ ١٧.

(٢) ذلك المسرح المكشوف، الذي يُقدم العرض في الهواء الطلق، وسط الناس حيث يسرح البصر، بهدف معالجة قضايا سياسية أو اجتماعية تهمهم، دون أن يتطلب وجود جمهور محدد؛ لأنه يُعرض للمشاهدين الموجودين في الطرقات من المارّة، من كافة الفئات العمرية والطبقيّة والثقافية، وهو يمتلك حريّة أكبر في التعبير عن الآراء، وطرح الأفكار، ويكتسب التفاعل مع الجمهور دون التقيّد بشروط السلطات الحكوميّة أو المؤسساتية. محمد، مسرح الشارع في إيران، ص١٠٤٢.

(٣) تلك القصص، أو الأخبار غير المؤيدة، التي تتداولها العامة على ألسنها بصورة فطرية، وغالباً ما تجد أذناً صاغية، وميلاً قوياً لتقبلها كحقيقة واقعة، وعادةً ما تكون مجهولة المصدر، هدفها إضعاف القوى المعنوية للسلطة الحاكمة وقواها الأمنية ومؤيديها من عامة الناس. عدّاي، المرجع نفسه، ص٢٩ ـ ٣٠.

(٤) الحصموتي، حركات المُعارضة السياسية في العصر الأموي في كتب أنساب الطالبيين ـ دراسة مقارنة، ص١٦٨؛ الخربوطلي، المختار الثقفي مرآة العصر الأموي، ص٤٣.

(٥) الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٥، ص٥٨٠.

ويُتبِعها بالقول: ...إني إنما أعملُ على مِثالٍ قد مُثِّلَ لي، وأمرٍ قد بُيِّنَ لي،.. فاسمعوا مني قولي، وأطيعوا أمري، ثم أبْشِرُوا وتباشَرُوا، فإني لكم بكل ما تأمُلون خيرُ زعيم [١]، وهو نزوع واضح باتجاه سيطرت الأنا على خطابه الموجّه، صوب قلوب الناس، قبل عقولهم، حيث التعزيز بألفاظ قرآنية ذات صدى ورنين يخترق الحُجُب، مختتماً بالمطلب والمراد، أنه الزعيم الأوحد من بين جميع مَن تأملون أو تترجون.

ومما كان يردده على مسامع زائريه في سجنه، أيام والي ابن الزبير على الكوفة، عبد الله بن يزيد [٢]، قبل أن يطلقه بشفاعة عبد الله بن عمر بن الخطاب، تلك الكلمات التي كان يكررها، بقوله : ...لاقتلنَّ كل جبَّار، بكل لدن خطّار، ومهند بتّار، في جموع من الأنصار،.. حتى إذا أقمتُ عمودَ الدين، ورأبت شَعْبَ صَدْعِ المسلمين، وَشَفيتُ غليلَ صدور المؤمنين، وأدركت بثأر النبيّين،.. [٣]، وكأنه يتحدّث بلغة الموقن المُدرك لِما سيعمل، فهي عبارات أشبه ما تكون قراءة لِما يقع على يديه من أمور خاصة بعقاب المخالفين، وكأنه طالب الثأر ومُدرِكه.

إن تحليل شخصيّة المختار التاريخيّة من جانب، والروحيّة من جانب آخر، كذلك الرؤية المتعارضة والمتضادة عنه بين القوى المتصارعة، يكشف عن كونه شكلاً من أشكال التجلي النموذجي للروح الشعبي المقاوم للطغيان والظلم من زاوية [٤]، ومن زاوية أخرى يوضح شخصيته التواقة للسلطة والهيمنة ذات البُعد الكارزمي المستند إلى الفضيلة البطولية والقيم المثالية، وكأنه مُسدد من قوى غيبيّة لإنجاز مهمة مقدسّة، مما يضفي الشرعيّة على صورة الفارس البرجوازي [٥]، المتشح بأخلاقيات خاصة،

---

(١) الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٥، ص٥٨٠؛ صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العرب الزاهرة ـ العصر الأموي، ج٢، ص٧٥.

(٢) ابن زيد بن حصين الخطمي الأوسي الأنصاري، قيل شهد صلح الحديبية، واشترك في حربي الجمل وصفين إلى جانب أمير المؤمنين (عليه السلام)، ولاه عبد الله بن الزبير ولاية الكوفة، ذلك سنة ٦٤هـ / ٦٨٣م. البلاذري، أنساب الأشراف، مج٤، ص٢٨٤؛ الطبري، المصدر نفسه، ج٥، ص٥٦٠؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٣، ص٧٠٦ ـ ٧٠٧.

(٣) الطبري، المصدر نفسه، ج٥، ص٥٨١ ـ ٥٨٢؛ صفوت، المرجع نفسه، ج٢، ص٧٦.

(٤) الجنابي، المختار والحركة المختارية ـ فلسفة التوبة والثأر، ص٣٧.

(٥) كلمة فرنسية الأصل، ترمز إلى طبقة اجتماعية تُدعى بالطبقة الوسطى، وهذه الطبقة قائمة بين طبقة النبلاء (الأثرياء) والطبقة العاملة (العمال والكسبة)، حيث نشأت هذه الطبقة وتطورت في صلب المجتمع الاقطاعي، ومارست النضال عبر مئات السنين من أجل تحقيق السيطرة السياسية والاقتصادية. بونوماريوف، القاموس السياسي، ص٧٥؛ نبهان، معجم مصطلحات التاريخ، ص٧٢.

والمحصورة في أولئك الذين يمتلكون كاريزما القداسة [١]. ويمكن القول أن السبب الكامن وراء بغض السلطات له، وحب العامّة إياه، هو ذات الأمر الذي قاد إلى وقوع تشويه الدعاية الرسمية بحقه، وتعظيم الوجدان الشيعي المعذّب بويلات الاستبداد والانتهاك الفض الذي مورس بحقهم ولقرون عدة؛ مما أفاض إلى تجسيد النضال الثأري عبر شخصيّة كان لها بصمة وتأثير واضحان، أريد لها أن تحيا في صميم ذاكرة الأجيال [٢].

وخلاصة القول، أن حركة المختار بظروفها ومنطلقاتها التي عكست جانباً من شخصيته المُتشيعة، قد حملت معها نزعة سلطوية لدى قائدها الطموح [٣]، الذي تمكن في شهور العام ٦٦هـ / ٦٨٥هـ من تشكيل أولى رموز حركة التشيع التي تتجاوز أفكار " الثأر " و " التوبة "، لصالح التنظيم السري المستند إلى قاعدة قوية نوعاً ما، وتحقيق انتصارات على أرض الواقع، عن طريق معاقبة بعض المشتركين في مذبحة كربلاء [٤]، وكان الأهم من كل ما تقدّم، هو التصديق بإمكان إنشاء سلطة ضمن دولة يحكمها التشيع، ولو بإطاره العام [٥].

(١) راينو، ماكس فيبر ومفارقات العقل الحديث، ص٢٢٧، ٢٣٢.
(٢) الجنابي، المختار والمختارية ـ فلسفة التوبة والثأر، ص٣٨ ـ ٣٩.
(٣) بيضون، ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري، ص٢٤٤.
(٤) كون المهمة لم تكن بهذا اليُسر، إذ كان المتورطون في دم الحسين (عليه السلام) أناسٌ كُثُر، ينتمون إلى قبائل شتّا. عاشور، حركات المعارضة في الدولة العربية الإسلامية من (١١ ـ ٣٢٢هـ / ٦٣٣ ـ ٩٣٤م) من خلال كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي، ص١٥٨.
(٥) السيد، مفاهيم الجماعات في الإسلام ـ دراسات في السوسيولوجيا التاريخية للاجتماع العربي الإسلامي، ص٥٨.

ثانياً : طبيعة الخطاب السياسي للمختار اتجاه القاعدة :

كان لغياب المختار عن العراق مدة طويلة نسبياً [١]، إذ عاش عاماً كاملاً في موطنه الطائف [٢]، حيث شهد خلالها مقدم الجيش الأموي إلى المدينة ثم حصار تلك القوة العسكرية لمكة [٣]، ومن ثم مكوثه لخمسة أشهر في مكة بعد رحيل يزيد ابن معاوية، ومساهمته في فك الحصار الأموي عنها [٤]. خلال تلك الفترة نرى حرص المختار على استقصاء أحوال العراق السياسية، عن طريق سؤال القادمين منه إلى الحجاز، كي يتمكن من رسم طريقه وخططه، ويكيّف سياسته بناءً على ظروف العراق بشكل عام والكوفة بشكل خاص، خلال تلك الفترة [٥].

وبالنظر لوضع الكوفة الديموغرافي [٦] والسياسي بالإضافة للجانبين الاجتماعي والاقتصادي، وكونها أحد أهم المعاقل للحركة الشيعية في صدر الإسلام. كان يُشد إليها الرحال من بعض قادة الشيعة وزعمائهم، لتنظيم الدعوة، وتعبئة القوى، وتوعية الجمهور، وتوحيد صفوفهم، لمواجهة السلطة الأموية وولاتها القساة، وهو عين ما قام به المختار بن أبي عبيد الثقفي [٧].

شَخِصَ المختار إلى الكوفة، كونه داعياً شيعياً، ذلك للقيام بمهمة الدعوة إلى محمد بن الحنفيّة متخذاً من الستر والكتمان غطاءً لعمله المنشود [٨].

إذ يُخبرنا البلاذري [٩] بأن المختار بعد أن يأس من عبد الله بن الزبير من أن يوليه شيئاً، أخذ يسأل القادمين إلى مكة عن أخبار الكوفة وأحوال أهلها، فعلم منهم

---

(١) أبو مِخْنَف، أخبار المختار بن أبي عبيد الثقفي، ص٣٩، ٤١.
(٢) الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٥، ص٥٧٣.
(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، مج٤، ص٣٠٧.
(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، مج٥، ص١١٢؛ الطبري، المصدر نفسه، ج٥، ص٥٧٧.
(٥) البلاذري، المصدر نفسه، مج٤، ص٣٠٧؛ الخربوطلي، المختار الثقفي مرآة العصر الأموي، ص١١٧.
(٦) علم دراسة السكان وتاريخهم وخصائصهم وسلوكهم ضمن فترة معينة من الزمن ولمكان محدد. بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ص١٩٤؛ الخريف، معجم المصطلحات السكانية والتنموية، ص١٠٤ ـ ١٠٥.
(٧) دلّو، مساهمة في إعادة كتابة التاريخ العربي ـ الإسلامي، ص١٧١.
(٨) البلاذري، المصدر نفسه، مج٤، ص٣٠٧؛ الطبري، المصدر نفسه، ج٥، ص٥٧٨.
(٩) المصدر نفسه، مج٤، ص٣٠٧.

بطرد عمرو بن حريث [١] عامل ابن زياد، وأنهم قد اصطلحوا على عامر بن مسعود بن أمية بن خلف [٢]، لتسيير أمور الناس وشئونهم.

وبعد أن عَلِمَ المختار ببعض هذه التطورات، وخصوصاً ما تعلّق منها بطرد فلان وتولية فلان، كان يُرَدد : أنا أبو أسحاق، أنا لها إذ ليس لها أحد غيري، أنا راعيها إذا أظل راعيها. فقرر شد الرحال صوب العراق، قاصداً الكوفة، فلما وصل نهر الحيرة، اغتسل واستعد متقلداً سيفه وأمتطى راحلته، فمرَّ بمسجد السكون، وجبّانة [٣] كندة، وجعل لا يمر بمكان أو مسجد إلا وسلّم على أهله، ويبث فيهم روح النصر، ويعدهم بالفرج واليسر، وطلب من كبار القوم من كندة وهمدان وغيرهم أن يجمعوا قومهم للقائه، فأخذ يُبَشرَهم ويبلغهم السلام عن ابن الحنفيّة [٤].

ورافق مجيئه إلى الكوفة، ظروف أزمة سياسية واجتماعية حادة، تفاقمت في ظلها التناقضات واتسعت دائرة المواجهات وموجة الاضطرابات، واشتدت الأمور تعقيداً حتى كادت تعصف بحكم بني أميّة [٥].

---

(١) أبو سعيد ابن عمرو بن عثمان المخزومي القرشي الكوفي، صحابي من الطلقاء، ولد يوم بدر، وقيل قبل ذلك، رحل الرسول (ﷺ) وله اثنتي عشرة سنة، ولي الكوفة لزياد بن أبي سفيان ولابنه عبيد الله بن زياد، مات بمكة سنة ٨٥هـ / ٧٠٣م، زمن عبد الملك بن مروان. ابن حجر، تهذيب التهذيب، مج٥، ص١٦.

(٢) أبو إبراهيم الجُمَحِيّ القرشي، مُختلف في صحبته، ولي الكوفة بعد موت يزيد بن معاوية باتفاق من أهلها عليه، أقره عبد الله بن الزبير على الكوفة، وعزله عنها بعد ثلاثة أشهر، وأستعمل عبد الله بن يزيد الخطمي. ابن الأثير، أسدُ الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص١٤١ ـ ١٤٢؛ ابن حجر، المصدر نفسه، مج٣، ص٣٥٢ ـ ٣٥٣.

(٣) الصحراء، وتسمى بها المقابر كونها تُقام في الصحراء، وهو من باب تسمية للشيء بموضعه، كذلك هي الأرض الملساء المستوية بارتفاع خالية من الشجر والحجر، وغالباً ما تُتخذ الجبانة في أرض رملية لا صخرية، لسهولة صنع التجاويف والقبور لستر واخفاء جثامين الموتى. ويُشار إلى أن الجبّانة كانت مكاناً للتجمع داخل الخطط، وموقعاً استراتيجياً بالنسبة للقبيلة أو مجموعة من القبائل. ابن منظور، لسان العرب، مادة : جبن، ج٧، ص٥٤٠؛ جعيط، الكوفة ـ نشأة المدينة العربية الإسلاميّة، ص٣٠٥؛ قلعه جي، معجم لغة الفقهاء، ص٤٢٢.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، مج٤، ص٣٠٧؛ الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٥، ص٥٧٨.

(٥) دلّو، مساهمة في إعادة كتابة التاريخ العربي ـ الإسلامي، ص١٧٢.

وهنا بدأ المختار بإجراء اتصالاته البينية مع العرب وقسماً من الموالي، وخوصاً الناقمين منهم، معتمداً مبدأ التقيّة [١]، مضطراً بعض الأحيان إلى التظاهر بأنه مع السلطة، دفعاً للشبهة [٢].

تمثل المختار في خطابه السياسي نوعاً من الشدة، وبإلقاء اللوم على قوم من شيعة الكوفة، مُعتبراً أن تأرجحهم، وتشكيكهم بِمصداقيته، شكلاً من أشكال الضعف والتخاذل، خصوصاً بعد عودتهم من لقاء كانوا قد عقدوه بمكة مع ابن الحنفية، وكان يرأسهم عبد الرحمن بن شريح الشِبَامي [٣]، إذ كان المختار يخشى أن يأتوا هؤلاء الرجال بأمر يُخَذِّل الشيعة عنه؛ فكان يقول : إن نفيراً منكم ارتابوا، وتحيّروا، وخابوا، فإن هم أصابوا، أقبلوا وأنابوا، وإن هم كبَوْا وهابوا، واعترضوا وانجابوا، فقد ثَبَروا وحَابُوا. وكأنه يصفهم بقوله، إن هم انسلخوا منا وانشقوا علينا، فقد هلكوا، وأثِموا، بفعلهم هذا [٤]. فكان هذا أول أشكال خطابه السياسي المتشح بألوان من التحذير من عواقب التخاذل والتشكيك.

وبعد عودتهم من ذلك اللقاء، دخلوا على المختار، فأستفهم منهم عن سبب القدوم، بعد أن قال لهم حين مقدمهم : ارتبتم وتحيرتم، فما كان منهم إلا القول : قد أُمِرنَا بنصرتك، فأستبشر المختار بذلك، وطلب أن يجمعوا الشيعة للتو، فخاطبهم بالقول : يا معشر الشيعة، إن نفراً منكم أحبوا أن يعلموا مِصْدَاقَ ما جئت به، فَرَحَلُوا إلى إمام الهدى، والنجيب المرتضَى، .. فسألوه عمّا قَدِمْتُ به عليكم، فأخبرهم أني وَزيره وظهيره، ورسوله وخليله، وأمركم باتباعي وطاعتي، فيما دعوتكم إليه، مِن قتال المُحِلِّين، والطلب بِدَمِ الحسين (عليه السلام) [٥].

---

(١) كتمان الحق وستر الاعتقاد به، ومكاتمة المخالفين، وترك مظاهرتهم، بما قد يسبب ضرراً في الدين أو الدّنيا. المفيد، تصحيح اعتقادات الإماميّة، ص١٣٧.

(٢) الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٨٨.

(٣) لم يُعثر له على ترجمة، وفق المصادر المتاحة. غير أن البلاذري نسبه إلى عشيرة شِبَام : حي من همدان، وأمّا الطبري فذكره كإمام للقوم الذين التقوا بابن الحنفية بمكة، وإنه مَن بدأ الكلام نيابة عنهم عند اللقاء. أنساب الأشراف، مج٤، ص٣١٠؛ تاريخ الرُسُل والملوك، ج٦، ص١٣؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٥٤، ص٣٤٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٤، ص٢٩.

(٤) الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٦، ص١٤؛ صفوت، جمهرة خُطب العرب في عصور العرب الزاهرة ـ العصر الأموي، ج٢، ص٧٩ ـ ٨٠.

(٥) البلاذري، المصدر نفسه، مج٤، ص٣١١؛ الطبري، المصدر نفسه، ج٦، ص١٤؛ صفوت، المرجع نفسه، ج٢، ص٨٠.

هكذا يتضح بأن موقف المختار أمام رجالات شيعة الكوفة قد تعزز، وخطابه السياسي سيتخذ منحى القوة والقبول أكثر مما سبق، رغم أن تصريح ابن الحنفية لم يكن بذلك الوضوح [١]، الذي قدّمه المختار عن طريق خطبه فيما بعد [٢].

ويخبرنا الطبري [٣] أن عبد الرحمن بن شريح قد خطب بين المجتمعين، موضحاً لهم طبيعة الخطوة التي خطاها وأصحابه في اطار التوثق وتحقيق الاطمئنان لِما دعا لهُ المختار من تأييد ورضا ابن الحنفيّة له ولحركته المزمع القيام بها، مطلب الثأر لواقعة كربلاء التي راح ضحيتها رجالات من آل البيت (عليهم السلام)، وجمع من أنصارهم، كذلك الحد من قوة وتوسع بني مروان في العراق، وسلبهم نفوذهم ونفوذ آل الزبير الأعداء التقليديين لآل علي (عليه السلام) وشيعتهم.

وسيراً على النهج ذاته الذي اختطه المختار لنفسه في تثبيت أركانه، وتدعيم موقفه السياسي، نراه يمضي بمعية بضعة عشر رجلاً من وجوه أصحابه إلى دار إبراهيم من الأشتر، في خطوة متقدمّة، ابتغاء الحصول على دعمه ونصرته، لِما يَعْزِم عليه المختار من خطوات مستقبليّة، ذلك في سبيل قطع الطريق على ابن الأشتر الذي تمت مفاتحته بالأمر فيما سبق، فوافق على تأييد الخروج، غير أنه اشترط تولي الزعامة والقيادة، فبلغ المختار ذلك، فما كان منه إلا أن قرر الذهاب بنفسه ولقاء ابن الأشتر في جمع من الوجوه والأنصار [٤].

وهناك خَطَبَ المختار في جمع الحاضرين، ومنهم بالطبع ابن الأشتر، مُشيراً إلى كتاب ابن الحنفيّة، بأنّه يدعوه ويدعوا شيعته إلى نصرت المختار ومساندته، وان فعل فقد سَعُدَ بذلك، وان امتنع فهذا الكتاب عليه ـ أي ابن الأشتر ـ حجة. وهنا تكلّم إبراهيم مخاطباً المختار ومن معه، بأنه قد كاتب محمد بن علي، وكاتبني، فما رأيت أن كتب إليّ قط، إلا باسمه واسم ابيه، لا يزيد على ذلك شيء، واني استغرب هذا الكتاب الذي يُحمّل محمد بن علي صفة " المهدي "، فشهد بعض وجوه الحاضرين بِصحّة الكتاب، وانه صادر عن ابن الحنفيّة، فأقرّ إبراهيم ابن الأشتر بذلك، وبايع

(١) أبو مِخْنَف، أخبار المختار بن أبي عبيد الثقفي، ص٥٦؛ البلاذري، أنساب الأشراف، مج٤، ص٣١١؛ الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٦، ص١٤؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٥٤، ص٣٤٦.

(٢) ابن عساكر، المصدر نفسه، ج٥٤، ص٣٤٣، ٣٤٩؛ ابن نما الحلي، ذوب النّضار في شرح طلب الثـّار، ص٩٨.

(٣) المصدر نفسه، ج٦، ص١٤ ـ ١٥؛ صفوت، جمهرة خطب العرب ـ العصر الأموي، ج٢، ص٨٠ ـ ٨١.

(٤) أبو مِخْنَف، المصدر نفسه، ص٥٨؛ البلاذري، المصدر نفسه، مج٤، ص٣١١ ـ ٣١٢.

المختار [١]، على أن له الأعنة والمنابر، وكل أرض يضع يده عليها، فيما بين الكوفة وأقصى بلاد الشام، فهي له أيضا [٢].

فأستجاب لدعوة المختار قومٌ كُثُر من الموالي، ممن كان يُطلق عليهم الحَمْرَاء أو بني الأحمر، وهي تسميّة كان العرب يُطلقونها على عامة الفُرْس [٣]، كما انخرطت جماعات من العرب في دعوته [٤]، وطوائف مسيحيّة سكنة العراق من أهل الذمّة كانت تُعْرف بالعباد [٥]، وهكذا أخذ أنصاره يتقاطرون من مناطقهم عند سماعهم الأنباء، فازدادت أعدادهم بشكلٍ ملحوظ، مما أفزع والي الكوفة [٦].

سعى المختار عبر خطابه السياسي إلى توحيد صفوف الشيعة، ذلك منذ أيام والي الكوفة عبد الله بن يزيد الأنصّاري، وقبل خروج ابن صُرَّد، فكان يختلف إليهم ويختلفون إليه [٧]، وحينما علم بنيتهم الخروج بقيادة سُليمان بن صُرَد لأخذ الثأر من قتلة الحسين (عليه السلام)، حدّثهم بأن الخُزاعي ليس بصاحب تجربة سياسية ولا علم له بأفانين الحرب، وإنما يُريد التكفير عن ذنبه بقتل نفسه وبقتلهم معه ـ أي الشيعة ـ وهذا أمرٌ عظيم [٨].

وكان الزبيريون وأنصارهم بالعراق، ويقودهم عبد الله بن يزيد الأنصاري الحطمي، والي الكوفة في حينه، يُحرّضون التوّابين، ويُشجعونهم على الخروج لقتال الأمويين، كيما يتسنى لهم التخلص منهم جميعاً؛ ومن ثمَّ يستقر لهم حُكُم العراق [٩].

---

(١) أبو مِخْنَف، أخبار المُختار بن أبي عبيد الثقفي، ص٥٨ ـ ٥٩؛ البلاذري، أنساب الأشراف، مج٤، ص٣١١؛ الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٦، ص١٦.

(٢) البلاذري، المصدر نفسه، مج٤، ص٣١٢؛ ابن نما الحلي، ذوب النّضار في شرح طلب الثّـار، ص٩٩ ـ ١٠٠.

(٣) الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٨٨؛ ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية عصر الخلفاء الأمويّين، ١١٦ ـ ١١٧.

(٤) الطبري، المصدر نفسه، ج٦، ص١٥، ١٨؛ الحلي، المختار الثقفي في ميزان الجرح والتعديل عند الفريقين، ص٤٧؛ ماجد، المرجع نفسه، ص١١٦.

(٥) ماجد، المرجع نفسه، ص١١٧.

(٦) الطبري، المصدر نفسه، ج٦، ص٢٠ ـ ٢١.

(٧) الدينوري، المصدر نفسه، ص٢٨٨؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٧٤ ـ ١٧٥؛ الطبري، المصدر نفسه، ج٦، ص١٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٤، ص٢٧.

(٨) دلو، مساهمة في إعادة كتابة التاريخ العربي ـ الإسلامي، ص١٧٢؛ ماجد، المرجع نفسه، ص١١٤ ـ ١١٥.

(٩) ابن الأثير، المصدر نفسه، مج٣، ٤٩٥؛ بيضون، التوّابون، ص١١٩، محمد، حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي وأبعادها السياسيّة والفكريّة، ص٦٧.

وقد تمكن المختار خلال تلك الفترة، وبعد جهد أن يستميل طائفة منهم [١]. وبعد هزيمة التوّابين في موقعة عين الوردة [٢]، من أرض الجزيرة عام (٦٥هـ / ٦٨٤م)، ٦٨٤م)، انضمَّت بقاياهم إلى جَمْع المختار، كما انضمَّ إبراهيم بن مالك الأشتر بُعيد ذلك [٣].

ونتيجة لشعور الشيعة وأنصارهم بالتعاطف السياسي والاجتماعي الواضح، الذي أبداه معهم أهل الكوفة، قادهم الأمر آنذاك للإحساس بشيء من القوة؛ وذلك لكون سكان الكوفة وما يجاورها من المناطق، كانوا في غالبيتهم من أنصار علي (عليه السلام) وبنوه؛ مما عزّز لدى المختار الخوض في توجهه السياسي، مُتخذاً من خطوته التالية شِعاراً للإيذان بإعلان الثورة، عن طريق مبايعته لمحمد بن الحنفية، والخروج على سلطة ابن الزبير، فشكّل ذلك دافعاً أعلى للحصول على تأييد أكثر الطبقات الاجتماعية شعوراً بالقهر الاقتصادي والاضطهاد المذهبي، من سكان العراق عموماً، أبان تلك المرحلة الزمنيّة [٤].

فمغزى الحركة التي تزعمها المختار ـ كانت وحسب بعض التصوّرات ـ نتيجة التذمر العام، الذي ساد مناطق عديدة من جغرافية المجتمع الإسلامي، على خلفية سلوك حُكام آل أميّة وولاتهم، الذين أتخذوا من حياة الترف والبذخ منهاجاً صاخباً، إضافة إلى احتقارهم البعيد عَنْ الحِكمّة للإسلام ومبادئه، كذلك نتيجة لسياستهم

(١) الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٨٩.

(٢) مدينة مشهورة من أعمال أرض الجزيرة الفراتية، كانت فيها وقعة للعرب، ويوم من أيامهم، وكان من رُؤسائهم رِفاعة بن شدّاد، هذا ما ذكره الحموي في معجمه؛ وأمّا البكري فأورد قائلاً : هي على مقربة من الكوفة، وهناك قَتَلَ عسكر عبيد الله بن زياد، سليمان بن صرد الخزاعي، أمير التوابين، الذين خرجوا في الطلب بدم الحسين (عليه السلام)، وقالوا : لا توبة لنا إلا أن نقتل أنفسنا في الطلب بدمه؛ وكانوا فيمن كتب إلى الحسين (عليه السلام) يسألونه القدوم إلى الكوفة. وكان على جيش ابن زياد شرحبيل بن ذي الكلاع. وكان سليمان ممن له صُحبة، وكان خيّراً فاضلاً ذا دين وسن، وقُتِلَ وهو ابن ثلاث وتسعين سنة، وكان أن شهد صفين مع علي (عليه السلام). وذكر ابن الأثير الجزري، أنها رأس عين، تنبع لبضع أميال إلى الشمال من قرقيسيا على نهر الفرات. البكري، معجم ما أستعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج٤، ص١٣٧٦ ـ ١٣٧٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٤، ص١٨٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٤، ص٦، ٩٤؛ بيضون، التوّابون، ص١٤٥.

(٣) الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٥، ص٦٠٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٤، ص٩؛ عبد الحميد، دور القبائل اليمنية في نشأة التشيع والمعارضة الشيعية من تمصير الكوفة إلى وقعة عين الوردة ١٧ ـ ٦٥هـ / ٦٣٧ ـ ٦٨٤م، ص٢٨٤ ـ ٢٨٥، ٢٩٥ ـ ٢٩٧.

(٤) خليف، حياة الشِعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة، ص١٣٥ ـ ١٣٦؛ دلو، مساهمة في إعادة كتابة التاريخ العربي ـ الإسلامي، ص١٧٢ ـ ١٧٣.

الإداريّة والماليّة الظالمة والبعيدة عن سلوك الإنصاف لألوان الرعيّة العِرْقيّة أو الإثنية كافة [١]، خصوصاً تجاه المسلمين ممن اعتنقوا الإسلام في فترات متأخرة، أمثال قُطّاع الخشب (الحطابون) الأعاجم والسقائين الفُقَراء، وغيرهم من بسطاء القوم. فَرُبمّا هذه كانت الأسباب الأكثر مَقبوليّة لثورة المختار ودوافع حركته، وإن كانت ترمي في الظاهر إلى تأييد حقوق آل علي (عليهم السلام) عُموماً، ومحمد بن الحنفيّة خصوصاً، الذي تم اتخاذ اسمه عنواناً بارزاً وشرعيّاً للحركة المُزمع قيامُها [٢].

ومن أخطر أساليب الخطاب السياسي التي لجأ إليها المختار في الكوفة، ذلك بعد هروب ابن مطيع والي الزبيريين [٣]، هو استظهار الباطن الروحي ضمن الموقف السياسي العلني، عبر اللجوء إلى التعبير النموذجي عن الجوهر [٤]، الدال على تراكم الدوافع الفكريّة والسياسيّة الشخصيّة لديه [٥].

ففي أولى خطبه التي ألقاها بعد فِرار ابن مطيع من قصر الإمارة، صبيحة اليوم التالي من مَبيت المختار بذلك المكان الجديد، حيث احتشد الناس في المسجد وعلى باب القصر، فخرج إليهم، واستقلّ المنبر، وتحدَّث في أولها، قائلاً : الحمد لله الذي وعد وليّه النصر، وعدوّه الخُسْر، وجعله فيهِ إلى آخر الدهر، .. أيها الناس، إنه رُفعت لنا راية، وَمُدّت لنا غاية، .. فسمعنا دعوة الداعي، ومقالة الواعي، .. وبُعداً لمن طغى، وأدبر وعَصَى، وكَذّب وتولّى، حتى ينتهي للقول : ألا فادخلوا أيها الناس

---

(١) مُفردها (عِرْق)، وتعني جنس بشري، أو سلالة من الناس، يُصَنَّفون بناءً على التاريخ أو الجنسيّة أو التوزيع الجغرافي المُشترك، وتأتي بمعنى الأساس : أي الأصل من الشيء. أمّا الأثنيّة، فهي تحمل ذات المعنى، والقاضي بتبيان خصائص وأخلاق وثقافة وانتشار نوع بشري أو سلالة مُعيّنة من جنس البشر ضمن محيط جغرافي محدد. شتراوس، العِرْق والتاريخ، ص٧، ١٦؛ عمر، معجم اللغة العربية المُعاصرة، مادة : إثنولوجيا، مج١، ص٦٣؛ مادة : عِرْق، مج٢، ص١٤٨٨.

(٢) خليف، حياة الشِعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة، ص٧٧ ـ ٧٨؛ كريمر، الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبيّة، ص٣٧ ـ ٣٨.

(٣) أبو مِخْنَف، أخبار المُختار بن أبي عبيد الثقفي، ص٧٤؛ ابن سعد، الطبقات الكُبرى، مج٥، ص١١٣؛ الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٦، ص٣٢.

(٤) تعبير فلسفي ورد في كتب الحِكْمَة، يُراد منه الإشارة إلى الحقيقة والذات، وجوهر الشيء : مادته وكنهه، أي أصل الشيء ومادته، وبالتالي فجوهر كل شيء : أصله. ابن كمّونة، الجديد في الحِكْمَة، ص٢٥٥؛ الحكيم، المعجم الصوفي ـ الحكمة في حدود الكلمة، مادة : جوهر، ص٢٩٧؛ دوزي، تكملة المعاجم العربيّة، مادة : جوهر، مج٢، ص٣٥٤ ـ ٣٥٥.

(٥) الخوالدة، تطوّر الخطابة في ظل التنافس السياسي في العصر الأموي، ص٥٧ ـ ٥٨.

فبايعوا بيعة هدى، فلا والذي جعل السماء سقفاً مكفوفاً، والأرض فجاجاً سُبُلا، ما بايعتم بعد بيعة علي بن أبي طالب وآل علي، أهْدَى منها [1].

ان ما انتهى إليه المختار خلال هذه الكلمة المُقتضبة، يحمل دلالة سياسية بالغة التعقيد، فمن جهة يحدد الاتجاه السياسي السائر على طريق الهدى، عن طريق تمييزه لبيعة الإمام علي (عليه السلام)، وبيعة أولاده من بعده، على أنها بيعة حق. ومن جهة أخرى، يُقرِن بيعتهم له اليوم، بأنها لا تخرج عن ذات المستوى والهدف، وكأنه يخبرهم بطبيعة النظام السياسي المُزمع اقامته، لا يقل عن ذلك الحُكْم الذي أرسى علي (عليه السلام) مبادئه الأولى. وكأنّه يوحي للسامعين، ويرسم في أذهانهم، صورة استعادة ذلك الحاكم العادل، الذي لم يفارقوه طويلاً، ها قد عاد لهم من جديد، بصورة حُكم المختار، خاصة وإن رحيل علي (عليه السلام) عنهم لم يكون في ذلك الوقت، قد تجاوز خمس وعشرون سنة، أو دون ذلك بقليل، وهي مدة ليست بالكبيرة، بحيث تغيب فيها معالم النظام وسياسته، خصوصاً وان الكثير من زعماء اليوم، كانوا رجالاً بعمر الشباب، خلال تلك المرحلة.

إنَّ دراسة هذه الخطبة وغيرها من خُطَبْ المرحلة، يتطلّب تفعيل نظرية تحليل الخطاب، ذلك بالاستناد للقاعدة الخاصة بالنقدية الخطابيّة، كونها تولي اهتماماً خاصاً للعلاقة ما بين المتكلّم والجمهور المستهدف بالخطاب ضمن سياق مشهد الحياة الاجتماعيّة، كونها رسالة فريدة وموجهة عبر أدوات تأثير فاعلة، لجأ إليها مُنْشِئ الخطاب السمعي، لتحقيق الفعاليّة أو التفاعليّة السماعيّة المطلوبة. فالنقديّة الخطابيّة تسعى لكشف أساليب تأثير النص على الجمهور، ولأنها تهتم بمعرفة العناصر النصيّة المؤثرة في وجدان جمهوره الأصلي، والمُتمثّلة عادة بأساليب: الاقناع، الحث، الهداية، العتاب، أو الإلهام؛ عن طريق التركيز وبشكل خاص على توضيح وتحديد ميزات فريدة من الموضوع المُستهدّف، بما في ذلك الأساليب التي تبرز في النص نفسه، بالإضافة للميزات ذات الصلة بالمشهد الثقافي والاجتماعي، التي يتم عِبرَها متابعة الغرض المَقصود [2].

ونجح المختار في تفعيل أساليبه النقديّة الخطابيّة كافة، وخصوصاً ما تعلّق منها بإستثارت مشاعر الجمهور وإلهابها، في سبيل الحصول على أقصى درجات التأييّد والمُعاضدة من قِبَل المُستَهدَفين كافة بهذه الخطابات ذات النبرة الحماسيّة بإمتياز.

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، مج٤، ص٣١٦؛ الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٦، ص٣٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٤، ص٣٦.

(٢) فيّاض، التاريخ النصّي لتدوين القرآن (٣) / فروقات المَصاحف (مُصحف أُبيّ بن كعب)، ج٢، ص٢٢.

ثالثاً : موقف القاعدة ومطالبها من مشروع المختار السياسي :

كان أهل الكوفة من الذين اشتركوا في مَقْتَل الحسين (عليه السلام)، يتوجسون خيفة من المختار منذُ قدومه إليها، وكانوا قد سمعوا بعزم ابن زياد على غزو الكوفة للقضاء على المختار، إذ كانوا يودون أن يكفيهم مسألة القضاء عليه، غير أن هزيمة عبيد الله بن زياد في معركة الخازر، قيّضت آمالهم في التخلّص منه، وحينما علموا بخروج ابن الأشتر من الكوفة وابتعاده عنها، وهو الساعد الأيمن للمختار وصمام أمانه، سعوا لانتهاز هذه الفرصة للوثوب عليه، فاجتمع أشرافهم وتداولوا الأمر بينهم، حيث قال بعض منهم بأن المختار قد تأمّر علينا بغير رضاً منّا، وانه ابعدنا وأدنى موالينا، فقال شبث بن ربعي [1]، وهو كبيرهم : دعوني ألتقي به، وأخبره بما عتبتم عليه؛ فذهب إليه شبث، وذكر للمختار كل الأمور التي أنكرها عليه أشراف الكوفة، وكان لا يذكر له شيئاً، إلا ويقول المختار : أنا أرضيهم في هذه الخصلة، ولهم ما أحبوا، فلمّا وصل لأمر مشاركة الموالي في الفيء [2]، قال المختار : إن أنا منعتهم، هل تقاتلون معي بني أميّة وابن الزبير، وتمنحوني العهود والمواثيق مما أطمئن له؟ حين ذاك، قال شبث : دعني أخرج إلى أصحابي واستشيرهم في هذا الأمر [3].

وبعد أن رجع شبث إلى أصحابه وأخبرهم بما قاله المختار، رفضوا الأمر، وكانت كلمتهم : أن لن تجدوا عليّه فرصة مثل الآن، فثاروا عليه، وملأوا طرقات

---

(١) ذكره الصفدي باسم : شبيب، وكنيته أبا عبد القدوس بن حُصين بن عُثيم بن ربيعة اليربوعي التميمي، المعروف : بِـ شبث بن ربعي، من أشراف الكوفة وزعمائها، كان ممن خرج على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ذُكِرَت له بعض المرويات، توفي في حدود الثمانين للهجرة، وهناك مَن ذهب إلى أنه توفي في حدود التسعين للهجرة، وهو خبر ضعيف؛ حيث قيل في خبره، أنه كان مؤذن سجاح التميمية حين تنبئت في بني تغلب. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨، ص٣٣٥؛ أبو هلال العسكري، الأوائل، ص٤٠١ ـ ٤٠٢؛ الوافي بالوفيات، ج١٦، ص٥٩.

(٢) الفَيْء في اللغة : الرجوع والظل، وعند الفقهاء : هو ما يحل أخذه من أموال الكفار، بلا قتال، كالخراج والجزيّة، وهو لكافة المسلمين. والبعض الآخر منهم يرى في الفَيْء : هو كل ما أخذه الإمام ـ الحاكم ـ من أموال الكفار، غنيمة أو جزيّة أو خراجاً أو مال صُلح. وفي الاصطلاح : هو كل ما يوضع في بيت مال المسلمين. صيّاح، الفيء والخمس في الفكر الاقتصادي الإسلامي، ص٥؛ عمارة، قاموس المُصطلحات الاقتصاديّة في الحضارة الإسلاميّة، ص٤٤١.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٤، ص٣٨ ـ ٤٠؛ العصيمي، قبيلة هوازن ـ نسبها ودورها السياسي والاجتماعي حتى نهاية العصر الأموي، ص٢٤٥ ـ ٢٤٦.

الكوفة [١] وسككها [٢]، حيث صدرت المبادرة من القبائل الرافضة لحُكم المختار، وتوزّعت الحشود بترتيب يعتمد على مواقع سكناهم والجبانات المسيطرين عليها استناداً لقاعدة الجوار [٣]. فما كان من المختار إلا أن راسلهم، للتعرّف على مطالبهم، فطلبوا منه أن يعتزل، وإنك زعمت بأن ابن الحنفيّة قد أرسلك للكوفة، وهو لم يُرسلك، فطلب منهم مراسلة ابن الحنفيّة للتأكد من صحة دعواه، إذ توخى بذلك ان يتريّثوا، كيما يرجع إليه ابن الأشتر، فأرسل من فوره طلباً لأبن الأشتر يستحثه الرجوع مُسرعاً، وهو بساباط كسرى [٤] فعاد من يومه [٥].

ولو رجعنا إلى أحد أسباب نقمة أشراف الكوفة على المختار، لاتضح للمُتتبع إنكارهم لقضية تقريبه للموالي [٦]، إذ أثار انضمام أولئك الموالي لحركة ابن أبي عبيد الكثير من اللغط والتساؤلات، حول طبيعة العلاقة التي جمعتهم، كذلك ماهية الأسباب التي وقفت وراء ذلك التعاون والمؤازرة بين القيادة والمُتَمَثِلة بالمختار مِنْ جهة، والقاعدة الشعبيّة في الكوفة، والمُمَثلة بالموالي المُصطلح عليهم بالحمراء مِنْ جهة أخرى [٧]، حيث أن المختار قد اعتمد على طرفين أساسيين في تشكيل حركته، زُعماء الكوفة من شيوخ القبائل العربيّة ووجوهها، والموالي العائدون لقوميات وعِرقيات غير عربية [٨].

وعلى الأرجح فإنَّ الموالي كانوا سيمثلون ـ فيما بعد ـ عنصر التفوق في حركة المختار على حساب الحُكم الزبيري المُتحالف مع القوى الارستقراطيّة، حيث كانت

(١) الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٦، ص٤٥؛ جعيط، الكوفة ـ نشأة المدينة العربية الإسلاميّة، ص٣١٤.

(٢) مفردها السِّكَّة : وهي الطريق المستوي، وتقسم إلى قسمين : خاصة، وغير نافذة، يختص بها قوم دون قوم. وعامة، نافذة، تمُرُ فيها العامّة. عمارة، قاموس المُصطلحات الاقتصاديّة في الحضارة الإسلاميّة، ص٢٨٩.

(٣) جعيط، المرجع نفسه، ص٣١٤، ٣١٦.

(٤) موضع معروف بالمدائن. والساباط عند العرب : سقيفة بين دارين، من تحتها طريق نافذ. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٣، ص١٦٦.

(٥) الطبري، المصدر نفسه، ج٦، ص٤٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٤، ص٤١.

(٦) أبو مِخْنَف، أخبار المُختار بن أبي عبيد الثقفي ، ص٨٧.

(٧) أحمد، الخلافة والدولة في العصر الأموي، ص٢١٠؛ محمد، حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي وأبعادها السياسية والفكريّة، ص٩٤.

(٨) خليف، حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة، ص٧٤؛ القاضي، الكيسَانيَّة في التاريخ والأدب، ص١٣٠ ـ ١٣١.

هذه القوى من أشد خصوم المختار ضراوة؛ نتيجة تحالفه مع الموالي، الذي استهدف بشكل عملي امتيازاتهم ومصالحهم الاقتصاديّة [١].

فمن القبائل العربية التي منحت تأييدها للمختار وحركته بصورة رئيسية، يمكن ذكر: همدان، ونخع، وخثعم، وأسد، وبنو حنيفة، وعبس، وقبائل أزد، وبكر بن وائل وغيرها، إذ اشترك الكثير من أبنائها في حركته، ومَنَحوه تأييدهم المُباشر [٢].

وأمّا الموالي الذين اشتركوا في تأييد حركة المختار، فهم على الأغلب من الآراميين والفرس المُعتنقين للإسلام، حيث كان يُنظر لهم من قبل بعض العرب، على أنهم مواطنون من الدرجة الثانية [٣]، إضافة إلى أُناس كانوا قد جلبوا من الولايات الشرقيّة [٤]، وتم استرقاقهم للعمل في الأرضين المحيطة بمدينة الكوفة، ذلك الفضاء الزراعي الخصب، لكن ظروفهم الاجتماعية القاهرة، وواقعهم الاقتصادي المُتردّي، دفعهم للمشاركة والتأييد، ظناً منهم أن الأمر سيمنحهم القدرة في العثور على ضالتهم بالخلاص من ربقة الاستبداد، عِبْرَ جمر الحرب المُلتهب تحت الرماد، بين الكوفة ودمشق [٥].

لقد تَرَكَ العرب للموالي الاشتغال بالمهن المختلفة والحرف اليدويّة والتجارة، وانشغلوا هم بأمور السياسة والقيادة والحرب، وتم فَرضْ الضرائب عليهم بشكل يتجاوز بكثير عمّا فُرِضَ على العرب، كذلك انقصوا عطائهم ورواتبهم بعض الأحيان، مما خلق فجوة طبقية مُتمايزة في مجتمع الكوفة ذي الانحدارات العِرقية المتنوّعة آنذاك [٦].

ومما يؤكد انضمام الكثير من الموالي لحركة المختار وتأييدها، تلك النصوص التي يورِدُها الدينوري [٧] بخصوص خروج عبد الملك بن مروان وقتاله لصاحب

(١) بيضون، ملامح التيارات السياسيّة في القرن الأول الهجري، ص٢٤٥.
(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، مج٤، ص٣٠٩؛ الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٦، ص٩؛ دكسن، الخلافة الأمويّة ٦٥ ـ ٨٦هـ / ٦٨٤ ـ ٧٠٥م، ص٧٨.
(٣) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ق١، ص١٣٢ ـ ١٣٣؛ فلوتن، ابحاث في السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات « المهدويّة » في ظل خلافة بني أُميّة، ص٩٤ ـ ٩٥.
(٤) المقصود بها مناطق خُراسان الكبرى، التي خضعت للحكم العربي منذ وقت مُبَكّر من قيام عمليات الغزو العسكري، زمن خلفاء الرسول الأوائل، ومَنْ تلاهم زمن الحُكُم الأموي. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص٣٥٠ ـ ٣٥١؛ فلوتن، المرجع نفسه، ص١١٢.
(٥) كونسلمان، سُطُوع نجم الشيعة، ص٦٠.
(٦) الخربوطلي، المختار الثقفي مرآة العصر الأموي، ص٢٨٤؛ فلهوزن، أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام ـ الخوارج والشيعة، ص٢١١.
(٧) الأخبار الطوال، ص٢٩٣.

الجزيرة [1]، الذي ولاه المختار بعد تغلبه على الكوفة، فجاءت أخبار الهزيمة التي أوقعها عبد الملك بالوالي الجديد في معركة جرت في نصيبين، فما كان من المختار إلا أن جهّز لإبراهيم بن الأشتر جيشاً قوامه ألف رجل، جلُّهم من أبناء الفُرس، من الذين كانوا يقطنون الكوفة.

فهذا التأييد لم يُولد من فراغ، فالقائد الجديد والزعيم المُتمرّد، قد عَمِلَ على اعطاء الموالي ذات الحقوق التي ينالها عرب الكوفة، وزيادة في الاعطيات يتناسب طردياً مع حجم الخدمات التي تُقَدّم من قِبَلهم [2]، هذا وقد ارخى لهم الأمر في حمل السلاح، بعد ما كانوا ممنوعين من ذلك، وسمح لهم بركوب الدواب أيضا [3]، فهذا التسامح وغيره، كان قد عزز من مكانة المختار وحركته في نفوس الموالي، ويبدو أنها كانت تُشكّل مطلباً باطنياً في نفوس مَن تعرّضوا لأشكال التمييز والاجحاف.

ان سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) العمليّة، في تقسيم العطاء بالتساوي، التي شهدها أهل الكوفة بعربهم ومواليهم عن قرب، كانت مطلباً ضمنياً للموالي، ففي تلك الحادثة التي تُروى عن امرأتين قدِمَتا إلى علي (عليه السلام) عند قسمة العطاء، إحداهما من العرب والأخرى من الموالي، فمنح لهما العطاء بالتساوي، اعترضت العربية على ذلك؛ كونها امرأة من العرب والأخرى من العجم، فقال لها أمير المؤمنين : إنّي لا أجد لبني إسماعيل، في هذا الفيء، فضلاً على بني إسحاق [4].

فالذاكرة الجمعيّة لسكان الكوفة، لم تزل تختزن هذه الصور النبيلة من أشكال التعامل الأخلاقي التي أكدها سلوك الإمام علي (عليه السلام) في أذهان الناس؛ مما حفّز القوم ليمنحوا تأييدهم للمختار وحركته، علّها تنتهج ذات المضامين الخاصة بالمساواة في تقسيم الفيء والعطاء. حيث كان أكثر الموالي يأملون في المشاركة الفاعلة في الدولة الإسلاميّة التي منحت الكثيرين منهم حقوقاً كانت مُستلبة خلال العهود السابقة، وقد أيقظ المختار فيهم هذا الأمل، واجتذبهم إليه من خلاله، وزاد بهم الداعمون له بشكل

(١) يزيد بن أنس الأسدي. الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٩٢.
(٢) فلوتن، أبحاث في السيطرة العربية والتشيّع والمعتقدات « المهدويّة » في ظل خلافة بني أميّة، ص٩٧، ١٢٩؛ القاضي، الكيسانيّة في التاريخ والأدب، ص١٣٥؛ النجار، الموالي في العصر الأموي، ص١٠٨ ـ ١٠٩.
(٣) خليف، حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة، ص٧٥؛ القاضي، المرجع نفسه، ص١٣٤؛ محمد، حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي وأبعادها السياسيّة والفكريّة، ص٩٥.
(٤) ابن هلال الثقفي، الغارات، ص٤٦.

خاص، حيث منحهم معظم ثقته، وقرّبهم له كل القرب، آملاً في تحصيل مساندتهم إزاء الخصوم، سواء في الداخل أم الخارج [١].

وكنتيجة طبيعيّة لسلوك المختار الاقتصادي إزاء الموالي، اتساقاً مع مطالبهم الاجتماعية، أفضى ذلك إلى تناقص عدد العرب المؤازرين له، بمقابل زيادة مُطردة في أعداد الموالي المنضوية تحت أمرته وقيادته [٢]، ونرى بعض الإشارات على تلك الزيادة في عديد الجُنْد والفَعَلّة والأنصّار في أكثر من مكان يورده الدينوري [٣].

فالموالي كقوة شعبيّة جماهيريّة كانوا بشكل شُبُه دائم ضمن حسابات الحركات الثوريّة خلال تلك المرحلة، ذلك لطبيعة العلاقة المُتدهورة بينهم وبين السلطة الأمويّة، التي اصدرت بحقهم جملة من القوانين الصارمة، تم تطبيقها بشكل تعسفي ضدهم؛ لذلك مثلت حركة المختار بداية الطريق أمامهم للمساهمة بدور تاريخي ضمن التيار الثوري في العراق على أقل تقدير [٤].

فبوصول السلطة إلى أيدي الأمويين، ذلك مع أواسط القرن الهجري الأول / السابع للميلاد، بدأ عدد الموالي يأخذ بالتزايد، فعدد الرقيق تضاعف كثيراً نتيجة الحرب وما رافقها من عمليات الأسر أو الاهداء، فكثيراً ما كان الولاة والعمال على الأقاليم المفتوحة، يبعثون بالمئات وربما الألوف من الرقيق الأبيض والأسود إلى بلاط الخلفاء، كهدايا أو بدلاً عن الخراج المُستحق ونحوه [٥]، ومن الطبيعي أن الخليفة كان يفرّق جزءاً منهم على بطانته وقوّاده، وهؤلاء بدورهم يفرقون فيمن حولهم أو يعرضون قسماً منهم للبيع، فينتقل الرقيق والموالي إلى أيدي الناس على اختلاف طبقاتهم الاجتماعيّة والاقتصاديّة، وهنا يتحول أولاد الأرقاء بالولادة أو العتق لسبب من الأسباب أصبح مولى، وهذا يختلف بطبيعة الحال عمّن يدخلون ضمن الولاء سواء بالعقد وغيره؛ وبذلك نلحظ ازدياد أعداد الموالي من الحواضر العربية خلال العصر الأموي، زيادة ملحوظة أفضت بشكل مباشر إلى تفعيل تواجدهم ضمن الكثير من الأعمال التي كان العرب يأنفون ممارستها [٦].

---

(١) بالنور، دور الموالي في سقوط الدولة الأمويّة، ص٧٧ ـ ٧٨؛ فلهوزن، أحزاب المعارضة السياسيّة الدينيّة في صدر الإسلام ـ الخوارج والشيعة، ص١٢١.

(٢) الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٩٩؛ فلوتن، أبحاث في السيطرة العربية والتشيّع والمعتقدات « المهدويّة » في ظل خلافة بني أميّة، ص٩٧, ١٥٨.

(٣) الأخبار الطوال، ص٢٩٢ ـ ٢٩٥.

(٤) بيضون، ملامح التيارات السياسيّة في القرن الأول الهجري، ص٢٤٥.

(٥) المسعودي، مروج الذهب ومعان الجوهر، مج٣، ص١٤١.

(٦) حسن، حضارة العرب في العصر الأموي، ص١٠١ ـ ١٠٢.

فكان من الطبيعي أن يولّد ذلك الضغط النفسي والجسدي التاريخي تعصباً، قبالة التعصب والمعاملة السيئة، هذا على مستوى التعامل الاجتماعي العام، وزاده دعماً هو تبني سلطة الخلافة الأموية ذلك الاستعلاء مع هذه الشريحة الاجتماعيّة، إذ كانوا كثيراً ما يستخدمون الموالي في الحروب ضمن صنف المشاة، ولا يمنحونهم شيئاً من الغنائم أو الفيء؛ مما أحدث في نفوسهم النفور والنقمة، مُنتظرين كُلَّ مَخْلَصْ، فتحولّوا والحالة هذه إلى أداة طيّعة بيد كل مَن يُعلن الخروج على سلطة الأمويين [١].

وهنا تكمن الفكرة التي عَرِفَ استثمارها المختار بالشكل الدقيق، ذلك بضمان مساعدة المَوالي والمَظلومين والمُضطهدين له، مقابل منحهّم جانباً من الحقوق الاجتماعية ذات المَسْحَة الاعتبارية، بالإضافة إلى نصيبهم بالفيء والعطاء، وغيرها من المُغريات [٢]. فكان عدد الموالي في جيش المختار، أضعاف عدد الأحرار [٣]؛ مما جعلهم يبلون معه البلاء الحسن، أضعاف ما أبلاه الأحرار، ويمكن اسناد ذلك إلى أمرين : الأول : للتخلص من جور السلطة الأمويّة واضطهادها المُزمِن، والثاني : طمعاً بالغنائم والعطاء الجزيل؛ حتى بلغ الأمر في عدد الضحايا الذين سقطوا في معارك المختار عام ٦٧هـ / ٦٨٦م زهاء ستة آلاف قتيل، جلّهم من الموالي والعبيد، ليس فيهم من العرب الأحرار سوى بضع مئات لا أكثر [٤]. وانطلاقاً من هذا الواقع، كان لا بد لخطط المختار أن تجد لها طريقاً لعقد تحالفاً عضوياً مع الموالي، حيث وجدوا هم أنفسهم في هذا الأمر فرصتهم الأولى في المساواة، وخلاف ذلك لم يتطور دورهم ضمن الحركة أو توجيهها والتأثير في مسارها [٥].

هكذا يتضح إنَّ المختار أول مَنْ جنّد الموالي، ونجح بمشروعه معهم، إذ وجد بَعدّ نجاح انقلابه في الكوفة، أنهم القوة الفاعلة والصامتة، فاتجه صوب الاعتماد عليهم، لتوفير قاعدة شعبية جماهيريّة واسعة لحركته، بعدما كاد أن يفشل في سد هذه الثغرة

(١) سرور، الحياة السياسيّة في الدولة العربيّة الإسلاميّة خلال القرنين الأول والثاني بعد الهجرة، ص١٤٣، ١٤٦، ١٥٤؛ فلوتن، أبحاث في السيطرة العربيّة والتشيّع والمعتقدات «المهدويّة» في ظل خلافة بني أميّة، ص٩٤؛ فيصل، حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول ـ دراسة تمهيديّة لنشأة المجتمعات الإسلاميّة، ص١٠٤.

(٢) بالنور، دور الموالي في سقوط الدولة الأمويّة، ص١٤١؛ حسن، حضارة العرب في العصر الأموي، ص١٠٠.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٤، ص٥١.

(٤) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مج٣، ص١٠٠؛ ابن كثير، البداية والنهايّة، ج٩، ص٤١ ــ ٤٢؛ حسن، المرجع نفسه، ص١٠٠؛ فلوتن، المرجع نفسه، ص٩٧ ــ ٩٨.

(٥) بيضون، ملامح التيارات السياسيّة في القرن الأول الهجري، ص٢٤٤.

عبر قاعدته العربيّة الشيعيّة [١]؛ فمكّنهم بذلك من أن يتجاوزوا مخاوفهم المرسومة حول سلطة وبطش الأمويين، فجرأهم عليها وأصبحوا منذ ذلك الحين لا يحسبون لقوتها حساب، ويناصرون كل مَن يخرج لمواجهتها، وهذا ما تشهد له أكثر حركات الخوارج في فارس، والشيعة المُتطرفين فيما بعد [٢].

وأمّا بالنسبة للقبائل العربية وطبيعة مواقفها وأشكال مطالبها من حركة المختار، فقد تنوّعت وتعددت، بل حتى تبدّلت، نتيجة لتقلبات الحال الذي طرأ على هذه الحركة وقيادتها الكارزميّة.

فقبيلة تميم وموقفها من حركة المختار كان يتسم بالتوجس والخيفة، إذ كانت من أولى القبائل التي أدركت حجم الخطر ومداه، الذي تُشكله هذه الحركة على الكوفة وتوابعها، فقد صرّح شبث بن ربعي التميمي أحد زعمائها وأعلن لوجوه أشراف الكوفة، بأن المختار أكثر خطراً من سليمان بن صُرَّد الخُزاعي، فالأول يروم الوثوب بكم، وأمّا سليمان فقد خرج يُقاتل عدوّكم، فقاد الأمر إلى سجن المختار [٣].

وبعد أن خرج المختار من سجنه، أخذ بجمع الناس حوله، فقوي أمره، فقاد بذلك الأمر إلى قيام شبث بن ربعي الرياحي التميمي، وكان قائداً لوالي الكوفة الزبيري ابن مطيع (٦٥ ـ ٦٦هـ / ٦٨٤ ـ ٦٨٥م) وحرّضه على جمع الناس، والوثوب على المختار ومَنْ والاه وسانده وأيده، لمقاتلتهم بعد أن قويت شوكتهم وعلا أمرهم، وتجمعوا في جبانات الكوفة [٤].

حين ذاك أمر ابن مطيع بجمع الناس في المسجد، وقال : برأت الذمّة من رجل بات متخلفاً عن الحضور إلى المسجد الليلة [٥]، فتجمعوا، وارسل الوالي، شبث بن ربعي على رأس ثلاثة آلاف مقاتل لمحاصرة المختار واتباعه في كناسة الكوفة ومنطقة السبخة [٦]، فأشتبك الطرفان، ودارت بينهما جملة من الصِدامات والمعارك،

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، مج٤،ص٣١٣، ٣٣١؛ بيضون، ملامح التيارات السياسيّة في القرن الأول الهجري، ص٢٤٥.

(٢) بالنور، دور الموالي في سقوط الدولة الأمويّة، ص١٤٣؛ حسن، حضارة العرب في العصر الأموي، ص١٠١؛ شريف، الصراع بين الموالي والعرب ـ بحث في حركة الموالي ونتائجها في الخلافة الشرقيّة، ص٣٦.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، مج٤، ص٣٠٨؛ الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٨٠ ـ ٥٨١.

(٤) الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٦، ص٢٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٤، ص٣٢؛ جعيط، الكوفة ـ نشأة المدينّة العربيّة الإسلاميّة، ص٣١٤.

(٥) ابن الأثير، المصدر نفسه، مج٤، ص٣٣.

(٦) الطبري، المصدر نفسه، ج٦، ص٢٣؛ جعيط، المرجع نفسه، ص٣١٥.

انتهت بهزيمة أصحاب شبث، ذلك بعد تدخل إبراهيم ابن الأشتر وجملة ممن كان معه من قبائل العرب وخصوصاً بني نخع وهمدان وكندة وغيرهم [١].

وبعد هروب شبث قاصداً البصرة، أخذ هناك يُحرّض مصعب بن الزبير على المختار وحركته، وطلب منه بشكلٍ صريح نصرتهم والمسير معهم إليه [٢]. وكان المختار قد أرسل العديد من الكتب والخطابات إلى وجهاء البصرة، يتوعدهم ويخوفهم كونهم قد كذّبوه، وكان منهم الأحنف بن قيس التميمي [٣].

كان الأحنف زعيم تميم البصرة، ومِنْ مساندي مصعب ضد المختار، إلى جانب عبّاد بن الحصين التميمي [٤] التي اسندت له زعامة الفرسان في جيش مصعب، والمهلب بن أبي صفرة تزعّم الميسرة، أمّا الأحنف فقد ترأس تميم البصرة [٥].

وبعد مسير طويل، تلاقى الجمعان، حيث تمكن عبّاد بن الحصين الحطمي من هزيمة أحد قادة المختار وقتله، واشترك أيضاً في قتال المختار، حينما نزل الأخير بأرض حروراء [٦] وتحصّن بها. هذا وقاتل المختار بوقعة المذار، بكل بسالة حتى قُتل، وكان ذلك في شهور سنة (٦٧هـ / ٦٨٦م)، حيث كانت نهاية حركته بإطارها الرسمي [٧].

نستدل مما مرّ ذكره، أن قبيلة تميم قد وقفت بالضد من المختار وحركته منذ الأيام الأولى، ثم اعتزلت الكوفة بعد تغلّبه عليها، ذلك نتيجة تقريب الموالي إليه،

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، مج٥، ص١١٢ ـ ١١٣؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٦، ص٥٤؛ ابن نما الحلي، ذوب النّضار في شرح الثار، ص١٠٦ ـ ١٠٧.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، مج٤، ص٣٣٦؛ الجبوري، قبيلة تميم ودورها خلال العصر الأموي (٤١ ـ ١٣٢هـ / ٦٦١ ـ ٧٥٠م)، ص١١٢.

(٣) البلاذري، المصدر نفسه، مج٤، ص٣٣٠؛ الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٦، ص٦٨؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٢٠٦.

(٤) ابن يزيد بن عمرو بن أوس الحطمي، من بني الحارث بن عمرو التميمي، وصف بالشجاعة والرئاسة، ابن حزم، المصدر نفسه، ص٢٠٢.

(٥) الدينوري، الأخبار الطوال، ص٣٠٦؛ الطبري، المصدر نفسه، ج٦، ص٩٩ ـ ١٠٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٤، ص٦٥؛ الجبوري، المرجع نفسه، ص١١٣.

(٦) قرية بظاهر الكوفة، وقيل موضع على ميلين منها، نزل بها الخوارج الذين خالفوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فنُسبوا إليها، وسموا بالحروريّة، وبها كان أول تحكيمهم واجتماعهم حين خالفوا علياً (عليه السلام). ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص٢٤٥.

(٧) أبو مِخْنَف، أخبار المُختار بن أبي عبيد الثقفي، ص١٣٤، ١٤٢؛ ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص٢٦٤؛ ابن الجوزي، المصدر نفسه، ج٦، ص٦٤ ـ ٦٥؛ ابن الأثير، المصدر نفسه، مج٤، ص٦٥ ـ ٦٦، ٧٢.

وطبيعة مطالبه التي طرحها على شبث بن ربعي، والخاصة باستعداده لاستبعادهم إن حصل على وعد من أشراف الكوفة بمساندته في مواجهة الأمويين والزبيريين. أمّا تميم البصرة فكانت أيضاً على خلاف مع المختار ومن دعاة انهاء حركته، وتزعّمهم في ذلك الأحنف بن قيس حكيم تميم، وعبّاد بن الحصين، وساندهم بذلك الأمر شبث بن ربعي، الذي ترك الكوفة هارباً منها، واستجار بالبصرة وأهلها [١].

هكذا رُسِمَت حالة الاختلاف، بل العداء المُستحكم بين المختار وبني تميم، خاصةً إذا ما عَلِمْنا أن هذه القبيلة كانت السبّاقة في تبيان الخطر الذي يُشَكّله المختار على مصدر الحكم الزبيري، بالإضافة إلى حرصها على مصالحها التي كانت ستتأثر بشكلٍ واضح، لو كُتِبَ النجاح للمختار وحركته؛ مما قاد إلى وقوف معظم رؤساء وزعماء بني تميم في مقدمّة المناوئين لتوجهات المختار وغاياته [٢].

لقد تميزت فترة الفتنة الثانيّة (٦٤ ـ ٧٣هـ / ٦٨٣ ـ ٦٩٢م) بوجود ثلاثة أطراف سياسية مُستقطِبة للقوى القبيلة في الشام والحجاز والعراق، مُتَمَثِلة بآل مروان، وآل الزبير، ثم المختار الذي تغلّب على الكوفة، وهذه الأطراف لم تقف عند حد معين في استقطاب القبائل العربية للوقوف إلى صفها، سواء من القيسيّة أو اليمانيّة، بل على العكس اتجهت صوب أن تستميل أكثر ما يمكن من القوى القبليّة في سعيها لتثبيت أركان وجودها، كذلك تشديد قبضتها على الأقاليم الخاضعة لها، إذ كانت القبائل القيسيّة مُنبثّة في أواسط أرض الجزيرة والعراق، وإنَّ الأقاليم التابعة للعراق بشكلٍ خاص، عُرِفَتْ بتأرجحها في ميولها صوب هذا الطرف أو ذاك، بناءً على ما تمليه مصالحها، ومن ثمَّ كانت القيسيّة عنصراً مساهماً ـ من بعض الوجوه ـ في تغلّب عبد الملك بن مروان على باقي الخصوم في نهاية الأمر [٣].

ولا نجد في النصوص حديثاً يُشير بصراحة إلى وقوع ميول قيسيّة للمختار وحركته، أو توظيفاً لانتمائه القبلي الثقفي القيسي، خدمة لقضيّته التي خرج مِنْ أجلها، إضافة إلى أن القبائل القيسيّة معروفٌ عنها ضعف الميول صوب المسألة العلويّة بشكلٍ خاص، والتشيع بشكلٍ أعم، وبالرغم من ذلك نجح المختار إلى حدٍ بعيد وبوقت قياسي في السيطرة على الكوفة وكورها، ابتداءً من طرد واليها الزبيري عبد

(١) الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٩٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٤، ص٦٤.
(٢) الجبوري، قبيلة تميم ودورها خلال العصر الأموي، ص١١٤؛ عبد الحميد، دور القبائل اليمنية في نشأة التشيع والمعارضة الشيعيّة من تمصير الكوفة إلى وقعة عين الوردة، ص٣٠٠ ـ ٣٠٣.
(٣) بن فرج، القيسيّة في القرنين الأول والثاني للهجرة، ص١٤٢.

الله بن مطيع سنة ٦٦هـ / ٦٨٥م [١]، وصولاً حتى إلحاق هزيمة قاسية بالجيش المرواني في معركة الخازر على أطراف الجزيرة الفراتية سنة ٦٧هـ / ٦٨٦م، تحت شعار الطلب بدماء أهل البيت (عليهم السلام)، وجهاد المُحِلِّين، والدفع عن الضعفاء [٢].

حيث نجد أن أكثر العناصر التي ساندت المختار وحركته من العرب الصليبة [٣]، خصوصاً من القبائل اليمانيّة كمذحج، وهمدان، ونخع، وكندة، وخثعم، وغيرهم [٤]، كذلك عناصر من ربيعة، وبني أسد من مضر [٥]، وكما معلوم أن أكثر هذه العناصر كانت مساندة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في غالبية مواقفه ومعاركه [٦]؛ فيتضح الأمر هنا بأن المختار كان يسعى لاحتواء أكثر قبائل الكوفة، التي وجدت فيه باباً نافذاً لتحقيق شيءً من أهدافها، خصوصاً وأن الطرفين كانوا بين جبهتين معاديتين لهما، الشام حيث كان جيشها يقترب من الجزيرة الفراتيّة صوب العراق، والبصرة معقل الزبيريين في جنوب العراق [٧].

أمّا عن علاقة المختار بقيسيّة الجزيرة الفراتيّة، فالأمر يكتنفه الغموض، بسبب اختلاف المصادر حول هذه المسألة، رغم اتفاقها على وجود دعم قيسي له [٨]. حيث تشير أكثر الروايات التي ينقلها البلاذري [٩]، إلى أن إبراهيم بن الأشتر وبعد انتصاره في معركة الخازر، قام بتعيين عمّاله من القيسيين في مناطق مختلفة من الجزيرة الفراتية. وهذه دلالة على شكل من أشكال التوافق الصريح مع المختار.

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، مج٥، ص١١٣؛ البلاذري، أنساب الأشراف، مج٤، ص٣١٦؛ الخربوطلي، المختار الثقفي مرآة العصر الأموي، ص١٥٦.

(٢) الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٥، ص٥٧٩؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مج٣، ص٧٨.

(٣) عبارة يُراد بها خالص النسب، كناية عن العرب الأصلاء الذين تجمعهم وحدة الدم. ابن منظور، لسان العرب، مادة : صُلْب، مج٤، ج٢٨، ص٢٤٧٨؛ مدكور، المعجم الوسيط، مادة : صُلْب، ج٢، ص٥١٩.

(٤) البلاذري، المصدر نفسه، مج٤، ص٣٢٠؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٩٩ ـ ٣٠٠.

(٥) الدينوري، المصدر نفسه، ص٣٠٠؛ الطبري، المصدر نفسه، ج٦، ص٨١.

(٦) سمار، من تاريخ القبائل اليمنيّة في الجاهلية والإسلام، ص٨٩، ١٨٣؛ العاملي، علي (عليه السلام) والخوارج، ج٢، ص١٢٥؛ عبد الحميد، دور القبائل اليمنيّة في نشأة التشيّع والمعارضة الشيعيّة، ص١٤١؛ بن فرج، القيسيّة في القرنين الأول والثاني للهجرة، ص١٤٣.

(٧) عبد الحميد، المرجع نفسه، ص١٤٣.

(٨) الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ج١، ١١١؛ ابن سعد، المصدر نفسه، مج٥، ص٧٥؛ البلاذري، المصدر نفسه، مج٤، ص٣٤٣ ـ ٣٤٤؛ الطبري، المصدر نفسه، ج٦، ص٢٥ ـ ٢٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٤، ص٤٩.

(٩) البلاذري، المصدر نفسه، مج٤، ص٣٣٥.

وهناك مَنْ يشير إلى مُساندة قبائل قيسيّة، أمثال : باهلة وسُليم وعقيل للمختار، وهي من قبائل قيس الجزيرة، وربمّا هناك نوع من الصفقة قد جرت بين المختار وزعماء هذه القبائل، لتوطين أبناء قبائلهم في مناطق من الجزيرة الفراتيّة، بحيث يمكن القول بوجود تحالف ضمني بين الطرفين، على وجه من الوجوه [١].

وعلى ما يبدو أن الظروف لم تُسعف المختار لتجعل القيسيّة تقدم له الدعم اللازم، فالعناصر القيسيّة في الكوفة، لم تكن ذات تأثير أو أهميّة وقدرة على تغيير موازين القوى القبليّة، على عكس القبائل اليمانيّة التي كانت أكثر مرونة واستجابة لدعوته [٢]. وأمّا عمليات الملاحقة والتتبع التي أمر بها المختار، ضد المُشتركين في وقعة كربلاء، بعد يوم جبانة السبيع من شهور سنة ٦٦هـ / ٦٨٦م [٣]، فهي وان شملت عناصر قيسيّة، أمثال : أسماء بن خارجة الفزاري [٤] وشمر بن ذي الجوشن [٥]، كذلك شملت الكثير من اليمانيّة، وهم عناصر الأشراف ممن أسهم في ظهور وتمكن عنصر الموالي ضمن جيش المختار، مما يُهدد التركيبة الاجتماعيّة ـ من منظورهم ـ لسكان الكوفة وأطرافها [٦]، فدفع بالكثيرين منهم لأن يلجؤوا للبصرة، طلباً لمساعدة مصعب بن الزبير، في عمليّة تخليصهم من المختار وأنصاره [٧].

---

(١) حسن، القبائل العربيّة في المشرق خلال العصر الأموي، ص١١٦؛ بن حسين، الجزيرة الفراتيّة وعلاقاتها بالخلافة والأمصار، ص٦٠؛ بن فرج، القيسيّة في القرنين الأول والثاني للهجرة، ص١٤٤.

(٢) بيضون، ملامح التيارات السياسيّة في القرن الأول الهجري، ص٢١٨؛ بن حسين، المرجع نفسه، ص٦٧؛ بن فرج، المرجع نفسه، ص١٤٥.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، مج٤، ص٣١٩ ـ ٣٢٢؛ ابن الأثير، الكامل، مج٤، ص٤١.

(٤) ابن حِصْن بن حذيفة بن بدر، الأمير أبو حسّان الكوفي، له رواية عن بعض الأصحاب، عدَّ من أجواد العرب، ومن كبار أشراف الكوفة، له مواقف بالضد من المُتَشيّعة، ذكرها البعض، منها : كان فيمن استشهدهم زياد بن أبي سفيان على قتل حجر بن عدي وأصحابه. كذلك كان مع عبيد الله بن زياد في أمر قتل مسلم بن عقيل، وهاني بن عروة. ومشاوراً لابن مطيع والي آل الزبير في الكوفة، في أمر المختار. وَفَدَ على عبد الملك بن مروان، وله شعر ترويه بعض المصادر، مات في الكوفة سنة ٦٦هـ / ٦٨٥م. ابن أعثم، الفتوح، ج٦، ص٢٥٤؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٩، ص٥١ ـ ٦٢؛ الذهبي، أعلام النبلاء، ج٣، ص٥٣٥ ـ ٥٣٧؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٩، ص٣٧ ـ ٣٨؛ الأبطحي، تهذيب المقال في تنقيح كتاب الرجال، ج٤، ص٣٦٤.

(٥) أبو السابغة العامري، من بني كلاب، ممن قاتلوا الحسين بن علي (عليه السلام) يوم كربلاء، وفد على يزيد مع آل البيت (عليهم السلام)، وهو مَنْ احتزَّ رأسَ الحسين (عليه السلام) على الصحيح، قتله أصحاب المختار في حدود سنة ٦٦ للهجرة، لمّا خرج للطلب بالثأر من قتلة الحسين (عليه السلام) وأصحابه. الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٦، ص٥٣؛ الصفدي، المصدر نفسه، ج١٦، ص١٠٥.

(٦) فوزي، التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين ـ دراسات نقديّة في تفسير التاريخ، ص٤٨.

(٧) البلاذري، المصدر نفسه، مج٤، ص٣٣٦؛ ابن الأثير، المصدر نفسه، مج٤، ص٦٤.

تعدّ قبيلة « نخع المذحجية » من القبائل التي تحمل ثقلاً سكانياً وسياسياً في الكوفة، زمن تحرك المختار الثقفي؛ لذلك نراه قد تحرك بشكل حثيث لاستقطاب زعمائها وأبرز قادتها حين رام الخروج، ولكي يحقق نجاحاً في ذلك، استمال إليه أحد الزعماء المُبرزين، ألا وهو إبراهيم بن الأشتر النخعي؛ كونه فتىً جسور، وابن رجل شريف بعيد الصيت، وله عشيرة ذات عز وعدد [١]. فوالده كان من اخلص القادة الذين عملوا تحت قيادة الإمام علي (عليه السلام)، وأحد أقطاب المعارضة الشيعيّة في الكوفة [٢]؛ ونتيجة لذلك استجابت مذحج إلى مسألة الانضمام لحركة المختار.

وقد تكون هناك أسباب أخرى لذلك التأييد، منها : رؤية نفر مِنْ مذحج بأن حركة المختار، وسيلة جيدة للتنكيل بخصومهم، وهذا ما عبّر المختار عنه في قوله : لاقتلن أزد عُمان، بكل شيعي يَمان، مِنْ مذحج وهمدان [٣].

واسهبت رواية أبي مخنف في ذكر إسهام مذحج، وبسالة ابن الأشتر في المعارك التي خاضها مع المختار، حيث حقق انتصارات أولاً على شرطة ابن مطيع وصاحبها إياس بن مُضارب العجلي، وابنه راشد بن إياس، وكان ذلك بداية النصر للمختار وحركته، التي توجت بإزاحة والي الكوفة الزبيري، بعد سلسلة من المعارك في جبانات الكوفة، وإنهاء تواجد أشراف الكوفة من أنصار آل الزبير وآل مروان [٤]. إذ كان أكثر جُند إبراهيم بن الأشتر من قبائل مذحج في الكوفة [٥].

واسهمت قبيلة « جُعفي المذحجية » في مساندة حركة المختار، إذ اشترك زعيمها عبيد الله بن الحر الجُعفي في قيادة قومه وعشيرته في أثناء المعارك التي جرت مع إياس بن مُضارب، واشتراكه مع إبراهيم بن الأشتر في قِتال سويد بن عبد الرحمن بن بجير المنقري [٦] أحد قادة عبد الله بن مطيع، في صولة من صولاتهم

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، مج٤، ص٣١١.
(٢) حسون، مالك الأشتر : سيرته والحضارة الإسلاميّة في عصره، ص١٢٢؛ سمار، إبراهيم بن الأشتر النخعي، ص١.
(٣) البلاذري، المصدر نفسه، مج٤، ص٣٢٣.
(٤) الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٦، ص٢٨ ـ ٣٢؛ الدجيلي، المختار الثقفي، ص٦٣.
(٥) ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٦، ص٢٣٢، ٢٣٤؛ سمار، قبائل مذحج ـ مواقفهم وإسهاماتهم في أحداث العصر الأموي، ص٥.
(٦) لم يُعثر له على ترجمة وفق المصادر المُتوفرة.

على شرطة ابن مطيع ومَن سانده من رجال ربيعة ومضر، واشتركوا معاً في حصار قصر الإمارة، وضيّقوا على ابن مطيع الخناق، حتى خرج من الكوفة [١].

ونظراً لكون الثأر ممن اشتركوا في وقعة كربلاء، كان شعاراً رفعه المختار وحركته؛ لذا نجد أن قسماً من أشراف مذحج قد جابهوا حركة المختار ووقفوا بالضد منها، كونهم أيقنوا بأن الحركة ستنال منهم بعد استتباب الأمر لها وسيطرتها على الكوفة وتوابعها [٢].

هذا وقد أبلت قبائل مذحج بلاءً حسناً في القتال والتصدّي لجيوش عبد الملك التي وجهها صوب العراق، تحت إمرة عبيد الله بن زياد، وكانت لحظات الصِدام الأولى التي جرت في منطقة الجزيرة الفراتية وعلى مقربة من الموصل، بالغة الخطورة والتأثير، حتى تمكن إبراهيم بن الأشتر النخعي وعبيد الله بن الحر الجعفي [٣]، من ايقاع الهزيمة بتلك الجيوش الجرارة حسبما وصفت [٤]. وبعد هذه الواقعة، جرى فتور في العلاقة بين المختار وابن الأشتر، ربمّا مردّهُ إلى ما حققه ابن الأشتر مِنْ شُبه استقلال في إقليم الجزيرة إرضاءً لطموحه السياسي، أو تنفيذاً لاتفاقٍ قديم حول منحه النفوذ لِما يقع بين يديه [٥].

يتضح مما تقدّم، أن قبائل مذحج وعشائرها أسهمت في حركة المختار بصورة فاعلة، نتيجة للتقارب بين أهداف الحركة من جهة، وطموح طيف واسع من ابناء هذه القبيلة المؤثرة في الكوفة، التي أرادت التخلّص على ما يبدو من عقدة الذنب التي شعرت بها عقب تخاذلها عن نصرت الحسين بن علي (عليه السلام)، خصوصاً وإنها رأت الشعار المرفوع، كان يدعو بالثأر لِما وقع لآل الرسول (عليهم السلام) في تلك المذبحة

(١) ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٦، ص٢٣٤، ٢٣٦، ٢٣٨؛ دهمان، عبيد الله بن الحر الجُعفي ـ بين أناشيد البطولة وآلام الندم، ص١٥.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، مج٤، ص٣١٩، ٣٢٦؛ الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٦، ص٤٥، ٥١، ٥٢، ٦٥؛ ابن أعثم الكوفي، المصدر نفسه، ج٦، ص٢٨٥.

(٣) يُشار إلى أن إبراهيم بن الأشتر كان مُتردداً في اصطحاب ابن الحر معه في زحفه للتصدي لقوات عبيد الله بن زياد قرب الموصل، خوفاً من أن يغدر به وقت حاجته له، إلا أن المختار أقنعه بالعدول عن رأيه، لصلة القرابة التي تجمع بينهما، وأن يحنن عليه ويداريه بالمال ما استطاع إلى ذلك سبيلا. ابن أعثم الكوفي، المصدر نفسه، ج٦، ص٢٦٨ ـ ٢٦٩؛ لازم، عبيد الله بن الحر الجعفي ـ دراسة تاريخيّة في سيرته الشخصيّة، ٢٤٤.

(٤) الطبري، المصدر نفسه، ج٦، ص٣٩، ٨٦؛ ابن أعثم الكوفي، المصدر نفسه، ج٦، ص٢٦٨؛ دلو، مساهمة في إعادة كتابة التاريخ العربي ـ الإسلامي، ص١٧٥.

(٥) ابن أعثم الكوفي، المصدر نفسه، ج٦، ص٢٨٣ ـ ٢٨٤؛ سمار، قبائل مذحج ـ مواقفهم وإسهاماتهم في أحداث العصر الأموي، ص٦.

المروّعة؛ لذا نرى مذحج رفضت الاستجابة لنداء والي الكوفة الزبيري، حينمّا استنفر القبائل لمواجهة المختار وحركته. وتمثّل إسهامهم الآخر، بعدما استمال المختار زعيمهم البارز ابن الأشتر إلى جانبه، الذي جاء منسجماً مع مطالب شيعة الكوفة لضمه للحركة وقيادتها، إضافة إلى كون الأمر جاء موافقاً لطموح إبراهيم بن الأشتر السياسي، حينما مناه المختار ولاية ما بين الكوفة وأقصى الشام. وبالنتيجة شكلت مذحج غالبية جيش ابن الأشتر الذي حقق مجموعة انتصارات صبّت لصالح الحركة المختاريّة. ونلحظ إسهاماً آخر، جاء من قبيلة جُعفي المذحجيّة، بزعامة عبيد الله بن الحر الجُعفي، زاد مِن فاعليّة مذحج ضمن الحركة ودفعاً لها. وبالرغم من هذا الولاء الباذخ التي قدمته قبائل مذحج بتفرعاتها كافة للمختار وحركته، إلا أننا نجد بالمقابل وقوف أشراف من مذحج بالضد من هذه الحركة وزعيمها الكارزمي؛ كون الأهداف المُعلنة قد تقود إلى تصفيتهم إن عاجلاً أو آجلاً، لاسيما وأن معظمهم أسهم في ترويع آل البيت (عليهم السلام) في واقعة الطف، غير أن هؤلاء المُخالفين لم يتحقق لهم ما كانوا يصبون إليه من تصفية المختار والقضاء على حركته الإصلاحيّة [١].

هذا وقد وعد المختار أنصاره بالعدل والتحرر والمساواة في الحقوق والواجبات، غير أن النتائج المُتوخاة من حركته ذات الطابع السياسي ـ الاجتماعي، لم تتحقق في ظل المدة الوجيزة التي وضع فيها يده على السلطة (٦٦ ـ ٦٧هـ/ ٦٨٥ ـ ٦٨٧م)، فانصرف عنه الكثير من الموالي والعرب، وأخذت حركته بالنضوب والتقلّص؛ مما سهّل لمصعب بن الزبير من قتله ومَنْ تبقى من أنصاره في غدرة مشهورة [٢]؛ ومن ثمَّ تَمَّ سحق ثورة الجماهير الشعبيّة، وتصفية غالبيّة المكاسب السياسيّة والاجتماعيّة التي حصل عليها أهل العراق (الكوفة) خلال فترة حكمه القصيرة؛ وهكذا عادة الكوفة تحت سطوة حُكم آل الزبير من جديد [٣].

(١) بيضون، ملامح التيارات السياسيّة في القرن الأول الهجري، ص٢١٩ ـ ٢٢١؛ الخربوطلي، المختار الثقفي ـ مرآة العصر الأموي، ص١٥٠؛ سمار، قبائل مذحج ـ مواقفهم وإسهاماتهم في أحداث العصر الأموي، ص٦.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، مج٤، ص٣٤٥ ـ ٣٤٦، ٣٤٨؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج٢، ص١٨١ ـ ١٨٢؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مج٣، ص١٠٠.

(٣) دلو، مساهمة في إعادة كتابة التاريخ العربي ـ الإسلامي، ص١٧٦.

رابعاً : وسائل التأثير المتبادل بين القيادة والقاعدة :

يُعد المختار من خطباء الشيعة في عصره، وأصحاب السبق في هذا الفن النثري الذي أجاده وتمكن من توظيفه بالشكل الذي يُلائم المرحلة ومعطياتها السياسيّة والاجتماعية كافة. حيث كان سعيه للسلطة يلتزم منه حشد الناس بأي ثمن لِضمّهم لحركته، فانطلق إلى الكوفة وبدأ منها سعيه للحُكم وامتلاك النفوذ، وناصب القوة الأمويّة وقيادتها المروانيّة في الشام العداء، كذلك استظهر الباطن الروحي في مواقف سياسيّة عَلنيّة، كانت من حيث الجوهر تُمثّل العبير النموذجي عن التراكم الحاصل في بناء صفحات شخصيّة المختار نفسه من الناحيتين السياسيّة والفكريّة، حيث وَجَدَ هذا الالتقاء، انعكاسه في شِعاره الشهير « يا لثارات الحُسين » [1]، إذ عكس هذا الشِعار أولاً وقبل أي شيء، تاريخ المختار وشخصيّته ظاهرياً وباطنيا، بمعنى تجسيد رؤيته الفكريّة وسلوكه السياسي، مُتخذاً منه أسلوب تحقيق المَبادئ العليا، والمُتعلّقة بالرجوع إلى القرآن والحديث الشريف، وعن طريقهما إلى حقوق المُستضعفين؛ ومن ثمَّ فإن الاندماج بالتشيّع هو الصيغة الفرديّة والسياسيّة والتاريخيّة، لمسار الروح الباحثة عن نموذج أمثل لوجود البشر والدولّة آنذاك [2].

وقد صَنَعَتْ هذه المُقدّمة شخصيّة المختار، ومن ثم حددت مجرى موقفه السياسي كنهج في العمل، حيث نعثر على تعبيره الفكري الأول ضمن أول خطبة سياسيّة عامّة، من موقع الشخصيّة الكاريزميّة المؤثرة في صياغة الأحداث؛ أي تلك التي تفتحت فيها كُل الكَوامن النفسيّة العميقة بوصفها انعكاساً طبيعياً وتلقائياً للشخصيّة السياسيّة، وكشكل من أشكال التأثير المعنوي في أذهان السامعين. ففي خطبة مسجد الكوفة التي ألقاها بعد خروج ابن مطيع، قال : الحمد لله الذي وعد وليه النصر وعدوه الخسر، وجعله فيه إلى آخر الدهر، وعداً مفعولا وقضاء مقضيا، وقد خاب مَن افترى، أيها الناس، إنه رفعت لنا راية، ومدت لنا غاية. فقيل لنا في الرايّة، ارفعوها ولا تضعوها، وفي الغاية اجروا إليها ولا تعدوها، فسمعنا دعوة الداعي، ومقالة الواعي. .. ثم ضمنها مبادئ حركته السياسيّة، وأنتهى إلى القول : فلا والذي جعل

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، مج٤، ص٣١٤؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج٢، ص١٧٥؛ الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٦، ص٢٣؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٦، ص٥٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٤، ص٣١؛ الجنابي، المختار والحركة المختارية ـ فلسفة التوبة والثار، ص٦٢، ٦٧.

(٢) الجنابي، المرجع نفسه، ص١١١؛ الخوالدة، تطور الخطابة في ظل التنافس السياسي في العصر الأموي، ص٥٧ ـ ٥٨.

السماء سقفاً محفوظا، والأرض فجاجاً سبلا، ما بايعتم بعد بيعة علي وآل علي بيعة أهدى منها [١].

يتضح في هذه الخطبة الصيغة الدقيقة والعمليّة لرؤية حيّز النسبة اللازمة بين الغاية والوسيلة والتأثير، وبالتالي بين الأبعاد العمليّة اللحظيّة والمُستقبليّة. وهي أبعاد مرتبطة بفكرة انتصار أولي الحق بوصفه وعداً أبدياً. وأن الافتراء القادم من جانب السلطة ومُرتزقتها آيل للزوال. وأن البديل هو وحدة الرايّة والغاية؛ أي بمعنى الشِعار العملي المحكوم بهدف أسمى يوازي حجم الهموم المُحتملة فيما يُقصد إليه. وإن ما يسعى إليه هو استعادة حيّة للصيغة السياسيّة المُثلى في العلاقة بين الأمّة والأئمة، بين رجال الدولة والدولة نفسها، بين الحاكم والمحكوم. ووضع هذه الفكرة عند خاتمة خطبته، حينما اعتبر مبايعة أهل الكوفة إيّاه كأفضل بيعة بعد بيعة الإمام علي (عليه السلام). إذ تتعدى المقارنة حدود العلاقة بالسلطة، إلى آفاق العلاقة بالتاريخ القريب ونموذجه الأمثل في الدولة. فقد كانت بيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) بالخلافة الصيغة الشرعيّة والتلقائيّة الوحيدة المرتبطة باندفاع الأمّة دون إكراه. بمعنى أنها انطلقت بمسعى الأمّة صوب تحكيم إرادتها في الاختيار والاختبار [٢].

ففي التحليل أعلاه، لخطبة المختار الأولى، وفق ما صرّحت به المصادر، يتضح شكل من أشكال استدراج العواطف الوجدانية لحقيق غاية الفعل المُستهدف، غير أن هناك جوانب أخرى يضعها ماكس فيبر [٣] إلى جانب هذه النقطة، لِيُبيّن آليات التأثير في الجمهور، إذ يتحدّث قائلاً بأن : القيادة الكاريزماتية وفق الولاء الوجداني لشخص الحاكم وكراماته، تنحى للتسلل في نفوس جماهير القاعدة، عبر قدرات سحريّة، تنبؤات أو بطولة، طلاقة الروح (البشاشة) واللسان (القدرة الخطابية)، والاتيان بأمور خارقة للعادة أو ما لم يحدث بعد، أو الانبهار العاطفي عن طريق الكاريزما، تكون بمنزلة المنابع الرئيسة لتحقيق الولاء الشخصي لهذه القيادة تحديداً. فرابطة السيادة هي العنصر الجامع داخل المجموعة أو الأنصار. فالآمر هنا هو القائد، ونموذج المطيع هو المُريد. وتكون الطاعة كاملة من دون استثناء للقائد في حد ذاته، بل ومن أجل ميزاته الشخصيّة والتي تكون عادة فوق كل ما هو مُعتاد عليه عند الآخرين.

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، مج٤، ص٣١٦؛ الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٦، ص٣٢؛ الجنابي، المختار والحركة المختارية ـ فلسفة التوبة والثار، ص١١٢.

(٢) الجنابي، المرجع نفسه، ص١١٣؛ الخوالدة، تطوّر الخطابة في ظل التنافس السياسي في العصر الأموي، ص٥٨.

(٣) الاقتصاد والمجتمع ـ السيادة، (إشكاليات سيسيولوجيا الدولة)، ص٧٥٠.

إذ يُورِد المُبَرَّد [١] نصّاً تكاد تنطبق عليه ـ أفكار (ماكس فيبر) ـ عبر القول : إن المختار كان يدَّعي أنه يُلْهَم ضرباً من السِّجاعة لأمور تكون. فمن ذلك قوله (أي المختار) ذات يوم : لتنزلنَّ من السماء نارً دهماء، فلتحرقنَّ دار أسماء، فذكر ذلك لأسماء بن خارجة الفزاري، فقال : أقد سَجَعَ بي أبو إسحاق (المختار)؟ هو والله محرق داري، فتركه والدار وهرب من الكوفة [٢].

وفي حادثة خروج ابن الاشتر لقتال ابن زياد قرب الموصل، خرج المختار يُشيّع إبراهيم بن الأشتر وجنده ماشياً، فقال له إبراهيم : اركب يا أبا إسحاق، فأجاب : إني أحب أن تغير قدماي في نصرة آل الرسول (ﷺ)، فشبّعه فرسخين [٣]، وسلّم بعض خاصته ممن رافقوا ابن الأشتر، حماماً بيضاً ضخاماً، وقال : إن رأيتم الأمر لنا فدعوها، وإن رأيتم الأمر علينا فأرسلوها. وبعد ذلك قال للناس : إن استقمتم فبنصر الله، وإن حصتم حيصة [٤] فإني أجد في مُحكم الكتاب، وفي اليقين والصواب، أن الله تعالى مؤيدكم بملائكة غضاب، تأتي في صور الحَمام دوين السحاب. ولمّا كان ما كان على أصحاب إبراهيم في أول النهار، وتخاذل بعض منهم، أرسل أصحاب المختار الطير، فتصايح الناس : الملائكة .. الملائكة .. فتراجع المُنسحبون، وحمت الوطيس، واقتتل الناس حتى اختلط الظلام، وأسرع القتل في أصحاب ابن زياد، ثم انكشفوا، ووضع السيف فيهم حتى أفنوا، فإذا بابن الأشتر قد قتل ابن زياد في ذلك الظلام الدامس، وتحققت الغلبة له ولأصحابه [٥].

فيما يبدو أن المختار الثقفي كان واسع الحيلة، في تخمين المواقف والظروف، ووضعْ الأفكار والحلول التي تتناسب معها، بالشكل الذي يضمن تحقيق الغاية، وتوطيد أكثر من فكرة في أذهان الناس، بُغية الوصول لأكثر من هدف في الوقت ذاته، فهذا ما يُمكن أن يُستشف من هذه الحادثة المصيريّة، التي مكنته بشكل أو آخر؛ لأن يُرسّخ الصورة التنبئية المطلوبة أو القريبة عمّا هو مطلوب، ضمن تصورات الجماعة المؤيّدة له؛ ومن ثمَّ يتحقق أكبر عدد ممكن من المكاسب مشروعة التأثير.

---

(١) الكامل في اللغة والأدب، مج٣، ص٨٨.

(٢) المُبَرِّد، المصدر نفسه، مج٣، ص٨٩.

(٣) وحدة قياس، مفردها : فَرْسَخ، والجمع : فراسخ، تقدّر طولياً أو خطيّاً بثلاثة أميال، أو اثنا عشر ألف ذراع طولي، وهو المشهور. عمارة، قاموس المصطلحات الاقتصاديّة في الحضارة الإسلاميّة، ص٤٢٦.

(٤) الحيص : الحيد عن الشيء، حاص يحيص : إذا حاد. ويُقال : مالكَ مِنْ هذا الأمر مَحيص أي مَحيد. الفراهيدي، كتاب العين، باب : حيص، ج١، ص٣٧٨ ـ ٣٧٩؛ دوزي، تكملة المعاجم العربيّة، باب : حيص، ج٣، ص٣٩٢.

(٥) المُبَرِّد، المصدر نفسه، مج٣، ص٩٠ ـ ٩٢.

ومن أساليب التأثير التي لجأ إليها المختار في عوام أهل الكوفة وقاعدته، أمر الكرسي الذي اشتهر عنه. فقد كان لدى المختار كرسي قديم العهد، غشاه ذات يوم بالديباج، وأخرجه للناس قائلاً : هذا من ذخائر أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، فضعوه في براكاء [1] الحرب، وقاتلوا عليه، فإن محله فيكم محل السكينة في بني إسرائيل، وقيل إنه اشترى ذلك الكرسي من نجار بدرهمين، وروي غير ذلك بخصوص مصدره [2].

لقد تلقى المختار خبرات سابقة، أتاحت له فرصة فهم ما يدور حوله من أمور، فتمكن من استغلالها وتوظيفها بالشكل الأمثل لصالح حركته، رغم قصر مدة حكمه. ففي إحدى جولاته بصحبة المغيرة بن شعبة، فمرَّ بالسوق، فقال المغيرة وهو يحدِّث المختار، إني لأعرف كلمة، لو دعا بها أريب لاستمال بها أقواماً، فصاروا له أنصارا، لا سيما العجم الذين يقبلون ما يلقى إليهم، فتساءل المختار ما هي؟ قال : يدعوهم إلى نصرة آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والطلب بدمائهم [3]. وعلى ما يبدو أن هذه الكلمة، على فرض صحتها، بقيت في نفس المختار تختمر حتى خرج طالباً بالثأر.

لذلك توسل المختار أول الأمر بمحاولة إرضاء الزعامات التقليديّة صاحبة النفوذ، واستمالة الموالي من غير العرب ـ فيما بعد ـ عن طريق نَظْمهم في جيشه، وجعل حرسه تحت قيادة كيسان أبي عمرة [4]، الذي مارس دوراً مهماً في حركة المختار، سواء في حياته أو بعد تصفية الحركة وقائدها [5].

إذ رأى المختار أمامه كتلتين أساسيتين في الكوفة، هما الأشراف والموالي، فكان عليّه أن يقرر أي الكتلتين يختار، فلم يتردد في أن يختار جانب الموالي، لاعتبارات متعدد، منها ما تم ذكره آنفاً. فأستجاب له الموالي ـ وهم الكتلة الشعبيّة الأكبر، التي تؤلف السواد الأعظم من سكان الكوفة ـ حين أدركوا أن دعوته تهدف إلى مساواتهم بالعرب، ولمسوا مظاهر هذه المُساواة بأن أدناهم منه، وركوبهم الدواب، وأن جعل لهم نصيباً من الفيء، بل رأوه يُصرّح لهم : بأنهم منه، وهو منهم. وهي مظاهر أغضبت عليه الأرستقراطيّة الكوفيّة أشد الغضب، وأحنقتهم عليه أعظم الحنق، حتى

---

(١) براكاء وبروكاء، موضع اصطدام القوم في الحرب، أي ساحة القتال، وتأتي بمعنى الثبات والجد في الحرب. المُبَرِّد، الكامل في اللغة والأدب، مج٣، ص٩٢؛ ابن منظور، لسان العرب، باب : برك، مج١، ج٤، ص٢٦٧.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، مج٤، ص٣٢٧ ـ ٣٢٨؛ المُبَرِّد، المصدر نفسه، مج٣، ص٩٢. الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٦، ص٨٢ ـ ٨٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٤، ص٥٨.

(٣) البلاذري، المصدر نفسه، مج٤، ص٣١٣.

(٤) الطبري، المصدر نفسه، ج٦، ص٣٣.

(٥) القاضي، الكيسانيّة في التاريخ والأدب، ص٦٤ ـ ٧١.

قادهم الأمر في الأخير للوقوف في وجه دعوته، والتآمر عليها، والعمل على إحباطها، بل ومُحاربتها، وبعد فشلهم في جميع خطواتهم التي اتخذوها، لجأوا إلى مصعب بن الزبير والي البصرة، والأرستقراطي العربي؛ ليستنجدوا به كي يُخلّص مدينتهم من هذا الثائر الشعبي الخطير [١].

وحيث أن حركة المختار، لم يُكتب لها النجاح التام، شأنها شأن سابقاتها من حركات الشيعة في الكوفة [٢]، فإنها تمكنت من التأثير في محيطها البشري، عبر سلسلة من الأهداف المرحليّة التي ظهرت على الساحة، إذ تمكن المختار في زمنه القصير، أن يُصبح سيد الكوفة بلا منازع، ويبسط سلطانه بسرعة على أراضي الجزيرة الفراتية والمُقاطعات الشرقيّة، حيث نصّب الولاة من قِبَله، ولم يبق خارج دائرة سلطانه سوى مناطق جنوب العراق، ومنها البصرة، التي حافظت على إخلاصها لآل الزبير [٣].

ومع المختار في شهور العام ٦٦هـ / ٦٨٥م، بدأت أولى رموز الحركة الشيعيّة التي تتجاوز (الثأر) و(التوبة). وبسبب بعض التصرّفات المختاريّة، تلك المرتبطة بقضايا، مثل الملائكة، والكرسي، والإمامة؛ بدأ الشيعة الأوائل المعتدلون منهم يتخلون عنه، وكذلك نتيجة استعانته بالموالي، بدأ الأشراف يخافونه على سطوتهم ويهربون صوب البصرة، حيث تجمّع أنصار الزبيريين، وأعادوا سيطرتهم على الكوفة. ولكن بعد ان تركت بصمة حققت عن طريقها هذه الحركة الشيعيّة المُبَكّرة، أولى انتصاراتها ضمن جوانب، منها : تشكيل التنظيمات السريّة التي تحمل بين طياتها رموزا للتأثير في حركة استجلاب الأتباع والمُريدين، كذلك إمكانية الأخذ بثأر الشهداء، والتصديق بإمكان إقامة سلطة، بعيداً عَنْ باقي الإرادات الحاكمة [٤].

---

(١) الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٦، ص٣٣، ٤٣ ـ ٤٥، ٥٧، ٩٣؛ خليف، حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة، ص٧٥.

(٢) بيضون، التوابون، ص١٦٧؛ الحصموتي، حركات المُعارضة السياسيّة في العصر الأموي في كُتُب أنساب الطالبيين ـ دراسة مقارنة، ص١٠٤، ١٣٧، ١٥٧؛ خطاب، موقف بجيلة من حركات المعارضة في الكوفة (٦٠ ـ ٦٧هـ / ٦٧٩ ـ ٦٨٦م)، ص٥٣؛ صالح، روادف الكوفة ودورهم بالأحداث العسكريّة والسياسيّة (١٧ ـ ٨٤هـ / ٦٣٨ ـ ٧٠٣م)، ص١٦٣، ١٦٦، ١٧٢.

(٣) خليف، المرجع نفسه، ص٧٦؛ أبو الشعر، حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي في الكوفة، ص١٩٨ ـ ٢٠٠.

(٤) السيد، مفاهيم الجماعات في الإسلام ـ دراسات في السيسيولوجيا التاريخيّة للاجتماع العربي الإسلامي، ص٥٨.

سعى المختار لتعزيز صورته في عيون أهل الكوفة والتأثير بهم، عن طريق الدعوى التي قدّمها لهم، والقائلة بأنه يمتلك تفويضاً من محمد بن الحنفيّة، وأنه هو مَن أرسله لهذه المهمة، وهو المهدي الذي أشارت له النصوص النبويّة [١]، وإنَّه دعاني لتبايعوه سراً، وأمرني بتتبع قتلة الحسين (عليه السلام) والثأر لهم والاقتصاص من جميع مَن اشترك في تلك الفاجعة [٢].

وفعلاً نجح المختار من تحقيق بعض ما قال به، وأستمرّ بحركته التي أقامها في الكوفة، وتتبّع أولئك الذين شاركوا في واقعة الطف بالضد من آل البيت (عليهم السلام)، خصوصاً من الزعماء والقادة، كذلك الذين أسهموا بشكلٍ مباشر في التنكيل بعيال الحسين وأهله، فكما هو معلوم حجم تأثير هذا الأمر في نفوس الشاعِرين بالذنب مِن خذلان الحسين (عليه السلام) والتباطؤ في نصرته [٣].

فالكتب التي ادعى المختار، بأنَّ ابن الحنفيّة كان يبعث بها إليه، فعلت فعلها المَرجو منها، فكسب ودّ أهل الكوفة وغيرهم للانضمام إليه، وتمكن أيضا عبر هذه المُراسلات، من أن يستميل أحد أبرز فرسان الكوفة وأبطالها، ألا وهو إبراهيم بن الأشتر النخعي، الذي مَثّل أهم شخصيّة قاتلت إلى جانب المختار فيما بعد، خاصةً بعد تمكنه من تصفية ابن زياد، فأخذ المختار رأس الدعي ابن الدعي، وبعث به إلى ابن الحنفيّة في الحجاز، ففرح الهاشميين لمقتل قتلة الحسين (عليه السلام)، ودعوا إلى المختار وحمدوا فعله [٤]، فكانت هذه الحادثة وما شابهها خير وسيلة دعائيّة للمختار وحركته في استمالة قلوب أشياع آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى صفوف حركته [٥].

ومن الأمور التي أثرت في الحركة ودفعتها للظهور بشكل سريع وبارز، هو عدد المؤيدين في لحظات تشكلها الأولى، خاصة مِن سكان الكوفة الموالي والعرب، إذ منحوها قوة عدديّة لا يستهان بها، مقابل حجم الخصوم الذي وقفوا بالضد منها [٦].

---

(١) ابن حنبل، مُسند أحمد بن حنبل، ج١، ص٩٩، ٣٧٦، ٣٧٧، ٤٣٠، ٤٤٨؛ أبو داود السجستاني، سنن أبي داود، ج٤، ص١٠٧؛ الطبراني، المعجم الكبير، ج١٠، ص١٦٤ ـ ١٦٥؛ العميدي، المهدي المنتظر في الفكر الإسلامي، ص٦٥.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، مج٥، ص٧٣، ٧٤.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، مج٤، ص٣٢٣ ـ ٣٢٧.

(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج٢، ص١٧٦؛ بيضون، التوابون، ص١٨١ ـ ١٨٢؛ خليف، حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة، ص٧٧ ـ ٧٨؛ الصرايرة، محمد بن الحنفيّة ومواقفه في تاريخ الدولة العربيّة الإسلاميّة (١٦ ـ ٨١هـ / ٦٧٣ ـ ٧٠٠م)، ص١٧٩.

(٥) ابن سعد، المصدر نفسه، مج٥، ص١٠٠؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥٤، ص٣٤٣.

(٦) بالنور، دور الموالي في سقوط الدولة الأمويّة (٤١ ـ ١٣٢هـ / ٦٦١ ـ ٧٥٠م)، ص١٣٩.

وهناك عامل آخر تمثّل بالأموال التي غنمها المختار من بيت المال، ذلك عقب خروج عبد الله من مطيع الوالي الزبيري من الكوفة، إذ تُشير بعض الروايات إلى أن المبلغ كان كبيراً، مما أتاح للمختار توزيعه بين الناس، وأصاب كل فرد منهم من المال هذا سهم جيد [١].

وبالعودة إلى دراسة قسماً مِن خُطب المختار، تتضح بعض معالم التأثير التي عمل على تفعيلها في جماهير الكوفة، إذ كتب محمد بن الحنفيّة إلى المختار يُعلمه بما حلَّ به وبأهله على يد عبد الله بن الزبير، من سجنهم وتوعدهم بالقتل والتحريق، إن لم يبايعوه، فجمع المختار ونادى عليهم، وقال : هذا كتاب مهديكم، وصريح أهل بيت نبيكم، وقد تركوا محظوراً عليهم، .. ينتظرون القتل والتحريق بالنار، .. ولست أبا إسحاق إن لم أنصرهم نصراً مؤزَّراً، وإن لم أرسل إليهم الخيل في إثر الخيل، كالسيل يتلو السيل، حتى يحل بابن الكاهلية الويل [٢].

فهو يُعيد ويُكرر منزلة ابن الحنفيّة ومكانته في العقيدة والدين، ويُعرِّج على ما لاقاه وأصحابه وأهل بيته من التنكيل والبطش على يد ابن الزبير حاكم الحجاز فترة الاضطراب والفوضى، ويؤكد على قدرته في نجدة " الإمام المهدي " [٣] بإمكانيات وكفاءة عالية، راسماً نهاية ابن الزبير كأحد أدعياء الخلافة في حينه. ولا يُعلم على وجه التحديد، هل كانت هذه القصة تهدف لاستدراج المختار من قِبَل ابن الزبير وفضح أمره، أم فعلاً قد بلغ الحقد والغل في نفس ابن الزبير مبلغه، تجاه ابن الحنفيّة وأهل البيت (عليهم السلام)، لأن يصل لهذه الدرجة والمُستوى في التعامل معهم وإرهابهم وتخويفهم، أو ربمّا القضاء عليهم بشكلٍ حاسم ونهائي.

كذلك نلتمس ضمن خطبة أخرى للمختار، قالها وقد سار إليه مصعب بن الزبير قادماً من البصرة، شيئاً من الاستعطاف لأهل الكوفة وأصحابه، علَّه يحثهم على

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، مج٤، ص٣١٧؛ الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٦، ص٣٣؛ ابن الجوزي، المُنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٦، ص٥٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٤، ص٣٧.

(٢) الطبري، المصدر نفسه، ج٦، ص٧٦؛ صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ـ العصر الأموي، ج٢، ص٨٥ ـ ٨٦.

(٣) يرى أحد المستشرقين أن فكرة المهدي بمعنى المنقذ، تُفهم على ضوء بُنية مدينة الكوفة الثقافيّة والاجتماعيّة، وان ظهور هذه الفكرة دليل على تغيّر التشيّع العربي إلى تشيّع الموالي، حيث أصبح الإمام شخصيّة غامضة وذات أهميّة دينيّة. ان الصورة التي قدمها (برنارد لويس) يبدو أنها جاءت متأخرّة لدى الشيعة، ولا ترد في أخبار المختار المُبكّرة، وان كل ما يُفهم من دعوته لابن الحنفيّة، بأنه رأى فيه الرجل الذي آلت إليه الوصيّة، والذي يتمتع باحترام الناس لنسبة وفضائله. لويس، أصول الإسماعيليّة ـ بحث تاريخي في نشأة الخلافة الفاطميّة، ص٥٢.

الثبات والصمود في موقف المواجهة القريب، إذ نسمعه مُخاطباً لهم وهو يقول : يا أهل الكوفة، يا أهل الدين، وأعوان الحق، وأنصار الضعيف، وشيعة الرسول (ﷺ)، وآل الرسول (عليهم السلام)، إن فُرَّاركم الذين بغوا عليكم، ها قد أتى أشباههم من الفاسقين، وأغووهم عليكم، ليمتنع الحق، وينتعش الباطل، ويُقتل أولياء الله، فإذا هلكتم ما عبيد الله في الأرض إلا بالكذب على الله، واللعن لأهل بيت نبيّه (ﷺ)، أسرعوا لهم بالخروج، فإنكم لو لقيتموهم لقتلتموهم، قتل عاد وإرَم [1].

عادةً في المواقف الحاسمة، تتجه القيادة لتوظّف كل ما تمتلكه من وسائل الحث النفسيّة الكامنّة في إعماق قلوب قاعدتها الجماهيريّة، فما مِنْ شيء يُدَّخر، أمام هكذا لحظات حرجة، تتطلّب روح الاستبسال في المواجهة مع خصمٍ غادرته المروءة وتعلّقت به السيئات. فأنصار الضعفاء، يُفهم من هذا الشِعار وجود فئة عدديّة لا يُستهان بها، تعاني من مشاكل توجه إليها المختار، واعتمد مؤازرتها، وهذه الدعوة لا تُفهم بمعزل عن الدعوة إلى " المهدي " بين الكوفيين، ولم يوضّح المختار بِمَن يقصد بالضعفاء؛ مما يدلل على أنهم فئة اجتماعيّة معروفة في الكوفة، كذلك نرى المختار يؤكد على طبيعة الصراع القادم، بأنّه صراع ما بين الحق والباطل، وبين الخير والشر، إنه اللحظة المفصليّة في رسوخ كلمة الله وأوليائه الصالحين في الأرض، فأمّا الثبات لحفظ الكلمة والسيرة، وأمّا الفرار فيشيع البطلان والكذب على الله واللعن لأهل بيت نبيّه. إنها لحظة موازنه خطرة، قد تواجه تلك الجموع التي آمنة بالمختار وحركته، ها وقد أصبح كل شيء على المحك، في زمن غادره التفكير والنقاش، وأصبح لزاماً وضع القرار في محلّه، والفعل كأولويّة.

(١) أبو مِخْنَف، أخبار المُختار بن أبي عبيد الثقفي، ص١٣١؛ الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٦، ص٩٥.

برحيل يزيد بن معاوية أصبح البيت الأموي لا شاخص له يمكن أن يلتف حوله أنصار بني أميّة، فمعاوية الثاني كان على خلاف أبيه يزيد، ذا وعي ديني عميق، زاهداً بالحُكم [١]، والظروف غير مهيَّأة لتجعله قادراً على تحمل أعبائها خلال تلك الفترة الحرجة [٢]، فأمّا مروان بن الحكم وسعيد بن العاص [٣] فكانا غير معروفين لأهل الشام ولأنصار بني أميّة، إذ سعى معاوية في حياته للإيقاع بينهما، للحيلولة كي لا تنمو شخصية أحدهما فتطغى على شخصيّة ولده يزيد، لذلك عارض أهل الحجاز سعيداً بعد أن زجّ بنفسه في أمر أخذ البيعة ليزيد، وأمّا مروان فقد أنهى تقريباً كل تأييد لبني أميّة في محيط الحجاز بعد معركة الحرّة [٤].

ولم يكن البيت الأموي قد ثبتت دعائمه في الشام ـ كما جرى فيما بعد ـ كما وليس لهم في العراق أو مصر مِن تأييد واضح، إذ كانت الأمور تسير في نطاق العراق على غير مصلحتهم، ولم يظهر في عموم الأمصار الإسلاميّة مُرشّح بارز لمنصب "الخلافة" نتيجة الفراغ السياسي الحاصل؛ لذلك طمح عبد الله بن الزبير بأن يشغل هذا المنصب، غير أن ابن الزبير لم يتمكن من الانتقال بفكره وعمله بالسرعة المطلوبة من دور السياسي المعارض إلى دور السلطان الحاكم [٥].

---

(١) التوزري، الإكتفاء في أخبار الخلفاء، ج١، ص٢١٤ ـ ٢١٥؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص١١١؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج١، ص١٦٦.

(٢) العقيلي، يزيد بن معاوية ـ حياته وعصره، ص٨٠.

(٣) ابن سعيد بن العاص بن أُميّة القرشي الأموي، من أشراف قريش وأجوادهم وفصحائهم، وأحد الذين كتبوا المصحف لعثمان بن عفان، ولّي الكوفة من قبل عثمان، غزا طبرستان وجُرْجان وأذربيجان، ولمّا قُتِلَ عثمان لزم داره وأعتزل الفتنة، فلم يشهد الجمل ولا صفين، وله مع معاوية كلام طويل، عاتبه على قعوده عن نصرته، توفي سنة ٥٩هـ / ٦٧٨م. ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٤٨١ ـ ٤٨٢.

(٤) منطقة قرب المدينة (يثرب)، تُعرف بحرّة واقم، اشتهرت بكونها أرض ذات حجارة سوداء كأنها أحرقت بالنار، فيها كانت وقعة مشهورة في أيام يزيد بن معاويّة من سنة ٦٣هـ / ٦٨٢م، وأمير الجيش من قبل يزيد كان مسلم بن عقبة المرّي، حيث قدم المدينة وقاتل أهلها فكسرهم، وقتل فيها من الصحابة وأبنائهم من المهاجرين والأنصار وقبائل العرب خلق كثير. ابن جنيدل، معجم الأمكنة الوارد ذكرها في صحيح البخاري، ص١٨٥ ـ ١٨٦.

(٥) القبلان، عبد الله بن الزبير ـ حركته وخلافته، ص١٤١.

لهذا رأى قسماً من المؤرخين (١) بأنّه فوّت على نفسه الفرصة الأهم في حياته السياسيّة، حينما رفض الذهاب إلى الشام بصحبة الحصين بن نمير (٢)، علماً أن ضعف أنصار ابن الزبير في عموم الأمصار الإسلاميّة المختلفة خاصة بعد النتائج التي أفضى إليها مؤتمر الجابيّة، خاصة بالشام التي دعاه للذهاب إليها ابن نمير، بل ربما خلقت له مُحادثات البيعة أعداء بين صفوف قادة بني أميّة، خصوصاً أولئك الذين أبعدهم قسراً من المدينة كمروان بن الحكم وعائلته (٣).

ولا يُستبعد أن مسألة الجيش الشامي الذي طلب الحصين بن نمير من ابن الزبير بأن يسير على رأسه، هو جيش جاء ليحارب ويغنم، وقد مضى على خروجه من الشام أكثر من أربعة أشهر، ولأفراده أُسر بالشام يَخشون عليها، ومن ثمَّ فلا يضمن ابن الزبير ألّا يتفرق عنه هؤلاء الجُند، فيمسي وحيداً متى وصل الشام، وجيشه وأنصاره تركهم وراءه بالحجاز (٤). هذا في حال افتراض صحة الحوار الذي وقع بين الحصين وابن الزبير بأمر الخروج (٥)؛ مما أكسبه عطف وتأييد أهل الحجاز بعدم خروجه صوب الشام، وربما جرى العكس لو أنه ترك الحجاز وقصد الشام في مغامرة غير محسوبة النتائج، إلا أن الفرصة التي لاحت لابن الزبير يصعب تقرير مدى واقعيتها وأهميتها في حياته السياسيّة.

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦، ص٤٨٧؛ البلاذري، أنساب الأشراف، مج٤، ص٢٠ ـ ٢١؛ الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٥، ص٥٠٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٣، ص٤٦٧ ـ ٤٦٨؛ بيضون، الحجاز والدولة الإسلاميّة ـ دراسة في اشكالية العلاقة مع السلطة المركزيّة في القرن الأول الهجري، ص٣٠٤ ـ ٣٠٥؛ سرور، الحياة السياسية في الدّولة العربيّة الإسلاميّة خلال القرنين الأول والثاني بعد الهجرة، ص١٠٩؛ الشريف، دور الحجاز في الحياة السّياسية العامّة في القرنين الأول والثاني للهجرة، ص٤٣٣ ـ ٤٣٤.

(٢) ابن نابل بن لبيد الكندي السكوني، من أهل حمص، خرج إلى صفين مع معاوية بن أبي سفيان، ولّي الصائفة ليزيد بن معاويّة، كان أميراً على جند حمص، وسار ضمن الجيش الذي وجهه يزيد إلى أهل المدينة من دمشق لقتال أهل الحرّة، أستخلفه مسلم بن عقبة على الجيش، وقاتل عبد الله بن الزبير في مكة بعد حصار دام لأكثر من شهرين ومن ثم رمى الكعبة بالمنجنيق، حضر مؤتمر الجابيّة حين عُقِدَتْ لمروان بن الحكم الخلافة، قُتِلَ في موقعة الخازِر قرب الموصل سنة ٦٧هـ / ٦٨٦م في صِدامه مع جيش المختار الثقفي بقيادة إبراهيم بن الأشتر. الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٦٧ ـ ٢٦٨، ٢٩٥؛ الطبري، المصدر نفسه، ج٦، ص٨٩؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ج٧، ص١٩٠ ـ ١٩٢.

(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج٢، ص١٧٠ ـ ١٧٣.

(٤) أحمد، الخلافة والدولة في العصر الأموي، ص١٥٩؛ الشريفي، الأوضاع السياسيّة في العراق والحجاز بين الأعوام ٦٠ ـ ٦٥هـ / ٦٧٩ ـ ٦٨٤م، ص١٦٧.

(٥) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص١٤١ ـ ١٤٢؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٦، ص٢٣.

لقد كانت أحداث وقعة الحرّة في المدينة سنة ٦٣هـ / ٦٨٣م، وما سبقها بعامين من استشهاد الحسين وصحبه (عليه السلام) بوقعة كربلاء سنة ٦١هـ / ٦٨٠م، مجالاً حيوياً لابن الزبير ومدعاة قويّة للطعن بشرعيّة بني أميّة، والتشهير بهم عموماً وبيزيد الخصم الشاخص في دمشق الشام بشكلٍ خاص [١]. وجاء رحيل يزيد ابن معاوية وولده معاوية الثاني الذي كان يشغل منصب ولاية العهد، ليضع الأمر برمته موضع الحيْرة ليس للشاميين فحسب، وإنمّا لعموم الأطراف العربيّة ذات الزعامة النافذة، في سبيل تحديد الشخص الذي تتم له البيعة، وتعقدت القضيّة جرّاء خلافات القبائل، تلك الخلافات التي كانت تتقاسمها منذ القديم، على أساس مبدأ اليمانيّة والقيسيّة وجملة من الثأريات القديمة التي تم تغذيتها زمن معاوية الأول، للحصول على فرصة السيطرة والبقاء للحكم السفياني وديمومته [٢].

وبالعودة لجذور حركة عبد الله بن الزبير، نراه من الذين عارضوا معاويّة في ولاية العهد لأبنه يزيد، كذلك امتنع عن إعطاء يزيد البيعة بعد رحيل معاويّة، ذلك لوجود مَن هو أفضل مِنْ يزيد نفسه، واعتراضاً على مبدأ التوريث مِنْ الأساس. وبعد استشهاد الحسين بن علي (عليه السلام) ازداد ذم الناس ليزيد وبطانته على أثر الأحداث التي رافقت حكمه حتى النهاية، فأعلن ابن الزبير خلعه ليزيد، بل والتحرك ضد بني أميّة، والدعوة لنفسه، وعمل على الشد من أزر ثورة المدينة قبل اخفاقها، فلجأ إلى مكة بعد ذلك وبيتها الحرام واعتصم به، وأطلق على نفسه العائذ بالبيت [٣].

وعاد ابن الزبير للدعوة إلى نفسه مرّة أخرى وبشكل علني هذه المرّة، ذلك بعد رحيل يزيد بن معاوية سنة ٦٤هـ / ٦٨٤م، وتولي معاويّة الثاني، إذ بايعهُ الناس في ذلك العام، وأتته الوفود بالبيعة من مصر والعراق وأنحاء من الشام، إلى جانب بيعة أهل الحجاز، وسارت الأحداث حتى وقعت عدة حروب ووقائع بينه وبين آل مروان، وانتهت بمقتله بمكة على يد جيش الحجاج بن يوسف الثقفي، زمن حكم عبد الملك بن مروان بن الحكم، سنة ٧٣هـ / ٦٩١م [٤].

---

(١) كاهن، تاريخ العرب والشعوب الإسلاميّة منذ ظهور الإسلام حتى بداية الإمبراطوريّة العثمانيّة، ص٤٣.

(٢) كاهن، المرجع نفسه، ص٤٤.

(٣) المقدسي، البدء والتاريخ، ج٦، ص١٣ ـ ١٥؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٨، ص١٤٠؛ عبد الهادي، الأمويون والفقهاء ٤١ ـ ١٣٢هـ / ٦٦١ ـ ٧٥٠م (دراسة سياسيّة)، ص١١٦.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٣، ص٢٢١؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج١، ص١٦٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص٣٦٣؛ عبد الهادي، المرجع نفسه، ص١١٧.

أولاً : المواصفات الشخصيّة للقيادة :

طمح ابن الزبير ومنذ وقت مبكّر، لأن تكون له مكانة في زعامة الدولة وقيادتها، فموقفه من حادثة الدار التي حُوصِرَ بها الخليفة عثمان بن عفان سنة ٣٥هـ / ٦٥٥م وهو متقلّد سيفه (١)، إمارة تشي بنزعة الطموح التي ستغذّيها أحداث لاحقة.

ففي طفولته كانت كلمة " السيف " أول ما أفصح به لسانه وتكلّم (٢)، وصحب والده أوائل صباه في الحملات التي جرت على بعض القبائل العربية والمناطق التي امتنعت عن دفع الأموال وارسالها لمركز الحُكم الجديد في المدينة، بعد رحيل الرسول (ﷺ) عن عالم الدنيا (٣)، وحضر وقعة اليرموك سنة (١٥هـ / ٦٣٦م) بصحبة والده الزبير بن العوّام (٤)، وأشترك في غزو مصر وأفريقية زمن الخليفتين عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، وقصد غزوات المشرق كذلك (٥)، وأمّا في زمن حكم معاوية بن أبي سفيان فقد اشترك في غزو القسطنطينية سنة ٤٩هـ / ٦٦٩م (٦)، وقبل ذلك كان قد اشترك في يوم الجمل مع خالته عائشة بنت أبي بكر (٧).

واختلف في أمر صحبته للرسول (ﷺ)، فبعض المؤرخين عدَّه منهم (٨)، وبعضم الآخر صنَّفوه من بين فقهاء المدينة ومُحدثيها (٩)، وأمّا بخصوص روايته للأحاديث، يُعدّ من المُقلين، وغالبيتها في الغزوات وشيء من السيرة (١٠).

---

(١) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص١٧٣، ١٧٤.
(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٢٠، ص١١٧.
(٣) الثعالبي، ثمار القلوب في المُضاف والمَنسوب، ص١٢٧.
(٤) الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٣، ص٥٧١؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، مج٣، ص٤٧٤.
(٥) ابن خياط، المصدر نفسه، ص١٥٩، ١٦٠، ١٦٤؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص١٢٦؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٩٩، ٣١٧؛
(٦) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٥، ص٢٢٤.
(٧) ابن خياط، المصدر نفسه، ص١٨٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٣٦٤.
(٨) ابن الأثير، المُرصّع في الآباء والأمّهات والبنين والبنات والأذواء والذوات، ص١٥٧؛ الذهبي، المصدر نفسه، ج٣، ص٣٦٥.
(٩) ابن خياط، المصدر نفسه، ص٢٣٢؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص١٢٢؛ ابن حثلين، الفقهاء والخلفاء ـ مواقف الفقهاء من السلطة السياسيّة في العهدين الأموي والعباسي الأول (٦٠ ـ ٢٤٥هـ)، ص٣٦.
(١٠) الراوي، آل الزبير ودورهم في الدولة العربيّة الإسلاميّة حتى منتصف القرن الثالث الهجري، ص٤٠.

ومن الواضح أن عبد الله ابن الزبير قد تأثر بالمحيط الذي نشأ وسطه، ولكون هذا الوسط يقدّر الفصاحة والبيان في الكلام والخطابة؛ لذا عُرِفَ عنه تمكنه من هذا الأمر، كما ظهرت فصاحته وبلاغته في جملة من الخُطَبْ التي أوردها عنه بعض المؤرخين (١)، كخطبته التي ألقاها في مكة بعد بلوغه خبر استشهاد الحسين (عليه السلام)، وخطبته بعد مصرع أخيه مصعب (٢). وبذات الصدد قال عنه عثمان بن طلحة (٣) : كان عبد الله بن الزبير، لا يُنازع في ثلاث، الشجاعة والعبادة والفصاحة (٤).

ويلمح المُتتبّع لسير تطوّر شخصيّة عبد الله بن الزبير وسلوكه، ذلك الحجم المُتنامي لظاهرة الاعتزاز بالنفس والعائلة والعشير، ففي حواريّة يُرُدها ابن عبد ربه الأندلسي (٥)، جرت في مجلس معاوية بن أبي سفيان، بحضور الحسين (عليه السلام) وجماعة من قريش فيهم ابن الزبير، حيث دخل الحسين بن علي (عليه السلام) يوماً على معاويّة بصحبة مولى له يُدعى ذكْوَان، فرحَّب معاوية بالحسين (عليه السلام)، وأجلسه على سريره، وقال : تُرى هذا القاعد [يعني ابن الزبير] فإنه لَيُدْركه الحسد لبني عبد

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، مج٤، ص٢٨٩؛ مِسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج٢، ص١٢١، ١٦٢ ـ ١٦٣؛ صفوت، جمهرة خطب العرب ـ العصر الأموي، ج٢، ص١٦٤، ١٦٥، ١٦٧.

(٢) البلاذري، المصدر نفسه، مج٤، ص٣٠٤؛ الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٥، ص٤٧٤ ـ ٤٧٥؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١، ص٩٣؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٥٨، ص٢٤٧ ـ ٢٤٨؛ صفوت، المرجع نفسه، ج٢، ص١٦٨ ـ ١٦٩.

(٣) ابن أبي طلحة عبد الله بن عبد العُزّى بن عثمان القرشي العبدري، صحابي، حاجب البيت الحرام، وأحد المُهاجرين، هاجر مع عمرو بن العاص وخالد بن الوليد إلى المدينة، توفي بمكة في اوائل حكم معاوية بن أبي سفيان سنة ٤١هـ / ٦٦٠م وقيل ٤٢هـ / ٦٦١م. ابن سعد، الطبقات الكبرى، مج٦، ص٦؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص١٠ ـ ١٢؛ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص٣٨٧ ـ ٣٨٨.

(٤) ابن عساكر، المصدر نفسه، ج٢٨، ص١٧٩؛ الذهبي، المصدر نفسه، ج٣، ص٣٧٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٩ ، ص١١٣.

(٥) المصدر نفسه، ج٤، ص٩٩ ـ ١٠٢؛ صفوت، المرجع نفسه، ج٢، ص١٥٨ ـ ١٦٤.

مناف [١]، فقال ابن الزبير لمعاويّة : قد عرفنا فضل الحسين (عليه السلام) وقرابته من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، لكن إن شئت أعلمتُك فضل الزبير على أبيك أبى سفيان فعلتُ [٢].

وهنا ردَّ معاوية ردّاً مُطوّلاً، فأجابه ابن الزبير أمام الحاضرين، بالقول : تعلمون أن أبي حواريّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأن أباه أبا سفيان حارب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأن أمي أسماء بنت أبى بكر الصديق، وأمه هند آكلة الأكباد، وجَدِّى الصدِّيق، وجده المشدوخ [٣] ببدر، ورأس الكفر، وعمتي خديجة ذات الخَطَر [٤] والحسب، وعمته أم جميل حَمَّالة الحَطَب، وجَدَّتي صفية [٥]، وجدته حَمَامة [٦]، وزوج عمتي خير ولد آدم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) [٧]، وزوج عمته شر ولد آدم أبو لَهَب ..، وخالتي عائشة أم المؤمنين، وخالته أشقى الأشْقَيْن، وأنا عبد الله، وهو معاويّة [٨].

إن الإنسان العربي ذو أنفة بطبعه؛ لذلك جرى الفخر على لسانه بامتداد العصور والأزمان، والصحراء العربية بيئة مناسبة ومساعدة أيضاً لظهور فن الفخر وانتشاره؛ لِما تشهده من صراع دائم بين الإنسان والطبيعة، كذلك بين الإنسان نفسه وغيره من الناس. فالصحراء حافلة على الدوام بالمخاطر والحروب، وبكل مظاهر

---

(١) عبد مناف، جد يجمع بني هاشم وبني أميّة، فالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ومعاويّة هو ابن أبي سفيان بن حرب بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مناف، وأمّا عبد الله بن الزبير، فَمِنْ بني أسد، فأبوه الزبير بين العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العُزى بن قصي بن كلاب. الكلبي، جمهرة النسب، ج١، ص٢٦ ـ ٢٩، ٣٧، ٣٨، ٤٩، ٦٨ ـ ٧٠.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص٩٩ ـ ١٠٠.

(٣) المكسور : أي المقتول. وهو جد معاوية لأمه، عتبة بن ربيعة، قتله أمير المؤمنين علي (عليه السلام) يوم بدر. الفراهيدي، كتاب العين، مادة : شدخ، ج٢، ص٣١٥؛ العليمي، مرويات غزوة بدر، ص٢٠٢ ـ ٢٠٣.

(٤) ارتفاع المكانة والمنزلة والشرف والمال. السيدة خديجة بنت خويلد الأسدية، عمة أبيه، وزوج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم). الفراهيدي، المصدر نفسه، مادة : خطر، ج١، ص٤١٩؛ الزبيري، نسب قريش، ج١، ص٢١؛ ج٦، ص٢٠٧؛ ج٧، ص٢٣٠.

(٥) صفية بنت عبد المطلب، أم الزبير بن العوّام، وعمة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم). الزبيري، المصدر نفسه، ج١، ص٢٠.

(٦) جدة معاوية، أم أبى سفيان، كانت بغياً في الجاهلية وصاحبة راية. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج١، ص١٥٧.

(٧) ابن حجر، مَبلغ الأرب في فخر العرب، ص٢١.

(٨) ابن عبد ربه، المصدر نفسه، ج٤، ص١٠١.

القوة والعنف والبطولة، إذ يتجلى عن طريقها التنازع من أجل البقاء في كل صورة، ومن تلك الصور، الفخر بالأنساب والانتماء للعائلة والعشيرة [١].

ولم يخرج ابن الزبير عن هذا النهج، فاعتمد على قاعدة النسب العائلي في تحديد مقدار وحجم الأولوية التي يراها في نفسه، ليدعم ما يُحاول الوصول إليه، من زعامة وتسيّد للقاعدة الجماهيريّة، ليس في حدود المجتمع الحجازي وحيّزه فحسب، وإنمّا على مساحة الدولة الآخذة بالاتساع والنمو المُتسارع، كنتيجة طبيعية لازدياد عمليات الفتح العسكري لأراضي ومناطق جديدة، تُضاف مع كل عام يَمُر [٢].

ويبدو أن معاوية بن أبي سفيان كان يُدرك حجم الطموح الذي يعتلي صدر ابن الزبير في بلوغ أمر السيادة والتّزعّم، فحدَّثه ذات يوم قائلاً : تُنازعني هذا الأمر كأنك أحق به مني، فأجابه ابن الزبير : لم لا أكون أحق به منك يا معاوية، وقد اتبع أبي رسول الله (ﷺ) على الإيمان، واتبع الناسُ أباك على الكفر [٣].

وكان معاوية شبه متأكد من نزوات ابن الزبير، وحقيقة أهدافه، وطبيعة شخصيّته التوّاقة للحُكُم والسلطة؛ لذا أوصى ولده يزيد قبل وفاته، بالقول : ... وأما ابن الزبير فإنه خَب ضَب [٤]، فإن ظفرت به فقطعه إِرباً إربا [٥].

ففي سابق الأيام كان معاوية يُروّج لطلب البيعة لأبنه يزيد، وبعد رحيل زياد بن أبي سفيان سنة ٥٣هـ / ٦٧٢م، أظهر معاوية عهداً قرأهُ على الناس، يتضمّن عقد الولاية ليزيد بعده؛ ليسهل بذلك أمر البيعة، واستمرَّ يُرَوّج لذلك سبع سنين، ويُشاور، ويعطي الأقارب ويداني الأباعد، حتى استوثق من أغلب الناس، وفي أحد الأيام، قال لابن الزبير : ما ترى في بيعة يزيد، فأجابه ابن الزبير : أني أناديك ولا أناجيك، إن أخاك مَنْ صدقك، فأنظر قبل أن تتقدّم، وتَفَكَّر قبل أن تَتَدَّم، فإن النظر قبل التقدُّم، والتفكر قبل التندم. فضحك معاويّة، وقال : ثعلب روّاغ، تعلَّمت السَجع عن كِبَر [٦]. وهي إشارة واضحة تشي بنوايا كلا الطرفين في أمر السلطة وبلوغها.

---

(١) محمد، الفخر في النثر العربي، ص٦.
(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص١٠٣.
(٣) ابن عبد ربه، المصدر نفسه، ج٤، ص١٠٦.
(٤) يُقال رجل خب ضب : أي مراوغ خدّاع. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة : خب، ج١، ص١٥٧؛ مادة : ضب، ج٣، ص٣٥٨.
(٥) ابن عبد ربه، المصدر نفسه، ج٤، ص١٧٥.
(٦) ابن عبد ربه، المصدر نفسه، ج٥، ص١١٧.

ومن صِفات عبد الله بن الزبير الشخصيّة، التي جاء على ذِكرها بشكلٍ واضح بعض من المؤرخين [١]، والمتمثلة بالبخل والتقتير؛ مما أضعف من مكانته في الكثير من المواقف التي تتطلب رباطة في الجأش وشجاعة في الكرم، ففي أحدى الأيام، قَدِمَ عليه أعرابي طالباً منه أن يُسجَّل في فرض العطاء، فقال ابن الزبير : أفرضوا له، فقال الأعرابي : أعطني، فأجابه ابن الزبير : قاتل أولاً، فردَّ عليه الأعرابي : دمي نقد ودراهمك نسيئة [٢].

وأمَرَ ذات يوم لأبي الجهم العدوي [٣] بألف درهم، فدعا له وشكره، فقال له : بلغني أن معاوية أمر لك بمائة ألف درهم، فتسخطتَّها وشكوتَه، وقد شكرتني، ... فقال أبو الجهم : كان ذلك من معاوية قليلاً، وهذا منك كثير، فأطرق ابن الزبير ولم ينطق [٤].

ومن أخطر المواقف التي أضعفت من مكانة ابن الزبير بين أنصاره، وهي مُعبرة عن نفسه الشحيحة أيضاً، إذ حينما حوصر كانت لديه البيوت مملوءة قمحاً وذرة، وأصحابه يتضوَّرون جوعاً، فقيل له فرقّها فيهم، فلم يفعل، وأحتجَّ بأنَّ قلوبهم قويّة، ما لم ينفد الطعام [٥]. حقاً هذا من أعجب الأعاجيب، فربّما عجزت الفلسفات بأجمعها، عن بلوغ هذه الدرجة من التعليل للحظات الخطر الداهم، والقائد يبخل بإطعام المُحاربين، وهم عِماد صمود المدينة وبقاء السلطان واستمراره.

وكنتيجة طبيعيّة لهذه القرارات الشاذّة، تأتي الروايّة التالية لتمنح مصداق ما مرَّ ذكره من الحوادث، إذ قال ابن أبي عتيق : نظرت إلى عبد الله بن الزبير وعبد الله بن صفوان، وقد ذهب الناس عنهما، ولم يبقَ معهما أحد، وهما نائمان يغطّان، في الليلة التي قتلا في صبيحتها [٦].

---

(١) ابن حمدون، التذكرة الحمدونيّة، مج٢، ص٣٤٠.
(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، مج٤، ص٢٨٧.
(٣) ابن حذيفة بن غانم بن عامر القرشي، صحابي من مسلمة الفتح، كان مُعَظَّماً في قريش ومُقَدَّماً فيهم، وكان عالماً بالنسب، عُدَّ من معمري قريش ومشيختها، شهد بنيان الكعبة مرتين، الأولى في الجاهلية حين بنتها قريش، والثانية حين بناها ابن الزبير، وصف بقوة النفس، وفد على معاوية فأجلسه معه على السرير، ووصله بمائة ألف درهم، فاستقلَّها، واختلف في تحديد زمن وفاته، فالبعض يرده إلى أواخر حُكُم معاوية، وإذا ما صح لقاءه بابن الزبير، فتكون وفاته بعد العام ٦٤هـ / ٦٨٣م. ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٦، ص٥٦ ـ ٥٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٥٥٦ ـ ٥٥٧.
(٤) ابن حمدون، المصدر نفسه، مج٢، ص٣٨٩.
(٥) ابن حمدون، المصدر نفسه، مج٢، ص٣٤١.
(٦) ابن حمدون، المصدر نفسه، مج٢، ص٤٠٩.

ويبدو أن بعض المؤرخين القدامى منهم والمحدثين، لم يهملوا هذا الجانب في شخصية عبد الله بن الزبير، إذ نعوا عليه بخله بالأموال في جانب الدعاية لحركته، وفي تجميع الأنصار حول أهدافه، ويذكرون في تأييد ما ذهبوا إليه تلك الحادثة المُتصلة بأخيه مصعب بن الزبير، حينما قدم عليه في جماعة من أهل العراق، عقب القضاء على أمر المختار الثقفي وحركته، ذاكراً دورهم لأخيه عبد الله، في أمر مساندتهم وتأييدهم، بل ومساعدتهم بالرجال والسلاح، والوقوف إلى جواره في تلك المعارك الضاريّة، ثم طلب منه أن يصلهم بالأموال ويفضّل عليهم [١]، غير أن أخاه عبد الله رفض ذلك، قائلاً : جئتني بعبيد أهل العراق لأعطيهم مال الله، لا أفعل، ... ثم أنصرف عنه القوم خائبين، فكاتبوا عبد الملك بن مروان، وتركوا أمر مصعب بن الزبير، وليلقى مصيره بعد ذلك [٢].

ويؤكدون أصحاب هذا الرأي والتوجّه، قولهم بأنَّ لتقتيره في الأموال، غاب عنه الشُعَراء الذين يشيدون بذكره، إلا شاعر واحد هو عبيد الله بن قيس الرقيات [٣]؛ ومن ثمَّ خسر وسيلة العصر بالترويج والدعاية في حينه، ونتيجة لحرص ابن الزبير الذي أدعى بأن المال هو : مال الله ! إلا أن سلوكه بالدعوة إلى نفسه " بالخلافة " بعد ذلك، لا يُساند دعواه بأن المال لله، وأنّه خازن ليس إلا؛ ومن ثمَّ لم يجد الشعراء لديه ترحيباً أو تكريماً إلا مَنْ صمد في تأييده وثبت إلى جواره، غير أن الأمور بخواتيمها، فرفضْ عبد الله صلة العدد المحدود ممن تم عدَّهم من وجوه أهل العراق حسب وصف مُصعب، كلَّفه بعد ذلك أموالاً مضاعفة، حينما وافق أخاه على رفع عطاء المحاربين من أهل العراق، بمقدار ما كان الأمويون يمنحونه لجنودهم من أهل الشام؛ مما أرهق خزينة بيت المال أضعاف ما كان سيمنحه لهؤلاء الذين بمعية أخاه مُصعب، وهو أمر مُستغرّب في ظل ظروف مُتعسرة، واضطرابات مُحتدمة،

---

(١) أحمد، الخلافة والدولة في العصر الأموي، ص١٦٠ ـ ١٦١.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١، ص٣٤١.

(٣) أبو هاشم ابن شُريح القرشي العامري الحجازي، أحد الشعراء المُجيدين، انغمس في السياسة وخصوماتها، فأتصل برجالها طلباً للمال، فمدح مصعب بن الزبير، وعبد الملك بن مروان بعد ذلك، ومدح عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، بعد أن أجزل له العطاء، وقد حرمه منه عبد الملك مدى الحياة، توفي في حدود سنة ٨٠هـ / ٦٩٨م. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٥، ص٧٣ ـ ٧٧؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، مج٣، ص١٩٠؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٩، ص٢٦٣ ـ ٢٦٤؛ عبد الرحمن، عبيد الله بن قيس الرّقيّات ـ حياته وشِعره، ص٥٣ ـ ٥٦، ١٩٣.

واقليم مجدب، وحركات مناهضة، وأعداء مُتربصين، وقبائل متصادمة، وعداوات قائمة [١].

فنمط السيادة التقليدية المتأتية من حكم الإيمان بقداسة الأنظمة القائمة على أساس الامتداد التاريخي لسلطات السّاسة، أو المحاكاة لرمزية تقليدية ذات بعد وأثر قبلي فاعل، تشكل طابعاً ذا هيمنة تقليديّة، بالاستناد على ذلك الرمز التاريخي وبإطاره الضامن لتحقيق السلطة على الجموع التابعة، لا من حيث القوة المالية، بقدر ما يكون لتلك القيادة من أثر نفسي وقبلي، اعتمادا على فعالية المجتمع وتركيبته الطبقيّة [٢]. إذ كثيراً ما حاول عبد الله بن الزبير، تقديم نفسه للمجتمع الحجازي، على أنه امتداد للسيرة والشخصيّة العمريّة [٣]، في الإدارة والحُكُم، بل وحتى ببعض العادات الشخصيّة كارتداء الإزار وحمل الدرّة [٤]؛ لذلك يتضح السبب الذي قاد الكثيرين من زعماء القوم وأشرافها، من اتخاذهم القرار باللحاق بابن الزبير وحركته في مكة، عقب إعلانها مِنْ قبله، وعلى ما يبدو أن العصبيّة القبيلة كان لها دور في ذلك، إضافة إلى انتماء بعضهم لفئة أبناء الصحابة أو القرّاء؛ مما دفعهم لمساندة ابن الزبير، الممثل الأخير، حسب وصفهم للخلافة الراشدة [٥].

تصف بعض المصادر عبد الله بن الزبير بأنّه كان شديد البأس، ذا أنفة، وأن له نفس شريفة، ويتحلى بالهمة العاليّة [٦]، وهي صفات عامة مثالية في الغالب، تأتي كوصف لبعض الشخصيّات التي يُراد إضفاء صفة القداسة عليها، أو للرفع من شأنها ومنزلتها في عيون الناس وقلوبهم، كما في أمثلة وصفية كثيرة حفلت بها غالبية مصنفات القرون الهجريّة التي أعقبت القرن السابع، خصوصاً ما تعلّق الكلام بذكر شخصيّة سياسية أو دينية تعود لفترة التاريخ الإسلامي المُبَكّر، قد مارست دوراً وتأثيراً مباشراً في حلبة الصراع من أجل السلطة والحُكُم، وهو ما نجده مُتجسدا في قضية ابن الزبير تحديداً، حيث أفرد لها صفحات كثيرة للحديث عن حركته أو ثورته، بناءً على وصف الواصفين ورؤية كلٍ منهم [٧].

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج٤، ص٤٩٢؛ أحمد، الخلافة والدولة في العصر الأموي، ص١٦١.

(٢) فيبر، الاقتصاد والمجتمع ـ السيادة، (اشكاليات سيسيولوجيا الدولة)، ص٧٤٦، ٧٤٨.

(٣) المقصود الخليفة الثاني : عمر بن الخطاب. العازمي، السّيرة العُمَرِيّة ـ دراسة محققة لسيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، مج٤، ص٢٨٣.

(٥) بن حسين، الفتنة الثانية في عهد الخليفة يزيد بن معاوية، ص١٠٣.

(٦) ابن كثير، البداية والنهايّة، ج٩، ص١١٣.

(٧) بدوي، أبحاث المُستشرقين في مصنفات التاريخ الإسلامي بعد العصر العباسي، ص٣٩.

وكما جاءت الإشارة سلفاً، بخصوص عمل ابن الزبير على تقديم شخصيّة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، كنموذج يُرتجى الاحتذاء به، نجد ذلك يتجسد في ذلك الخطاب الذي انتدب له ابن الزبير، ليسوقه للحاكم الأموي الذي ينوي تنصيب ولده من بعده كولي للعهد. وقد لا نجد صعوبة في تفسير رئاسة ابن الزبير لوفد أبناء الصحابة المجتمعين إلى معاوية. فثمة اعتقاد مُرجّح بأنَّ هذه المهمّة، إنمّا تندرج في سياق اتفاق ضمني على توزيع المهام، وتقسيم محاور النفوذ بين الزعيمين الرئيسيين، وهو ما تجسّد عملياً بعد ذلك في فترة حكم يزيد، باتخاذ الحسين (عليه السلام) محور نشاطه ضمن العراق، ومنح ابن الزبير حرية الحركة في الحجاز. ولم يكن تكليف هذا الأخير، إلا بداية تكريس لزعامته الحجازيّة، التي أخذت بالتبلور منذ ذلك الحين [١].

حيث كانت الشروط التي وجهها ابن الزبير لمعاوية، وكما ذكرتها غالبيّة الروايات التاريخيّة، تنطوي على طعن غير مباشر بالأمويين وخلافتهم، وكذلك على محاولة مبطنة لإعادة الاعتبار للحجاز، الذي كاد يفقد دوره المركزي بشكل تدريجي، ذلك الدور المرتبط أساساً بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي : خرج من الدنيا ولم يستخلف [٢]، ثم أختار الناس بعده أبا بكر فجعلوه خليفة [٣]؛ ثم ترك هذا الأخير، ولده ورهطه الأدنين ..، وعهد بها إلى رجل من قاصية قريش، فجعلها في عمر بن الخطاب ..، وإن شئت فأصنع كما صنع عمر بن الخطاب، أنه جعلها شورى في ستة نفر من الصحابة يختارون رجلاً، وترك ولده وبني أبيه ورهطه [٤].

ويبدو أن عبد الله بن الزبير قد أوضح أمام الجميع، بأنه يروم التعكز على شخصيّة لها أثرها ومكانتها لا زالت تشغل أذهان التيار القبلي، الذي يثق بقاعدة رجال القبيلة وزعاماتها، بأنهم القوة التي يمكن ترجيح كفة هذه القيادة ومنهجها التقليدي، كسبيل للوصول للسلطة والإمساك بها عن طريق القبضة القبلية.

---

(١) بيضون، الحجاز والدولة الإسلاميّة ـ دراسة في اشكالية العلاقة مع السلطة المركزيّة في القرن الأول الهجري، ص٢٤٤.

(٢) ذلك حسب وجهة نظر قسماً من المسلمين، الذين يرون بأن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يوصي بخلافته الدينية والسياسية لأحد من صحابته ولا لأهل بيته، وإن ما جرى من استبعاد للأنصار وتنصيب أبا بكر في اجتماع سقيفة بني ساعدة ما هو إلا فلته. ابن هشام، السيرة النبوية، ق٢، ص٦٥٤، ٦٥٧؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، مج٢، ص٢٠٠؛ آرمسترونج، سيرة النبي محمد، ص٣٨٠؛ حركات، السياسة والمجتمع في العصر النبوي، ص٢١٥.

(٣) ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٣، ص٣٤٢.

(٤) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص٢١٦؛ ابن أعثم الكوفي، المصدر نفسه، ج٣، ص٣٤٢؛ بيضون، المرجع نفسه، ص٢٤٥.

ثانياً : الخطاب السياسي الموجّه نحو القاعدة :

لم يتمكن عبد الله بن الزبير من منافسة الحسين بن علي (عليه السلام) آنذاك؛ كون شرعيّة الأخير تستند إلى انتمائه لأهل البيت (عليهم السلام)، فهو سبط الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من أبنته السيدة فاطمة (عليها السلام). وظل ابن الزبير يتربّص الموقف، حتى غادر الحسين (عليه السلام) مكّة قاصداً معقل التشيّع مدينة الكوفة. ذلك لإدراك ابن الزبير بأن لا أمل له بالسلطة مع وجود الحسين (عليه السلام) في مكة؛ لهذا نجد ابن الزبير يُشجع الحسين ويحثّه للخروج صوب الكوفة [١]، بقوله : أما لو كان لي بها مثل شيعتك، ما عدلت بها، وعَقّبَ الحسين على كلامه بالقول : ها إنَّ هذا، ليس يؤتاه من الدنيا أحب إليه، من أن أخرج من الحجاز إلى العراق [٢].

وعلى أثر استشهاد الحسين (عليه السلام) في كربلاء، دعا ابن الزبير لنفسه، وبايعه الناس. إذ أخذ يُشنّع بأهل الكوفة، ويهاجم الأمويين، ويعرض بيزيد [٣]، ويبدو أنه أصبح سيد الحجاز بلا منازع [٤]، والأحق بمنصب الخلافة، بعد رحيل الحسين، ومأساة الحرّة، لهذا نصّب نفسه وليَّ للحسين والمطالب بدمه، مُعيداً إلى الأذهان تلك الصورة التي عمل معاوية تحت ظلالا، يوم مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان [٥].

وبعدما غادر الحسين (عليه السلام) عالم الدنيا شهيداً، اتسع لأبن الزبير المجال السياسي، وأخذ يُروّج للحجاز من جديد، بوصفه المركز التقليدي للسلطة الإسلاميّة، الذي ضمَّ بين جنباته مدينة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) التي تحوّلت عنها الخلافة بعد مقتل عثمان إلى الكوفة [٦].

وعليه فإنَّه رأى بنفسه، أحق بمنصب الخلافة من يزيد أو غيره؛ كونه من أبناء المهاجرين البدريين والصّحابة، إضافة إلى أنه بن أخت السيدة عائشة زوج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وحفيد أبي بكر من أبنته أسماء، فكانت سنة ٦١هـ / ٦٨٠م، وعلى أثر مجزرة كربلاء، التي فسحت له المجال لإعلانه خلع يزيد بن معاوية من منصبه كخليفة في دمشق الشام [٧].

---

(١) عاقل، خلافة بني أميّة، ص١٠٣.
(٢) الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٥، ص٣٨٣.
(٣) عاقل، المرجع نفسه، ص١٠٦.
(٤) الطبري، المصدر نفسه، ج٥، ص٤٧٤ ـ ٤٧٥.
(٥) صالح، أثر انتقال الخلافة على الحجاز، ص٢١٥.
(٦) بن حسين، الفتنه الثانية في عهد الخليفة يزيد بن معاوية (٦٠ ـ ٦٤هـ / ٦٨٠ ـ ٦٨٤م)، ص٥١١.
(٧) بن حسين، المرجع نفسه، ص٥١٢.

وبذلك أسس ابن الزبير كياناً سياسياً ودينياً، مناهضاً ومعارضاً لسلطة الشام، التي واجهت حركة جديدة معارضة، بعد القضاء على حركة الحسين بن علي الأخطر ـ على وفق المنظور الأيديولوجي ـ كونها كادت تَضرب الشرعيّة التاريخيّة للأمويين في مَقْتَلْ. حتى جاءت الضربة الثانية لسلطة يزيد، وهذه المرَّة على يد ابن الزبير، إذ جعلت شرعيّة دمشق، شرعيّة منقوصة من جديد؛ كونها لم تحضَ بتأييد كامل على مستوى البيعة (١).

ارتكز الخطاب السياسي لأبن الزبير، وخلال تلك الفترة المبكّرة، على قاعدة الشورى (٢)، وهو خطاب ضبابي مُشوّه المعالم حسب تقدير بعضهم (٣)، ففي أوائل شهر رجب من عام ٦٤هـ / ٦٨٣م بايع الناس لأبن الزبير بمكة (٤)؛ وهذا يشير صراحة إلى أن عبد الله بن الزبير لم يُطالب بالبيعة لنفسه بأمر الخلافة، إلا بعد أن مات معاوية بن يزيد، إذ أقام الناس شهرين وأياماً بلا خليفة، وهنا نجد أن عامل الزمن في هذه الفترة تحديداً كان مهماً لابن الزبير، إذ كان عليه أن يستفيد منه في تحركاته، غير أنه لم يتحرك بهذا الاتجاه أو ذاك، ويبدو أن السبب يعود إلى أمر دعوته الناس للشورى خلال تلك الفترة البسيطة حتى هلك يزيد (٥).

ومن جانب آخر يظهر للمتتبع، أن استجابة أهل المدينة لدعوة ابن الزبير للبيعة في أعقاب استشهاد الحسين (عليه السلام) ورحيله (٦)، لم يرافقها الكثير من الحماسة، إذ انقسمت بين مؤيد له من القرشيين، بزعامة عبد الله بن مطيع العدوي، وهو من أقارب الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (٧)، وبين متحفظ أو مُتردد وهم الأنصار، بزعامة عبد الله بن حنظلة الأوسي (٨). غير أن التقاء أهل المدينة وابن الزبير حول هدف مُشترك، وَحَدَّ بينهم الهدف السياسي وخطابهم المعادي للأمويين وسلطتهم (٩).

---

(١) بن حسين، الفتنة الثانية في عهد الخليفة يزيد بن معاويّة، ص٥١١.
(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، مج٤، ص٣٢.
(٣) بن حسين، المرجع نفسه، ص٥١٣.
(٤) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص٢٥٧.
(٥) القبلان، عبد الله بن الزبير ـ حركته وخلافته، ص١٤٦.
(٦) المسعودي، التنبيه والاشراف، ص٢٦٣.
(٧) البلاذري، المصدر نفسه، مج٤، ص٢٨٢؛ المسعودي، المصدر نفسه، ص٢٦٤.
(٨) ابن الراهب عبد عمرو بن صيفي بن النعمان الأنصاري المدني، ولد على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، أي قبل وفاته بسبع سنين، كان خيراً، فاضلاً، مقدمّاً بين الأنصار، قتل يوم الحرّة سنة ٦٣هـ / ٦٨٢م، بعد ان تزعّم الأنصّار في قتال جيش الشام. ابن خياط، المصدر نفسه، ص٢٣٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٣٢١ ـ ٣٢٥؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٧، ص٨٢.
(٩) بيضون، الحجاز والدولة الإسلاميّة، ص٢٧٠ ـ ٢٧١.

لقد اعتمد ابن الزبير في خطابه السياسي الموجَّه لمقاومة الحكم الأموي، على قاعدة إظهار عدم الرضا عن سيرتهم في الحكم، وذلك منذ دعوة معاوية له بإعطاء البيعة ليزيد، حيث كان ابن الزبير أحد أقطاب المعارضة لهذا الأمر؛ مما قاده بعد ذلك للجوء إلى مكة، والتعلّق بأستار الكعبة، والامتناع عن بيعة يزيد [١]، متمسكاً بذات الفتوى والحجّة التي استمسك بها الحسين بن علي (عليه السلام) مِنْ قَبْل؛ والقاضية بعدم جواز الاستئثار بالسلطة من دون شورى وبيعة حُرّة؛ كونها تخالف منهج من مناهج شرعيّة الحاكم للرعيل المتقدم، تحت قاعدة البيعة الاختياريّة والشورى [٢].

واستثمر ابن الزبير مقتل الحسين (عليه السلام) في خطبة له عقب ذلك الحدث الجلل، إذ عاب على أهل مكة والعراق وأهل المدينة خذلانهم للحسين [٣]، وفي الوقت نفسه، أخذ يُندد بحكم يزيد، وجعله المسؤول عمّا لحق الحسين، وأخذ يُعدد فضائل الحسين ومزاياه، ويُبيّن مثالب يزيد وعيوبه وفساده واستهتاره، وعدم صلاحه لحكم الأمة، إذ قال : أفبَعد مقتل الحسين نطمئن إلى هؤلاء القوم، ونصدّق قولهم، ونقبل لهم عهداً ؟! لا، ولا نراهم لذلك أهلاً، أما والله لقد قتلوه طويلاً بالليل قيامه، كثيراً في النهار صيامه، أحق بما هم فيه منهم، وأوْلى به في الدين والفضل...، وأخذ بعد ذلك يُعرِّض بيزيد، كما يقول الطبري [٤].

ففي هذه الخطبة، التي ألقاها على مسامع أهل مكة بعد مقتل الحسين؛ يُبيّن ابن الزبير موقفه وبكل وضوح مِنْ حُكم يزيد، إذ يؤكد على ان الحسين بن علي أحق بهذا الأمر منهم، لتقواه وعلمه وفضله ومحبة الناس له ولآل بيت النبوّة، ولو تُرك للناس حريّة الاختيار، لأجمعوا على تنصيب الحسين (عليه السلام). وبذات الوقت يذكر أسباب غياب شرعيّة حُكم بني أميّة، مُبيّنا فسادهم وبُعدهم عن القواعد العامة للسلم الأهلي، التي جاء الإسلام ليؤكدها، كذلك نكثهم للعهود والمواثيق، وقتلهم للحسين، مستبيحين بذلك دماء الناس وأموالهم. أضف إلى ما تقدّم الاستبداد بالحُكم، والاستئثار بالسلطة ومواردها، هنا يُصبح التغيير بالفعل لا بالقول، طريقاً سالكاً للمقاومة وبقوة السلاح للحُكم الأموي ونظامه المُستبد [٥].

---

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج٢، ص١٦١؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٣٧٢ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص٢١٤ ـ ٢١٥.

(٢) ابن حثلين، الفقهاء والخلفاء ـ مواقف الفقهاء من السلطة السياسية في العهدين الأموي والعباسي الأول (٦٠ ـ ٢٤٥هـ)، ص٣٣ ـ ٣٤.

(٣) الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٥، ص٤٧٤.

(٤) المصدر نفسه، ج٥، ص٤٧٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٣، ص٤٤٦ ـ ٤٤٧.

(٥) ابن حثلين، المرجع نفسه، ص٣٤ ـ ٣٥؛ مُبارك، أصول الاستبداد العربي، ص١٧٥.

يُشار إلى أن عبد الله بن الزبير ـ وفي معرض سياسته ـ لم يدع بالخلافة لنفسه، في حياة يزيد [١]، ولا قبل استشهاد الحسين في وقعة الطف، لعلمه بأحقية الحسين للخلافة، وان الناس لن يبايعوه ويتركوا الحسين بن علي. وبعدما وقع للحسين ما وقع، نجد أن ابن الزبير لم يدع لنفسه على عجل، بل كان يعد العدّة، ويُحرّض الناس، ويترقب الوقت المناسب، وحمل شِعار الشورى بين المسلمين، في أمر الخلافة [٢].

وعلا أمره في الأقطار، وبشكلٍ خاص في مكة والمدينة، وكان رأي عامّة الناس، بعد استشهاد الحسين (عليه السلام)، بأنَّ المنافس الأوفر حظاً، أمام بني أميّة هو ابن الزبير، وأنّه أولى الناس بأمر الخلافة، إلّا أنّه لم يتعجّل الأمر، وكان يأخذ البيعة لنفسه سراً، ويقول لأعوانه : لا تتعجّلوا [٣].

وبعد موقعة الحرّة، أصبح لا بُد من المواجهة مع السلطة الأمويّة وحُكمها، مُتَمثلاً بالجيش الذي أرسله يزيد صوب مكة، مِنْ أجل إرغام ابن الزبير للرضوخ لأمر البيعة، فكان مِنْ ابن الزبير أن قاوم تلك القوة المُجهّزة لقتاله، واتخذ من الأمر ذريعة وبيّنة للتنديد بيزيد وعمله الفاضح بسكان المدينة، وأدرجها ضمن قائمة خطاياه الطويلة، وقد تأثّر نفسياً بهذه الأحداث أهل مكة، وغيرها من الأمصار، مما رفع مِنْ مكانة عبد الله بن الزبير في نفوسهم، وأكسبه حظوة أعلى بينهم [٤].

وخلال تلك المرحلة الحساسة مات يزيد، وتنازل ولده معاوية عن أمر الحُكم، فأصبح المنصب شاغراً، فدفع ذلك الوضع بابن الزبير، لأن يدعو لنفسه، بعد أن وجد الفرصة ها قد جاءت إليه تسعى، فجرت له البيعة في رجب من شهور سنة ٦٤هـ / ٦٨٣م [٥]. هكذا أخذ البيعة لنفسه، من أهل الحجاز، وباقي زُعَماء الأمصار، عدا أهل الأردن، من بني كلب، حلفاء بني أميّة وأصهارهم [٦].

---

(١) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص٢٥٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص٣٣٦.
(٢) ابن خياط، المصدر نفسه، ص٢٥٨؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٥، ص٣٢٧.
(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج٢، ص١٦١، ١٦٢، ١٧٠؛ الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٥، ص٤٧٥.
(٤) ابن كثير، المصدر نفسه، ج٨، ص٣٠٧، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٨.
(٥) ابن خياط، المصدر نفسه، ص٢٥٧؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص١٣٩ ـ ١٤١؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٣٧٢؛ ابن كثير، المصدر نفسه، ج٨، ص٣٣٦.
(٦) ابن أعثم، الفتوح، ج٥، ص١٧٣؛ ابن الأثير، الكامل، مج٣، ص٤٧٧ ـ ٤٧٨؛ أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج١، ص١٩٣؛ القرماني، أخبار الدول وآثار الأول، مج٢، ص١١.

لقد جسَّد ابن الزبير في موقفه هذا، جانباً من خطابه السياسي، وما عوَّل عليه فقهاء أهل المدينة وغيرهم، إزاء طبيعة الحُكم الأموي وسلوكياته، إضافة إلى مُناهضتهم مسألة وراثة الحُكم لفرع دون غيره من قُريش [١]، إذ كان عبد الله بن الزبير يُجسد هذه النظرة أيضاً، خلال حواره مع معاوية بن أبي سفيان [٢].

إذ انحاز ابن الزبير، صوب الرأي الفقهي القائل بوجوب مقاومة البغي والظلم، وترك الاكتفاء بالمناصحة، فكانت الشورى العمريّة، قد مثّلت جانباً من شعاره الذي دعا إليه، وميّزها على أنها سلاحه في مواجهة السلطة الأمويّة وحاكميتها، بل والإطار الذي تمكن عن طريقه، أن يمنح نفسه شرعيّة المطالبة بمنصب الخلافة [٣].

ويُلحظ على الخطاب السياسي الذي انتهجه ابن الزبير سمة الشورى، إذ دعا الناس لبيعته على كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) وسيرة الخلفاء الأربعة [٤]، ويبدو من هذا الطرح، أن عبد الله بن الزبير سعى أول أمره لجعل القاعدة الحجازية، بل وعموم أهل الأمصار العربية، يتحسسون الفارق القائم ما بينه وبين السلطة الأموية، من حيث النهج والقواعد العامة التي ينوي السير عليها؛ وهذا ما يجعله أكثر قبولاً ورجحاناً لدى الكثيرين من سكان الأمصار المسلمين وغيرهم، حيث تمكن من تحريك الموالي واجتذابهم أول أمره، لِما فهموه من خطابه المُعلن، والرامي إلى تأسيس منظومة إدارية تحظى بالعدل في تعاملها مع مختلف الانتماءات العِرقيّة لمن تديّنوا بالإسلام، ومن ثمَّ استرجاع صورة الخلافة الأولى، التي تعبر عن إرادة الجميع ورغبتهم في إقامة حكم الشورى، والبيعة الاختياريّة، والتنحي عن صورة التوريث في الحكم، أو حصره بيد عائلة واحدة [٥].

فكانت حركة ابن الزبير محاولة للعودة بالخلافة إلى صورة منبتها الحجازي الأول، تؤيده في ذلك توجهات شرائح وفئات اجتماعيّة وسياسيّة ضمن مختلف أقطار الدولة، مستغلاً في ذات الوقت الصراع الذي تجدد مرَّة أخرى بين القيسيّة واليمانيّة عقب موت معاويّة الثاني عام ٦٤هـ / ٦٨٣م، وجيَّره لصالحه عبر الخطاب السياسي، لاستقطاب بعض منهم لصالح حركته [٦].

---

(١) ابن حثلين، الفقهاء والخلفاء، ص٣٦.
(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسّياسة، ج١، ص٢١٢
(٣) بيضون، من دولة عُمر إلى دولة عَبد الملك ـ دراسة في تكوّن الإتجاهات السّياسيّة في القرن الأول الهجري، ص١٩٠، ١٩٣، ١٩٤.
(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، مج٤، ص٢٨٢.
(٥) ابن حثلين، المرجع نفسه، ص٣٧.
(٦) دلّو، مساهمة في إعادة كتابة التاريخ العربي ـ الإسلامي، ص١٩٠.

غير أن الأمر لم يستقم على هذا الشكل، إذ رُبمّا كان ابن الزبير مصاباً بنوع من العمى السياسي أو جنون العظمَّة، أضف إلى ذلك التخبط في طبيعة العلاقات، خصوصاً مع مَنْ لهم تأثير بشكلٍ أو بآخر على توجّهات أبناء قبائلهم، وعلى كُلِ مَنْ يُرى لهم الرأي والمشورة، ففي حادثة يُردها أبو الفرج الأصفهاني [١] بهذا الصدد، يتضح المسلك غير السليم لعبد الله بن الزبير في تنفير رأس من رؤساء قبيلة هذيل، وكيف تعامل معه بجفاء وجلفة، إذ تحدّث الأصفهاني قائلاً : لما ظهر ابن الزبير بالحجاز، وغلب عليها بعد موت يزيد بن معاويّة، وتشاغل بنو أميّة بالحرب بينهم، في مَرْج راهط وغيرها، دخل على ابن الزبير أبو صخر الهذلي [٢] في هُذَيْل، إذ جاءوا ليقبضوا عطاءهم، وكان معروفاً أبو صخر بهواه في بني أميّة، فمنعه ابن الزبير عطاءَه، فقال : عَلاَمَ تمنعني حقاً لي ولقومي، وأنا رجلٌ مُسلم ما أحدثت في الإسلام حَدَثاً، ولا أخرجت من طاعةٍ يداً، فردَّ عليه ابن الزبير : عليك ببني أميّة، فاطلب عندهم عَطَاءك. وهنا جاء الجواب من أبي صخر الهذلي، وكان جواباً قاسياً قوياً على مسامع ابن الزبير، فقاد الأمر إلى غضب ابن الزبير غضباً شديداً، وأكال له بالشتم والتقريع، ثم أمر به إلى سجن " عارِم " فحُبس به مدة، وأطلقه بعد سنة، نتيجة لوساطات هُذيل، ومَن له نسبة معهم من قريش، وأقسم ألا يمنحه عطاء مع المسلمين أبداً. فلمّا ولِيَ عبد الملك بن مروان، أمر له بِما فاتهُ من العطاء، وبقدره منحه صِلة من ماله وكساه وحمله معززاً حيث أراد.

يتضح من هذه الحادثة ومثيلاتها، أن عبد الله بن الزبير، غاب عنه بُعد النظر، وحُسن التدبير، في شأن المداراة وسياسة الناس والوجوه، حيث طغت في شخصيته الجوانب العسكريّة مِنها على السياسيّة، مما أفقده حالة التوازن بين المور، وربمّا كان لاندفاعه صوب الفكرة التي سيطرت عليه، والقائلة بأن تراثه القتالي، ومنذ البدايات، وشعوره بأنه الوريث الشرعي للفكر التقليدي لمرحلة الحُكم الأولى التي أعقبت رحيل الرسول ، قد ألقت بظلالها على تحركاته، وتصوراته، التي اجتمعت في دواخله، مما أبعده عن أمكانية التمييز، بل والتفريق بين ما هو سياسي وما هو عسكري في شأن الحُكم [٣].

---

(١) الأغاني، ج٢٤، ص١١١ ـ ١١٣؛ صفوت، جمهرة خطب العرب ـ العصر الأموي، ج٢، ص١٧٣ ـ ١٧٤؛ الطيّب، هذيل في جاهليتها وإسلامها، ص١٤٦ ـ ١٤٧.

(٢) عبد الله بن سلم السهمي، من بني هذيل بن مدركة، شاعر إسلامي من الفصحاء، عُدَّ من شعراء الدولة الأمويّة، وكان موالياً لبني مروان، متعصباً لهم، له مدائح تُروى في عبد الملك بن مروان، وأخيه عبد العزيز. أبو الفرج الأصفهاني، المصدر نفسه، ج٢٤، ص١١٠؛ الطيّب، أبو صخر الهذلي، ص٥ وما بعدها.

(٣) صالح، أثر انتقال الخلافة على الحُجاز، ص٢١٥.

ثالثاً : موقف القاعدة ومطالبها من المشروع السياسي للقيادة :

تأسست دعوة ابن الزبير في الأساس، على المطالب السياسية والاقتصادية، بهدف استعادة دور إقليم الحجاز أبان مرحلة حكم الخلفاء الأربعة الأوائل؛ لهذا نجد ميل ابن الزبير صوب منصب الخلافة بدا واضحاً، وعمل في سبيل تحقيق هذه الغاية على استعادة الاعتبار لتيار المهاجرين، معتقدا بإمكانية إحياء التيار المعتدل في قريش، الفاصل ما بين الهاشميين والأمويين. وحاول أن يجعل مِنْ نفسه محوراً لجمع الحجازيين، إلا أنه ذهب بعيداً في تصوراته هذه، إذ لم يتعامل مع المعطيات الجديدة والمتغيرات الحداثة على الساحة بما ينبغي، ولم يلتصق بالأنصار والمؤيدين بالشكل الذي يتطلّب الأمر، خاصة مع أهل العراق، إذ ابتعد عنهم وأبعدهم عنه منهجه المُنَفّر. وربّما كان خياره الأفضل لإنجاح حركته، بوصفهم العدو العنيد أمام الأمويين، والذي أخفق في استثمار موقفهم هذا بالشكل الذي يُدَعّم مركزه ويُعَضّد تحركاته، مدفوعاً من وراء هذا الابتعاد، بحجازيته المُفرطة، وإيمانه المُبالغ بعودة قيادتها للمشهد مِنْ جديد. كذلك مدعوماً بما حظي به من مواقف التأييد الحجازيّة، التي جاءته بمستوى يفوق بقية المناطق والأقاليم، بوصفه أحد أبرز أبناء الصحابة المنتفضين [١].

لعلَّ من المناسب التعرّف على مواقف القوى المحيطة بابن الزبير، وعلاقته بها، وسياسته تجاهها، وفي مقدمتهم الأنصار. وهم مَنْ نصر الرسول (ﷺ) منذ هجرته، وكان يُحسب لها الحساب طيلة تلك المدة، حتى موقعة الحرّة، إذ وجدوا أنفسهم الآن مع ابن الزبير، في مواجهة الأمويين بشكلٍ مباشر؛ مما حداهم الأمر، ولسان حالهم يقول : أما وقد رحل الحسين (عليه السلام) عن عالم الدنيا، فلا أحد ينازع ابن الزبير اليوم في هذا الأمر [٢].

وبعد حادثة الحرّة، قدمت فلول الهاربين من هول المجزرة إلى مكة، والتحقت بقوى ابن الزبير، كارهين غزو مكة، محاولين منع ذلك، خشية أن يجري عليها ما جرى للمدينة وأهلها، فالتفوا حول حركة ابن الزبير الحجازيّة، وأظهروا حماستهم الشديدة نحوه، إلا أن موقفهم هذا، لم يكن قوياً بما فيه الكفاية، بعد أن دبَّ في عضدهم الضعف، أثر المحنة التي حلَّت بهم بعد واقعة الحرّة المروعّة [٣].

---

(١) بيضون، الحجاز والدولة الإسلاميّة ـ دراسة في اشكالية العلاقة مع السلطة المركزية في القرن الأول الهجري، ص٢٩١ ــ ٢٩٢، ٣٠٧، ٣٢٤؛ صالح، أثر انتقال الخلافة على الحجاز، ص٢١٥ ــ ٢١٦.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٣، ص٤٤٧.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، مج٤، ص١٧.

وأيَّد قسماً من الفقهاء، حركة ابن الزبير ودعوته، منهم : عبيد الله بن علي بن أبي طالب، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب [١]، وسلمة بن ذؤيب بن عبد الله بن المُحَكم بن زيد الرياحي اليربوعي التميمي [٢]، حيث اشترك في الدعوة لأبن الزبير بالبصرة سنة ٦٥هـ / ٦٨٤م، وأسهم في أمر إخراج عبيد الله بن زياد وإبعاده عن دار الإمارة [٣]، كذلك دعا النعمان بن بشير الأنصاري [٤] لابن الزبير وكان على حمص [٥]، وبايعه من الصحابة : جابر بن عبد الله الأنصاري، وأنس بن مالك [٦].

إلا إن الأهم من ذلك، هو امتناع قسماً مِن فقهاء المدينة وصحابتها عن مبايعته، أمثال : عبد الله بن عباس، ومحمد بن علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عمر [٧]، وربما يعود السبب الرئيس لرفضهم مبايعة ابن الزبير، لاعتقادهم بأنّه كان مُجرَّد ساعٍ للحُكُم، مُسترشدين على ذلك بتخليه عن جعل الأمر شورى بين الناس لاختيار مَنْ يرونه مناسباً [٨]، وذهابه إلى أمر طلب البيعة لنفسه، عقب موت يزيد [٩].

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، مج٤، ص٢٨٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص٣٣٦.

(٢) ثائر وفقيه، عُدَّ من فرسان العرب، سكن البصرة، خرج على بني أميّة عام ٦٤هـ، وعاملهم على العراق يوم ذاك عبيد الله بن زياد، دعا إلى بيعة عبد الله بن الزبير، تمكن من هزيمة ابن زياد ورجاله، وطرده إلى الشام، فأستتب الأمر في البصرة وسائر العراق لأبن الزبير. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ج٨، ص٢٤٦ ـ ٢٤٧.

(٣) البلاذري، المصدر نفسه، مج٤، ص٢٧؛ ابن دريد، الاشتقاق، ص٢٢٣؛ السيد، التدوين والفقه والدولة، ص١٠٨ ـ ١٠٩.

(٤) أبو عبد الله بن سعد بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري، ولد بعد الهجرة، برز دوره السياسي أواخر أيام عثمان بن عفان، تحديداً زمن الفتنة، وكان أن حمل قميص عثمان إلى معاوية في الشام، مع رسالة كتبتها نائلة زوجة عثمان، ورافقه في الرحلة عبد الرحمن بن حاطب بن بلتعة، وعُدَّ النعمان بن بشير عُثماني الهوى ـ بتقييم بعض المؤرخين ـ وذكر الطبري في إحدى رواياته بأنَّ النعمان لم يُبايع علي (عليه السلام) بالخلافة، بعد مقتل عثمان. الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٤، ص٤٣٠، ٥٦٢؛ الصرايرة، النّعمان بن بشير الأنصاري ومواقفه في تاريخ صدر الإسلام والدولة الأمويّة، ص١٦٥١، ١٦٥٢، ١٦٥٦، ١٦٧٢، ١٦٧٦.

(٥) البلاذري، المصدر نفسه، مج٤، ص٢٧؛ العش، الدولة الأمويّة، ص١٨٨.

(٦) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنِّحل، ج٤، ص٢٠٥؛ ابن كثير، المصدر نفسه، ج٨، ص٣٣٦.

(٧) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص٢٦٢؛ البلاذري، المصدر نفسه، مج٤، ص٢٨٢؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٣٧٢؛ ابن كثير، المصدر نفسه، ج٨، ص٣٣٦.

(٨) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حوادث ووفيات ٦١ ـ ٨٠، ص٢٤٧؛ بيضون، الحجاز والدولة الإسلاميّة، ص٢٩٨؛ العش، المرجع نفسه، ص٢٠٦.

(٩) ابن حثلين، الفقهاء والخلفاء ـ مواقف الفقهاء من السلطة السياسيّة في العهدين الأموي والعباسي الأول (٦٠ ـ ٢٤٥هـ)، ص٣٧.

هذا ووقفت قبائل قيس إلى جانب ابن الزبير، إذ أعلن زعماؤها في بلاد الشام، أمثال : الضحاك بن قيس الفهري بدمشق، والنعمان بن بشير بحمص، وزفر بن الحارث بالعواصم وقنسرين [١]، ونائل بن قيس الجذامي بفلسطين، مبايعتهم لعبد الله بن الزبير بأمر الخلافة [٢]. وذلك أملاً في التغلّب على الكلبيين، وانتزاع مواقع القوة من أيديهم. هكذا اجتمعت لأبن الزبير ولايات الخلافة، باستثناء الأردن التي رفض أمر البيعة رئيسها حسّان بن بَحْدل الكلبي [٣]، وبايعته تلك الولايات وزعمائها بالخلافة، وولّى عليها عُمّالاً من قِبَله [٤]. حتى أن مروان بن الحكم همَّ أن يشخص لأبن الزبير فيبايعه، لولا أن منعه عن ذلك عبيد الله بن زياد [٥].

إنَّ التناقض الذي أطاح بأبن الزبير في أمر التأييد من عدمه، ربمّا يعود لسببية ذلك اللبس الحاصل في تقدير الفارق ما بين مفهومي " الشورى " و " البيعة "، إذ من المُتعسر العثور على شرح واضح لمفهوم الشورى القرآني [٦] ـ على الرغم مِنْ كونه يعكس مبدأ المساواة العامة بين الناس بمقابل التوحيد المُطلق لله تعالى ـ فإنه

---

(١) أحدى كور بلاد الشام ومدنه، تقع إلى الجنوب من حلب، بينها وبين حلب مسير مرحلة من جهة حمص، وتقع بالقرب من العواصم، والبعض يجعلها ضمن العواصم، غزاها أبو عبيدة عامر بن الجرَّاح عام ١٧هـ / ٦٣٧م. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٤، ص٤٠٣ ـ ٤٠٤.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج٢، ص١٧٠؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص١٤٣ ـ ١٤٤.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، مج٤، ص٢٨٢؛ اليعقوبي، المصدر نفسه، مج٢، ص١٧١.

(٤) الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٥، ص٥٣١ ـ ٥٣٢.

(٥) دلو، مساهمة في إعادة كتابة التاريخ العربي ـ الإسلامي، ص١٩١.

(٦) لقد اكتفت الشريعة بتقرير الشورى كمبدأ عام، وتركت لأولي الأمر في الجماعة أن يضعوا معظم القواعد العامة اللازمة لتنفيذها، كون هذه القواعد تختلف تبعاً لاختلاف الأمكنة والأوقات والجماعات، غير أن القواعد الأساسيّة الخاصة بتطبيق مبدأ الشورى وتنفيذه، رغم قلتها، فقد بيَّنت الشريعة أحكامها، ولم تهملها، وحكمها حكم مبدأ الشورى، لا تقبل التبديل أو التعديل، كونها جاءت بنصوص خاصة، منها : أن تكون الأقليّة التي لم يؤخذ برأيها، أول مَن يُسارع إلى تنفيذ رأي الأغلبيّة، وأن يتم العمل به بإخلاص على اعتباره رأي واجب الإتباع، وأن تدافع عنه، كما تدافع عنه الأغلبيّة، وليس للأقليّة أن تناقش رأياً اجتاز دون المناقشة، أو تشكك في رأي وضع موضع التنفيذ، كون الأمر سُنَّة نبويّة، وعلى الناس اتباعها مِن دون سؤال أو اعتراض. عودة، التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، ج١، ص٤٣. وعلى ما يبدو أن هذا الطرح جاء مُستنداً لتأويل بعض التصرفات النبويّة الخاصة، إذ ليس في القرآن ما ينفيها أو يُثبتها، ولعلّه كان خياراً نبوياً مطروحاً من جملة من الخيارات، ولا شيء يُشير إلى أن ذلك الأمر يُمَثل قاعدة عامة، خصوصاً وأن للفقهاء عبر العصور تفسيرات واستدلالات خاصة وعامة، حول تقريرات الرسول وأفعاله، جاءت تفصيلاتها في علم الأصول والقواعد الخاصة في استنباط الحكم الشرعي من مضانه. الغزالي، المستصفى من علم الأصول، ج١، ص٧.

من الواضح أنه مبدأ يؤسّس لنظام " الأمر" ، وهيكل الأمر يمثل الجزء الأساس لنظام الأمر، إلا أن مفهوم " الشورى " يبدو مناقضاً لمفهوم " المُبايعة " القرآني، ذلك أنَّ المُبايعة مأخوذة من فعل « البيع » بمعنى نقل الملكيّة العينيّة بمقابل ثمن (١)، وليس في القرآن استعمال آخر (٢)، يشي بدلالة مغايرة (٣).

لذلك وجد المعارضون لابن الزبير، بأنَّه سار في طريق مغاير لِما جاء به النص القرآني، خاصة وأنهم كانوا على بيّنة من أمر المرامي العامة والخاصة التي حملها النص بين جنباته، وإن بينهم بقيّة من حملة علم الرسول (ﷺ) من أهل بيته وسلالته (عليهم السلام)، الذين كانوا مرجعاً للمسلمين في فهم النص ومقاصده، وتفسيره وتأويله، ومحكمه ومتشابهه، والأعرف بسنة الرسول وأهدافها.

فموقف هاشميِّ الحجاز وعلاقة ابن الزبير بقيادتهم، يتلخص بعدم التزامهم أمر الوقوف مع ابن الزبير ولجوئهم إلى الطائف (٤)، التي حافظت طيلت تلك المدة على ولائها التقليدي للأمويين (٥). فعلى الرغم مِنْ ضعف قوتهم عقب مأساة كربلاء، إلا أنهم شعروا بأنَّ ابن الزبير بإعلانه الخلافة لنفسه، قد تعدّى على حقهم فيها، مما حداهم لأن يُظهروا الرفض له، فحاول يزيد كسبهم إلى جانبه، وربمّا كان أكثر نجاحاً في سياسته من ابن الزبير حيالهم، ذلك بإظهار تودده لهم، وتجلى ذلك بإرساله خطاب شُكُر إلى عبد الله بن عباس، وفيه يشكره على موقفه حيال ابن الزبير، ورفضه البيعة له، وطلب منه حث الناس بالابتعاد عن ابن الزبير وتجنب بيعته. إلا أنَّه لم يُفلح في كسب ود الزعيم الهاشمي الذي أجاب خطابه برسالة مطوّلة، جُلُّها التقريع والتوبيخ والتذكير بما جرى للحسين وآل الحسين من ويلات ومصائب على أيدي قادته واتباعه، وإن دماء كربلاء لم تجف بعد، تلك الدماء التي يصعب إيقاف نزفها بالدموع والأموال أو الرسائل والمخاطبات (٦).

---

(١) الفراهيدي، كتاب العين، مادة : بيع، ج١، ص١٧٦؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة : بيع، مج١، ج٥، ص٤٠١؛ دوزي، تكملة المعاجم العربيّة، مادة : بيع، ج١، ص٥٠٤.

(٢) سورة التوبة : الآية ١١١.

(٣) الحاج، الخطاب السياسي في القرآن ـ السلطة والجماعة ومنظومة القيم، ص٢٣٧ ـ ٢٣٨.

(٤) مدينة زراعية صغيرة متحضّرة، على مسافة مرحلتين من مكة، سكنتها قبائل ثقيف وهذيل، عمل أهلها في الزراعة وانتاج الفواكه، فاشتهرت بتجارتها للمنتجات الزراعيّة، وقيل سميت بالطائف لإحاطة البساتين بها من كل جانب. الحميري، الرّوض المعطار في خبر الأقطار، ص٣٧٩.

(٥) بيضون، الحجاز والدولة الإسلاميّة، ص٢٩٦.

(٦) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج٢، ص١٦١ ـ ١٦٤.

ويبدو أن من جملة الأسباب الواقفة وراء أمتناع عبد الله بن عباس، ومحمد بن الحنفيّة، وغيرهما من الهاشميين، عن أمر مبايعة ابن الزبير؛ لاعتقادهم بأنه كان المُحرِّض الرئيس على خروج الحسين بن علي (عليه السلام) إلى العراق؛ ومن ثمَّ يرون بأنَّه كان سبباً غير مباشر في مقتله؛ كي يخلو له الفضاء السياسي في الحجاز مِنْ أي مُنافس [١]، ويبدو أن الحسين كان هو رافضاً للإقامة بمكة، ففي حوار جمعه مع ابن الزبير قُبيل خروجه صوب العراق، حدَّثه ابن الزبير قائلاً : أقمْ في هذا المسجد، أجمع لك الناس، فردَّ الحسين عليه بقوله : لأن أقتل خارجاً منها بشبرٍ، أحبّ إليّ من أن أقتل داخلاً منها بشبرْ، ... والله ليَعتدُن عليَّ، كما اعتدَت اليهود في السَّبت [٢]. وهي إشارة واضحة على تفهّم الحسين (عليه السلام) موقف الطرف المناصب له العداء، ومقصده وأهدافه. ومع ذلك ظلَّ الهاشميون يعتقدون بأحقيتهم بمنصب الخلافة من غيرهم، وأنَّه لو تم طرح أمر الخلافة، كما دعا إليها ابن الزبير، مِنْ شورى وحريَّة اختيار؛ لأختارهم الناس [٣].

ومما زاد الأمر تعقيداً، إقدام ابن الزبير على حبس محمد بن الحنفيّة مع خمسة عشر رجلاً من بني هاشم في سجن عارم [٤] ، وقال : لتبايعنَّ أو لأحرقنكم، فأبوا بيعته [٥]. فقد كان عبد الله بن الزبير يُظهر البغض لأبن الحنفيّة وأهله، وكان يحسده على يده، أثر حادثة قديمة، وكان المختار الثقفي قد وجَّه جماعة تسير الليل وتكمن النهار، حتى وصلوا مكّة، وكسروا سجن عارم، وأخرجوا منه ابن الحنفيّة ومَنْ كان معه مِنْ بني هاشم، ثم ساروا بهم إلى مأمنهم [٦].

يُشار إلى أن عبد الله بن الزبير كطرف في الحجاز والعراق وغيرهما، ومروان بن الحكم في الشام، المُتصارعان على سلطة الدولة، يرقبان ما يجري في العراق من تحركات للمختار وما يحقق من انتصارات، وكان كلاهما يظنّ أنَّ الهاشميين هُم

(١) الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٥، ص٣٨٣ ـ ٣٨٤؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مج٣، ص٦٢.
(٢) الطبري، المصدر نفسه، ج٥، ص٣٨٥.
(٣) ابن حثلين، الفقهاء والخلفاء، ص٣٨.
(٤) محبس يقع في مكة، وموضعه إلى الخلف من دار الندوة، وهو ما يؤكده أهل مكة. أتخذه ابن الزبير سجناً فترة حكمه. وقيل في تسميته أنها تعود لعارم مولى لبني زُهرة، مات في هذا الموضع، بعد أن بُني عليه البناء. وأغلق هذا السجن بعد مقتل ابن الزبير. الفاكهي، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، ج٣، ص٣٤١ ـ ٣٤٢؛ أبو الرب، السجون في الحجاز في صدر الإسلام، ص٣٠٥.
(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، مج٥، ص٧٥؛ المُبَرِّد، الكامل في اللغة والأدب، مج٣، ص٨٩؛ المسعودي، المصدر نفسه، مج٣، ص٨٠؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٥٤، ص٣٣٩.
(٦) المُبَرِّد، المصدر نفسه، مج٣، ص٩٠؛ ابن عساكر، المصدر نفسه، ج٥٤، ص٣٣٧ ـ ٣٣٨.

مَنْ يقف وراء المُختار، لا سيما محمد بن الحنفيّة؛ لذلك نرى عبد الله بن الزبير شدد الخِناق على ابن الحنفيّة أكثر فأكثر لمنعه من السفر والتحرّك [١]؛ لذلك قام بعض الهاشميين بمراسلة المختار مِنْ محبسهم بِمَكّة، كي ينقذهم من ابن الزبير، وأوضحوا في رسائلهم بأنه يُريد الكيد بهم، عن طريق قتلهم وحرقهم [٢].

إنَّ النفوس التي أرهقتها العداوات يتمخضَّ عنها فعلٌ أثيم، فهذا اليعقوبي [٣]، يُبيّن بروايته ما كان عليه ابن الزبير من بغض لعلي وآل علي (عليه السلام)، فبعدما خرج محمد بن الحنفيّة من سجنه، قام ابن الزبير في الكعبة، وخطب بها وشتم علي ابن أبي طالب (عليه السلام)، فردَّ عليه محمد بن علي قائلاً : شاهت الوجوه، يا معشر قريش، أيقال هذا بين أظهركم وأنتم تسمعون، ويُذكر عليّ فلا تغضبون، ألا إنَّ علياً كان سهماً صائباً من مرامي الله أعداءه، يضرب وجههم، ويأخذ بحناجرهم. ألا وإنّا على سُنن ونهج من حاله، وليس علينا في مقادير الأمور حيلة، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون. ومن ثمَّ من المتعسّر أن نجد تأييداً وموقفاً مسانداً من قِبَل الهاشميين لأبن الزبير وحركته، خاصة وهو يجهر بالعداوة لرمزهم، وبكل هذه الوقاحة.

ومن مواقف التأييد التي حظي بها ابن الزبير وحركته، بعد نجاح الزبيريين في السيطرة على الحجاز والعراق، وادخالهما في طاعة ابن الزبير، نجد إبراهيم بن الأشتر وعدد من بطون بني نخع يُقاتلون إلى جانب مصعب بن الزبير، جيش الشام بقيادة عبد الملك بن مروان، في لقاء فاصل بالقرب من دير الجاثليق بمدينة تكريت وسط العراق سنة ٧١هـ / ٦٩٠م، وتنتهي المعركة لصالح عبد الملك، الذي تمكن بعد ذلك من تجيير خدمات الأشرس بن جبير النخعي لصالحه، حينما جعله عيناً على العراق مقابل ألفين درهم، بعد أبيه جبير، وهكذا تحوّلت نخع صوب التأييد للقوى المروانيّة الصاعدة بقيادة عبد الملك، وتخلّت عن ابن الزبير وحركته، التي لم تدوم طويلاً، حيث قُتِلَ عبد الله بن الزبير بعد سنة واحدة من تلك الواقعة [٤].

وبالرغم من وقوف قبائل مذحج القاطنة في الكوفة ونواحيها إلى جانب المختار، فترة صراعه مع مصعب بن الزبير، إلا أنَّه بعد انقضاء المختار وحركته، اتجهت مذحج ناحية موالاة الزبيريين ضد الدولة الأموية، نظراً للاعتبارات الإقليمية

---

(١) الصرايرة، محمد بن الحنفية ومواقفه في تاريخ الدولة العربية الإسلامية ١٦هـ / ٦٧٣م ـ ٨١هـ / ٧٠٠م، ص١٧٩.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٩، ص٢٧ ـ ٢٨.

(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج٢، ص١٧٩.

(٤) مريكب، قبيلة بني النخع اليمنية ودورها السياسي والحضاري منذ ظهور الإسلام وحتى نهاية العصر الأموي، ص٦٧.

والقبليّة التي تداخلت ضمن الصراع القائم ما بين الكوفة والشام، مما حدا بإبراهيم بن مالك وقبائل مذحج للوقوف إلى جانب الحركة الحجازيّة بزعامة ابن الزبير، وهذا ما أفصح عنه، قول ابن الأشتر : ما كنت بالذي أختار على مصري مصراً، ولا عشيرتي عشيرة، واللحاق بالعراق أحب أليّ وأعود عليّ [١].

وأمّا موقف قبيلة تميم من حركة عبد الله بن الزبير، فقد تباين بين أخذٍ وجذب، فبعد مصرع يزيد بن معاوية سنة ٦٤هـ / ٦٨٣م، علم عبيد الله بن زياد بالأمر وهو بالبصرة، فجمع الناس في مسجدها ونعى يزيد، وقام الأحنف بن قيس يُذَكِرَهم ببيعتهم ليزيد، فنهض عبيد الله ودعاهم لاختيار أميراً عليهم، فبايعوا ابن زياد، بعد أن تمنّع قليلاً، غير أنهم نكثوا تلك البيعة بعد بُرهة من الزمن [٢].

وفي هذا الوقت، خرج إلى سوق البصرة سلمة بن ذؤيب الحنظلي التميمي داعياً إلى العائذ بالحرم [٣]، فأجتمع بعض الناس إليه، يبايعون مَنْ بايع. في تلك الأثناء أخذ ابن زياد يُحرّض الناس على ابن ذؤيب، فما كان من الأحنف، إلا أن تعهّد بأن يأتي بسلمة [٤].

وعن طريق تلك الحوادث، نجد أن تميماً وقفت بالضد من تحركات سلمة بن ذؤيب الرياحي، الذي كان يدعو لأبن الزبير، وكان حاديهم في هذا الأمر الأحنف، غير أنهم تراجعوا عنه، بعد أن زاد جمع ابن ذؤيب، واتخذوا موقفاً مُحايداً إزاءه، وعلى الأرجح أن العصبيّة كانت أبرز الأسباب وراء موقفهم هذا [٥].

كخلاصة لموقف قبائل تميم، يمكن أن نفهم بأنها كانت تميل حيث تكون الغلبة، وحيث ما تكون مصالحها أنجع؛ لذا نراها وقفت جنب مصعب بن الزبير في تصديه لعبد الملك، حينما كان عباد بن الحصين زعيمها، ومعه جماعة من تميم يقاتلون دعاة عبد الملك قرب البصرة، وبعد أن طال الاقتتال بين الطرفين جنحوا للصلح، وفي الوقت نفسه رجع مصعب صوب البصرة [٦]. ورغم ذلك نرى أفراداً مِنْ تميم، تخلع بيعتها لابن الزبير، ليلحقوا بركب عبد الملك مع أطرافاً من الأزد وربيعة [٧].

---

(١) الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٦، ص١١١؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٦، ص٣٣٣؛ سمار، قبائل مذحج ـ مواقفهم وإسهاماتهم في أحداث العصر الأموي، ص٦.
(٢) الطبري، المصدر نفسه، ج٥، ص٥٠٧؛ ابن الأثير، الكامل، مج٣، ص٤٦٨ ـ ٤٦٩.
(٣) الطبري، المصدر نفسه، ج٥، ص٥٠٧، ٥٠٨؛ ابن الأثير، المصدر نفسه، مج٣، ص٤٦٩.
(٤) الطبري، المصدر نفسه، ج٥، ص٥٠٨.
(٥) الجبوري، قبيلة تميم ودورها خلال العصر الأموي، ص٩٢ ـ ٩٣.
(٦) البلاذري، أنساب الأشراف، مج٤، ص٦٠.
(٧) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مج٣، ص١٠٤.

وعن طريق ما تقدّم، نلحظ حالة التقلب في الولاء لقبائل تميم، إذ نجدها متذبذبة بين هذا الطرف أو ذاك، حتى أنَّها تكون إلى جانب فريق، ثم تعدلُ عنه، لتكون مع الطرف الآخر، ذلك عندما تُدرك أن الغلبة ستكون له.

من المهم توضيح موقف عبد الله بن عمر بن الخطاب مِنْ عبد الله بن الزبير وحركته، مع شيء من التفصيل، حيث بدأ ذلك الموقف مِنْ أيام خروج ابن الزبير قاصدا مكّة، وطلب منه الرجوع إلى المدينة، والدخول فيما يدخل فيه الناس، إن اجتمعوا عليه، وإن تفرقوا عليه، فمضي إلى ما تُريد [١].

ولَمَّا وجد ابن عمر إصرار عبد الله بن الزبير في خروجه على بني أميّة، واعتصامه بالبيت الحرام، أتاه وحدَّثه : يا ابن الزبير، إياك والإلحاد في حرم الله، فذلك ذنبٌ عظيم [٢].

وحينما أخذ ابن الزبير البيعة لنفسه، لم يبايع ابن عمر، وسمّى قتال ابن الزبير لأهل الشام " فتنة "، وعدّه قتال من أجل المُلك، وقال لرجلان من أهل مكّة، في فتنة ابن الزبير : قاتلنا حتى لم تكن فتنة، وكان الدين لله، وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكن فتنة، ويكون الدين لغير الله [٣]. ويسأله رجلٌ آخر عن القتال في الفتنة، أيَّام ابن الزبير، فَيُخبره : كان الرسول " عليه الصلاة والسلام " يُقاتل المُشركين، وكان الدخول في دينهم فتنة، وليس كقتالكم على المُلك [٤]. لهذا رفض عبد الله بن عمر بيعة ابن الزبير، كون الصراع برمته كان بتقديره على أمر الحُكم.

ويبدو أن عبد الله بن عمر قد رأى مخالفة عبد الله بن الزبير ما كان يدعو إليه، إذ اعترض ابن الزبير على " خلافة " يزيد بن معاوية، في وجود مَنْ هو أفضل منه، كذلك ابن الزبير، وجد مَنْ هو أفضل منه، لكنه حصر البيعة لنفسه، مع العلم أن عبد الله بن عمر لمَّا عرض عليه الحصين بن نمير ـ قائد جيش الشام ـ أمر الخلافة، أجابه : لست من هذا الأمر في شيء [٥]، فعلى ما يبدو أن ابن عمر لم يرتضِ لنفسه أمر البيعة دون الشورى، كون العرض جاء وقت اقتتال، فصنّفَ المرحلة بزمن فتنة [٦].

(١) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج٧، ص١٣٩.
(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٣٧٥ ـ ٣٧٦.
(٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣١، ص١٨٨.
(٤) ابن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ج٩، ص٢٧٨.
(٥) البلاذري، أنساب الأشراف، مج٤، ص٢١.
(٦) ابن سعد، الطبقات الكبرى، مج٤، ص١١١؛ عبد الهادي، الأمويون والفقهاء، ص١١٩.

ولم يكن ابن عمر راضياً عن " خلافة " ابن الزبير وأصحابه، فأطلق عليهم عبارة " الفئة الباغية "، وتمنى أن يحارب ابن الزبير؛ كونه أخرج بني أميّة من ديارهم، ونكث عهده لهم [١]، وبايع ابن عمر عبد الملك بن مروان بعد اجتماع الناس عليه [٢].

وكان سعيد بن المسيِّب [٣] ممن رفض تقديم البيعة لابن الزبير، لعدم اجتماع الناس عليه، وضُرِبَ نتيجة لذلك ستين سوطاً من قِبَل والي المدينة الزبيري [٤]. وممن رفض الوضع برمته أبو برزة الأسلمي [٥]، الذي كان لا يرى قتال المسلمين أصلاً، وأنَّ الكل يقاتل على الدنيا، ويؤثر عنه القول : أصبحت ساخطاً على أحياء قريش [٦].

مما سبق يتبيّن أن المعارضة لبيعة عبد الله بن الزبير وتأييد حركته، صنّفها بعضهم على أنها خروج عَنْ طاعة " ولي الأمر "، كما هو الحال مع عبد الله بن عمر، أمّا بعد رحيل يزيد، فعدّه الفقهاء من الصحابة وغيرهم، أن ما يجري فتنة، واقتتال من أجل المُلك، فرفضوا البيعة لابن الزبير، حتى يجتمع الناس على شخص يبايعون له، أمثال : عبد الله بن عباس، ومحمد بن علي بن أبي طالب، وسعيد بن المسيّب، وغيرهم [٧].

ففي تتبع للدالة التاريخية بخصوص توقيت البيعة [٨] التي أعلنها ابن الزبير لنفسه بمكة، تشي بأنه لم يُبايع لنفسه بأمر الخلافة، إلا بعد أن مات معاوية ابن يزيد، إذ أقام

---

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣١، ص١٩٣.
(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، مج٤، ص١١٤.
(٣) ابن حزن بن أبي وهب القرشي المخزومي المدني، تابعي، وعالم أهل المدينة، وأحد الفقهاء السبعة، ولد في خلافة عمر لأربع مضين منها، وقيل لسنتين من خلافته، سمع الحديث عن جملة من الصحابة، توفي سنة ٩٤هـ / ٧١٢م. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٥، ص١٦٣.
(٤) ابن سعد، المصدر نفسه، مج٥، ص١٠٣؛ ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص٢٦٥؛ الزحيلي، سعيد بن المسيِّب ـ سيد التابعين (١٥ ــ ٩٤هـ)، ص١٥٠.
(٥) نضلة بن عبيد الأسلمي، صحابي، غلبت عليه كنيته، واختلف في أسمه ووفاته، سكن المدينة، ثم البصرة، شهد فتح مكّة، وقَتَلَ عبد العزى بن حنظل وهو مُتعلّق بأستار الكعبة يوم الفتح، شهد مع علي (عليه السلام) النهروان وورد المدائن في صحبته، وقاتل الأزارقة مع المهلب بن أبي صفرة، توفي في خراسان سنة ٦٥هـ / ٦٨٤م. ابن سعد، المصدر نفسه، مج٤، ص٢٢٣ ــ ٢٢٤؛ ابن منظور مختصر تاريخ دمشق، ج٢٦، ص١٥٠، ١٥٢.
(٦) ابن منظور، المصدر نفسه، ج٢٦، ص١٥٤.
(٧) عبد الهادي، الأمويون والفقهاء ـ دراسة سياسية، ص١٢١.
(٨) ما بين ٧ أو ٩ رجب عام ٦٤هـ. ابن خياط، المصدر نفسه، ص٢٥٧، ٢٥٨.

الناس جمادين بلا خليفة وأياماً من رجب [١]. وعامل الزمن في الفترة هذه بالذات، كان مهماً، ولعلَّ تأخر ابن الزبير في اعلان نفسه كخليفة، يعود إلى كونه قد دعا سلفاً لأمر الشورى، وبعد أن هلك يزيد، نظر في أمر الدعوة لنفسه بشكلٍ صريح [٢]، ولتواجد المسور بن مخرمة [٣] ومصعب بن عبد الرحمن [٤]، كشخصيتين محببتين لأهل الحجاز، وكمنافسين لابن الزبير على أمر السلطة، مع دفاعهما عنه، يمكن القول بأنَّ عبد الله بن الزبير لم يدعو صراحة لأمر البيعة لنفسه، إلا بعد رحيلهما أيضا، حيث كان شعاره قبل هذا الإعلان : لا حُكم إلّا لله [٥].

ويبدو أن الشعار هذا، كان يلف الكثير من الناس حول ابن الزبير، ومن المؤكد بأنَّ ابن الزبير لم يكن على استعداد لأن يخسر هذه القاعدة الجماهيريّة المؤيدة لمشروعه السياسي، خصوصاً وأنها ترى في التيار التقليدي منهجاً موافقاً لطموحها وأهدافها، لكن الأمور جرت على غير العادة في الحركات الناشئة زمن الإسلام المُبكّر، حيث خسر بالفعل ابن الزبير عون الكثيرين من الموالي والخوارج، خاصة بعد تخليه عن شعاره هذا، إذ عبّر الموالي عن سخطهم على لسان شاعرهم أبو حُرّة مولى خزاعة، إذ يقول :

---

(١) الروحي، بلغة الظرفاء في تاريخ الخلفاء، ص١٤٤.

(٢) القبلان، عبد الله بن الزبير ـ حركته وخلافته، ص١٤٦.

(٣) ابن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة القرشي الزهري، فقيهاً من أهل العلم، ولد بمكة بعد الهجرة بسنتين، لازم خالهُ عبد الرحمن بن عوف في أمر الشورى، وكان هواه مع علي " عليه السلام "، أقام بالمدينة حتى قتل عثمان، سار بعد ذلك قاصداً مكّة وأقام بها حتى رحيل معاويّة، وأنكر بيعة يزيد، ولازم مكّة فترة، وابن الزبير يشاوره في أموره، حتى قدم الحصين بن نمير إليها في جيش من أهل الشام لقتال ابن الزبير بعد وقعة الحرّة، فقُتل المسور، حيث أصابه حَجَر منجنيق وهو يُصلي قُرب الكعبة، فقتله، ذلك مُستهل ربيع الأول من سنة ٦٤هـ / ٦٨٣م، وكان عمره حينها ٦٢ سنة. ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٥، ص١٧٠؛ الحضرمي، قلادة النحر في وفيات أعيان الدَّهر، مج١، ص٤٠٤.

(٤) ابن عوف بن عبد عوف القرشي، من بني زهرة بن كلاب، وكنيته أبا زُرارة، من عُباد قريش، ولّي القضاء مدة من الزمن بالمدينة خلال ولاية مروان بن الحكم عليها من قبل معاوية بن أبي سفيان، ووصف بأنه كان شديداً على المُريب، وولّي القضاء بمكّة يوم كانت الدولة لأبن الزبير، بعد أن قدم عليه مع جماعة منهم المسور بن مخرمة، وأختلف في تأريخ وفاته، فقيل بأنَّه قتل بالمدينة يوم الحرّة سنة ٦٣هـ / ٦٨٢م، وهناك مَنْ ذكر بأنَّه توفي سنة ٦٤هـ / ٦٨٣م. ابن سعد، الطبقات الكبرى، مج٥، ص١٢٠ ـ ١٢٢؛ ابن خياط، كتاب الطبقات، ص٢٣٢ ـ ٢٣٣؛ البلاذري، أنساب الأشراف، مج٣، ص٤٧٣؛ ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ص٩٠.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، مج٥، ص١٢٢.

أبلغ أمية عني إن عرضت لـها وابن الزبير وأبلـغ ذلـك الـعربـا
أن الموالي أمسـت وهـي عاتبة على الخليفة تشكـو الجوع والحربا
إخـوانكم إن بـلاء حـل سـاحتكم ولا تـرون لـنا فـي غيـره سـببـا
مـاذا عـلـيـنا وماذا كـان يـرزؤنـا أيّ الملـوك علـى مـن حولنا غلبا
نعـاهد الله عـهـدا لا نـخـيـس به لا نسأل الدهر شورى بعدما ذهبـا [١]

لقد تحدَّث أبو حُرّة بشعره هذا، كنهاية لجدله مع ابن الزبير في أمر البيعة والخلافة، ويبدو أن الموالي كانت ترغب بأن يكون لها نصيب في مسألة ترشيح الخليفة الجديد، وعندما جرى الذي جرى، شعرت بأنها قد أفلست من أن يكون لها موقع أو تأثير يُذكَر، خصوصاً بعدما ترك ابن الزبير شعاره القديم، وطلب البيعة لنفسه، إذ قال أبو حُرّة لابن الزبير : ما سفكنا الدماء، ولا قتلنا الناس، إلا في ملكك، فردَّ ابن الزبير عليه قائلاً : فَمَنْ تبايعون سواي، قال : فهلا صبرت حتى نختارك ونبايعك[٢].

غير أن ابن الزبير لم يكن بوسعه الانتظار أكثر مِنْ ذلك، مع شعوره بأنَّ هذه هي فرصته للوثوب نحو سدة الحُكُم، بعد انتظارٍ طويل، حسبما يرى. هذا وإنَّ الموالي لم يكونوا وحدهم الذين فارقوه حينما بايع نفسه، وتركه لشعاره القديم، إذ نقم عليه الأزارقة [٣] وهم فرع من فروع الخوارج، فدخلوا عليه وقالوا له : إنّا جئناك لتحدّثنا عن رأيك، فإن كنت على صواب بايعناك، وإن كنت على خلافه، دعوناك إلى الحق [٤]، وجرت بينهما محاورة تفصيليّة، قد يكون هدفها سحب البساط من تحت أقدام ابن الزبير والتضييق عليه، كذلك الطعن بتوجهاته الراميّة إلى تزعّم المشهد السياسي، أو أقصاء حركة الخوارج ـ المنافس الطائش ـ عن مجالها الحيوي المُتَمَثّل بالمنطقة الشرقيّة للجزيرة العربية وجنوب العراق [٥].

(١) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص٢٥٧؛ البلاذري، أنساب الأشراف، مج٤، ص٢٧؛
(٢) البلاذري، المصدر نفسه، مج٤، ص٢٦.
(٣) أصحاب أبي راشد نافع بن الأزرق الحنظلي، الذين خرجوا مع نافع من البصرة إلى الأحواز، فغلبوا عليها وعلى كورها، وما وراءها من بلدان فارس وكرمان، في أيام عبد الله بن الزبير، وقتلوا عماله بهذه النواحي. وكان مع نافع من أمراء الخوارج : عطية بن الأسود الحنفي، وعبد الله بن الماحوز، وعمرو بن عمير العنبري، وقطَري بن الفجاءة المازني، وعبيدة بن هلال اليشكري، وصخر بن حبيب التميمي، وصالح بن مخراق العبدي، وغيرهم، ممن يرى رأيهم، وينخرط في مسلكهم. الشهرستاني، الملل والنحل، مج١، ص١١٨ ـ ١٢٠.
(٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٢، ص٢٣٥.
(٥) عبد المجيد، الخطاب السياسي عند الخوارج خلال القرن الأول الهجري، ص٨٥.

وهذه المناقشة [١] تصلح للتدليل على موقف كل فريق مِن الفريق الآخر، وإنَّ ابن الزبير ما كان في وسعه إلّا أن يتخذ موقف الحذر من هذه الجماعة العنيفة في حركتها، التي تشظت إلى زعامات أكثر تطرفاً وقسوة، بوقت قياسي، وبشكل ملفت للنظر [٢].

فربما أراد الخوارج أن يغطوا على هدفهم السياسي في مشاركتهم لأبن الزبير في حركته ضد الحُكُم الأموي، ثم مُفارقتهم له دونما سبب واضح؛ لذلك حينما بايع لنفسه ابن الزبير، استثمروا هذا الأمر، وجاءوه بهذا الحوار والمدخل الذي يُستشف منه، أنَّ فراقهم له كان يستند إلى خلاف مذهبي / أيديولوجي، نظراً لطبيعة الحجج التي ساقوها خلال حوارهم ذاك، وبعد أن وقع الافتراق بينهم وبين ابن الزبير، أخذوا يعترضون طرق أموال الصدقة والجباية المُرسلة من البحرين والبصرة له، كما في الحادثة التي وقعت سنة ٦٥هـ [٣].

وعلى ما يبدو أن الاهتمام والجهد الذي بذله ابن الزبير في استحصال البيعة من بعضهم، كان عليه أن يصرفه في تأمين البيعة من باقي الأمصار، حيث أكتفى بأخذ بيعة أهل مكّة، وبيعة أهل المدينة عن طريق عبد الله بن مطيع العدوي، وأرسل والياً على مصر من قبله، بصحبة جماعة من الخوارج، فأظهروا دعوته بها، ودعوا الناس لبيعته فتابعهم الناس [٤]، وهي دلالة على إن الخوارج لم ينابذوا جميعاً عبد الله بن الزبير، وان بعضهم استمرَّ موالياً له، وهذا يُدلل على إمكانية الحصول على تأييد بقية الأقطار، لكن الفوضى التي عمَّت بها والانقسامات الداخلية التي شملتها، ربمّا حدَّت كثيراً من تحركاته بهذا الاتجاه، أضف إلى ذلك أنَّ تلك الولاءات المرفوعة له، ربمّا كانت لحظية أو مرحليّة وقد تكون ارتجاليّة، كونها سرعان ما تهاوت أمام تحركات مروان بن الحكم وولي عهده عبد الملك بن مروان، حيث تم تجريد الجيوش الشاميّة، في عمليات أعادة السيطرة على غالبية تلك الأمصار، خصوصاً ما كان مِنها قريباً من الناحيّة الجغرافية إلى الشام كمصر والعراق [٥].

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٣، ص٤٩٠ ـ ٤٩١.
(٢) أحمد، الخلافة والدولة في العصر الأموي، ص١٦٠.
(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، مج٤، ص٤٦٥؛ الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٥، ص٦١٩؛ ابن الأثير، المصدر نفسه، مج٤، ص٢٠؛ القبلان، عبد الله بن الزبير ـ حركته وخلافته، ص١٤٧ ـ ١٤٨.
(٤) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص٢٠.
(٥) القبلان، المرجع نفسه، ص١٥٩، ١٦١، ١٦٣، ١٩٢.

وأمَّا عن موقف النساء من حركة ابن الزبير ومشاركتهن في تأييدها أو رفضها، فيمكن عَدْ أسماء بنت أبي بكر، والدة عبد الله بن الزبير، كأحد الداعمين والمؤيدين لهذه الحركة المناوئة لبني أميّة [١].

وبخصوص المعارضة ذُكِرَ بأنَّ جمانة بنت المهاجر بن خالد بن الوليد، حينما رأت ابن الزبير يرتقي المنبر ليخطب الناس يوم الجمعة، قالت : أيا نقار أنقر يا نقار، أما والله لو كان فوقه نجيب من بني أميّة أو صقر من بني مخزوم ..، فلمّا بلغ كلامها القاسي ابن الزبير، سألها عن ذلك، فأجابت بما دعاه للصفح عمّا قالته [٢].

كذلك أيضاً جاءت امرأة لبعد الله بن الزبير معلنة رفضها له، حيث قالت : غررت سفهاءنا، وأخذت رباعنا، فأقل سفهاءنا وأردد رباعنا [٣]، وأمام هذا الرفض الذي لقيته الحركة الزبيريّة، قام بنفي امرأة من بني مخزوم إلى الشام، كانت مُتَزوجة أحد الأمويين؛ ذلك لعدم بيعتها له، ولمؤازرتها عبد الملك بن مروان [٤].

وأمام هذا التباين في الرفض والقبول لشخص ابن الزبير في أمر القيادة والزعامة، التي سعى لأن يُمَثلها على وفق إطارها التقليدي القبلي، نجد أن مطلب الخوارج وهم يمثلون النزعة البدويّة بجرأتها وصراحتها، فغالبيتهم لا يعترفون بحق قريش الحصري في أمر الزعامة والحكم، ولا يتقبّلون مبدأ الوراثة الذي تمسك به بنو أميّة، نظراً للتهميش الذي كان سيطال فكرة الانتخاب العام الشامل للجميع، الذي وقع في فخّه ابن الزبير كذلك، حيث نجد أن السخط الذي عبّر عنه الخوارج، شمل كذلك الكثير من قبائل العرب التي رأت أي انتصار للأمويين يمكن أن يتحقق، سيكون انتصاراً جديداً لقريش على سائر العرب [٥].

وخسر ابن الزبير وحركته الكثير من الزخم والتأييد الذي كان لو تحقق له البقاء، لأصبح له شأن آخر، في خضم تلك الأحداث التي كان يموج بها عصره، مِنْ صراعات وتنافس على مركز الحكم، وشخصيّة الحاكم، نتيجة المطالب والمواقف التي تبناها كل طرف؛ ذلك حسب الأهداف والتوقعات التي يحلم بها كل منهم، فكانت النتيجة أن خسر ابن الزبير مشروعه السياسي الطموح مع التفكك الذي أحاط به ولأسباب مختلفة، خصوصاً النزعة القبليّة، والتخبطات السياسيّة.

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٢٩٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٩، ص١٢٠، ١٢٨

(٢) طيفور، بلاغات النساء، ص٤٥ ـ ٤٦.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، مج٤، ص٢٨٧ ـ ٢٨٨.

(٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٧٠، ص٢٨٤؛ العاني، دور المرأة السياسي حتى نهاية العصر الأموي، ص٢٤٣.

(٥) الخربوطلي، عبد الله بن الزبير، ص١٧٣.

رابعاً : وسائل التأثير المُتبادل بين القيادة والقاعدة :

كان عبد الله بن عمر بن الخطاب يرى أنَّ حُكم ابن الزبير، وطريقة وصوله له، لا تختلف عن بني أميّة ووسائلهم، وأنه كان يُخطط لهذا الأمر منذ أمد طويل، إذ يرى ابن عمر أن مسألة الغاية تُبرر الوسيلة، قاعدة غير سليمة، حيث لا بد أن تكون الوسيلة شرعيّة في أمر الوصول للحكم، ولا يمكن اعتبار الاقتتال على السلطة، وسفك دماء الناس، للحصول عليها وسيلة شرعيّة، وكان يقول : إنمَّا هؤلاء فتيان قُريش، يتقاتلون على هذا السلطان، وعلى هذه الدُنيا [١]. وهذا الموقف له دلالاته الواضحة في التأثير على مشروعية ابن الزبير وحركته، خاصة وان موقف ابن عمر كان مُعلناً وليس بالأمر الخفي عن الناس.

ولربَّما كان موقف ابن عمر وغيره، ينطلق من تلك المُقارنة بين سلوك الحسين بن علي (عليه السلام) وسلوك ابن الزبير، فوجدوا فيهما اختلافاً ملحوظاً، وإن كان في ظاهرهما الاتفاق، فالحسين (عليه السلام) كان في نظر الجميع أحق الناس بأمر الخلافة، ومع ذلك لم يُبادر إلى إعلان نفسه كخليفة للناس، كما إنَّه رفض البقاء في الحرم، خشية من استباحة حُرْمَته، ذلك بخلاف ابن الزبير، الذي لم يكن حسب تقديرهم أحق منهم بهذا المنصب، فكان يؤثر عن عبد الله بن عمر قوله : اللهمّ إنّك تعلم، لولا مخافتك لزاحمنا قومَنا قُريشاً في أمر هذه الدنيا [٢]، إلّا أن ابن الزبير قام بفرض نفسه على هذا الأمر مُستغلاً الوقائع السياسيّة ومُجيّرها لصالحه، وإنَّه عرّض البيت الحرام للحصار والحرب مرَّتين [٣]؛ ومن ثمَّ يمكن عَدْ هذه المواقف وغيرها، إحدى وسائل الضغط والتأثير التي مورست بالضد منه.

ومن وسائل التأثير التي أحبطت من قدرة ابن الزبير، غياب أمكانية ايجاد صيغة سياسية مقبولة مع الهاشميين عموماً والعلويين منهم بشكلٍ خاص، بل ذهابه إلى اضطهاد البعض منهم [٤]، مما دعا لوقوف شيعة أهل البيت إلى الضد منه، وكان بإمكانه ضمِّهم إليه في أمر الصراع مع الأمويين، خاصة وأن بني أميّة كانوا يُمثلون النقيض الأول للتحرك الشيعي [٥].

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، مج٤، ص١٢٩؛ ابن حثلين، الفقهاء والخلفاء، ص٣٧ ـ ٣٨.
(٢) ابن سعد، المصدر نفسه، مج٤، ص١٢٦.
(٣) الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٥، ٤٩٨؛ ج٦، ص١٨٧.
(٤) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص٢٦٢؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج٢، ص١٧٨؛ دلّو، مساهمة في إعادة كتابة التاريخ العربي ـ الإسلامي، ص١٩٢.
(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص٣٤٩؛ ابن حثلين، المرجع نفسه، ص٤٠.

تجاذب شخصيّة ابن الزبير عاملان مهمان وفي الوقت نفسه متناقضان، هما حب الحكم والرياسة من جهة، وحب المال واكتنازه من جهة أخرى، وكما هو معلوم، يصعب الاحتفاظ بأمر السلطة، دون البذل والعطاء؛ مما أدى إلى تفرق الناس من حوله مع مرور الزمن، بخلاف عبد الملك بن مروان، الذي عرف كيف يجتذب الناس إليه، ذلك عَن طريق بذل العطايا والأموال، بالشكل الذي يضمن له النجاح، وأدى ذلك إلى تفوق المروانيين على ابن الزبير من الناحيّة الدعائية، وكسب الناس إليهم كالشعراء وأمراء القبائل (١).

يبدو أن الجو النفسي الذي دفع لتشكله ابن الزبير قد أسهم في التأثير سلباً على وضعه ووضع حركته، فكان مع حبه للرئاسة والإمارة، بخيلاً جداً، يجمع المال جمعاً جماً. وكان يُحب التزيّن، ويضع على رأسه من العطور ما تبلغ أثمانه ثروة. كان يقتني العبيد، حتى قيل : بأنَّ لديه مئة غلام، يتكلَّم كل منهم بلغة (٢). وهذا لعمري أمرٌ يُنَّفر الناس ولا يجمعهم.

كان لبقاء ابن الزبير في مكّة واتخاذها مقراً لحكومته تأثيراً سلبياً على تحركاته المُقيّدة، وقراراته اللاحقة، إذ كانت مراكز القوى السياسيّة والنفوذ قد انتقلت منذ عهد معاويّة، إلى الشام والعراق، مما أضعف كثيراً من سلطة التأثير على ابناء تلك الأمصار التي تسيَّدت المشهد، إضافة إلى اعتماده على أتباعه وأنصاره في بث الدعوة لحركته وأمر خلافته، فألتزم ابن الزبير الحجاز، وترك لأخيه مصعباً أمر العراق، وللضحاك بن قيس الفهري والنعمان بن بشير الأنصاري أمر الشام، وهو ما قلل من شأن وضعه السياسي، الذي كان يتطلب، تواجده بنفسه بالقرب من هذه الولايات، على أقل تقدير، ليكتسب تأثيراً أفضل، خاصة في العمليات العسكرية وساعات الصِدام الحربي مع بني أميّة أو غيرهم (٣).

ويجيء هنا التساؤل حول دور القيسيّة وتأثيرها في نجاح الحركة الزبيريّة، وهل كان بإمكان الزبيريين أن يحققوا ذلك النجاح بتلك السرعة في احتواء غالبية أقاليم البلاد المسلمة، لو لم يوجد أشخاص مؤثرون، تم الاعتماد على نفوذهم ضمن قبائلهم للدعاية والدعوة. إذ هناك عدة عوامل خدمت تلك الحركة التي كادت أن

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ـ حوادث ووفيات ٦١ ـ ٨٠، ص٤٣٨، ٤٤٤؛ ابن حثلين، الفقهاء والخلفاء، ص٤٠؛ العش، الدولة الأمويّة والأحداث التي سبقتها ومهّدت لها ابتداءً من فتنة عُثمان، ص٢٠٤.

(٢) الذهبي، المصدر نفسه، ص٤٤٦.

(٣) حسن، تاريخ الإسلام السّياسي والدّيني والثقافي والاجتماعي، ج١، ص٣٣٨؛ دلّو، مساهمة في إعادة كتابة التاريخ العربي ـ الإسلامي، ص١٩١.

تنتهي تماماً، على أثر حصار مكّة الأول، قُبيل وفاة يزيد بن معاويّة، وهي بالأساس أخطاء هذا الأخير، حين لجأ إلى تفعيل الحلول العسكريّة، كطريق لقمع المناوئين له؛ كونها أخطاء لم تُثر اشمئزاز أهل الحجاز وحدهم، بل سكان الأقاليم الأخرى، إضافة إلى أن حركة ابن الزبير قامت لإبراز أحقيّة الحُجاز في الحُكُم؛ لِما له من مَخزون وتراث روحي أخذ بالتلاشي لصالح دور إقليمي الشام والعراق، حيث تمركز القوى العسكريّة والموارد الاقتصاديّة، في الوقت الذي أصبح القيسيين، خصوصاً مَنْ كان منهم يقطن الشام والجزيرة، غير راضين عن السياسات الأمويّة التي تتجه صوب دعم مصالح القبائل الكلبيّة. ويمكن إضافة عامل البيئة، لِما له مِنْ دور في تدعيم قبائل قضاعة عموماً؛ كونها تُعد في الأصل من أهل الشام، وإن استقرار القيسيّة في الربوع الشاميّة كان يتطلّب وقتاً أطول بكثير، حتى يقع الاندماج الكلّي بينها وبين اليمانيّة [١].

لقد نظر القيسيون، وهم في الأصل حجازيون، في صعود ابن الزبير، ارجاعاً لنفوذ موطنهم الأصلي، وهذا ما فسَّر ـ مثلاً ـ مبايعة النعمان بن بشير الأنصاري لابن الزبير، وهو الذي عاصر ما وقع للمدينة من أضرار، بفعل حملة مسلم بن عقبة المرّي، وهي ذات الحملة التي قادها الحصين بن نمير السكوني فيما بعد [٢]، والتي تميزت بكونها تحمل الصبغة اليمانيّة بالأساس، لوجود ثلاثة قواد يمانيين يتزعمونها من أهل الشام [٣]، في قبال قائدين قيسيين [٤].

فطاعة خليفة الشام، والتطلع نحو المكاسب والامتيازات، على ما يبدو هي التي دفعت بالقيسيين ـ رغم قلتهم ـ للحضور في هذه الحملة، لكن الطاعة هذه كانت هشّة، وقد بيَّن زفر بن الحارث الكلابي فيما بعد ذلك، حين أصبح من أوائل المُبايعين لابن الزبير [٥]، ويمكن القول بأن المصالح بين القيسيين والزبيريين لم تتبلور في ظل اتفاق مُسبق، بقدر ما كان القيسيون يتطلَّعون إلى بناء وضعٍ أفضل لهم في الشام [٦].

---

(١) ابن فرج، القيسيّة في القرنين الأول والثاني للهجرة، ص١٣٠.
(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، مج٤، ص١٦؛ القرماني، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، مج٢، ص١٢.
(٣) هم : روح بن زنباع الجذامي، وحبيش بن دلجة القيني، والحصين بن نمير السكوني. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج٢، ص١٦٥.
(٤) هما : عبد الله بن مسعدة الفزاري، وزفر بن الحارث الكلابي. اليعقوبي، المصدر نفسه، مج٢، ص١٦٥.
(٥) الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٥، ص٥٣٥.
(٦) ابن فرج، المرجع نفسه، ص١٣١.

وكان لغياب تحرك ابن الزبير في الشام، وعدم إيلاءها أهميّة كالأهميّة التي أولاها للعراق حين أرسل عمَّاله، وبالأخص أخوه مصعب، دور حاسم في وقوع الهزيمة تلو الهزيمة، إذ ترك بعضاً مِنْ كبار رجال القبائل، أمثال : زفر بن الحارث الكلابي، والنعمان بن بشير الأنصاري، وناتل بن قيس الجذامي، في موقع تردد، فلم يشتركوا في المواجهات، وبقي الضحَّاك بن قيس الفهري لوحده يواجه تكتل اليمانيّة ـ المروانية [١]؛ مما أثر سلباً على وضع القيادة الزبيريّة، وموقفها تجاه تناقص التأييد الحاصل لها في الأطراف البعيدة عن مركزها الحُجاز.

إنَّ محاولات ابن الزبير في الحصول على التأييد القبلي، كان ينطلق من نظريته التقليدية في الهيمنة والسلطة، لكن وسائل كسبها والتأثير على سلوكها ومسارها لصالح حركته، كانت ضعيفة إلى درجة أن جعلته يفقد تأثيره المعنوي عليهم، خصوصاً مع تصرفاته المُنفِّرة، التي أدت بهم لأن ينسلخوا عنه وعن حركته شيئاً فشيئاً.

وأمَّا بخصوص وسائل التأثير التي حاول ابن الزبير التوسل بها للتأثير على القاعدة الحجازيّة بشكلٍ خاص، وعموم أهل الأمصار، فيمكن عَدْ مسألة القربى من زوج الرسول (ﷺ) عائشة بنت أبي بكر، كنقطة هامّة في استمالت الناس إليه. ففي مسألة الصلة وقوتها بين عبد الله وعائشة، يذكر مجد الدين ابن الأثير [٢]، بأنَّ كنية عائشة أم المؤمنين كانت تُنادى بأم عبد الله، ويعنون بذلك : عبد الله بن الزبير، وهو ابن أختها أسماء، حيث لم يكن لها وَلَد؛ وهذا تدليل على وثاقة الصلة بين ابن الأخت وخالته، بل وشهرة تلك الصلة بين الناس. فكثيراً ما كان يُردد ابن الزبير بذكر فضل خالته عائشة، وباقي أقاربه، تذكيراً بنسبه وسلالته [٣].

وفي صلته بأبيه الزبير بن العوّام، فقد بلغت الحد الذي اشتهر ببُنُوَّة أبيه، دون باقي إخوته، فأينما قيل : ابن الزبير، يعنون عبد الله لا غير [٤]. ومن المؤكد أن لهذه الشهرة وقع وتأثير على أهل الحجاز وبقية الأمصار، لِما لمنزلة أبيه الذي اشتهر بحواريّ الرسول (ﷺ) [٥] وابن عمته صفيّة بنت عبد المُطلب [٦].

---

(١) الجبوري، الدور السياسي لأهل اليمن في الشام في عهد الخليفتين مروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان (٦٤ ـ ٨٦هـ)، ص٩٣ ـ ٩٦.
(٢) المُرصّع، ص٣٧.
(٣) صفوت، جمهرة خطب العرب ـ العصر الأموي، ج٢، ص١٦٧.
(٤) ابن الأثير، المُرصّع، ص١٥٧.
(٥) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصّحابة، ج٢، ص٣٠٨.
(٦) الكلبي، جمهرة النسب، ج١، ص١٢٧.

وسعى ابن الزبير لتوظيف رفض البيعة ليزيد بن المعاويّة، للتأثير في مشروعيَّة خلافة يزيد من جهة، وللرفع من شخصه بين الناس من جهة ثانية، فبعد أن سار إلى مكّة، رافضاً لبيعة يزيد، عقب وفاة معاويّة، كان يُردد في مكّة : إني على الطاعة، غير أني لا أبايع أحداً، وأنا مُستجير بالبيت الحرام [١]. وهذه محاولة مهمة من باب تعظيم مسألة رفضه الدخول في بيعة " خليفة " استحل فيما بعد كل الحُرُمات، وأنتهك القواعد، وأطاح بالثوابت. فكان هذا الموقف من ابن الزبير، مدعاة للرفع من شأنه بين أهل الحجاز، وغيرهم من سكان الحواضر العربيّة.

وعرف ابن الزبير أيضاً كيف يوظّف سخط الناس وتذمرهم من خلافة بني أميّة، بعد المجازر التي ارتكبها " خليفتهم " يزيد بن معاوية. حيث عمد إلى تذكير الناس عبر الخطب التي كان يُلقيها على مسامعهم في مكّة، ومنها خطبته تلك التي ذكر فيها أمر قتل الحسين (عليه السلام) وما جرى عليه وأهله في واقعة الطف، قائلاً : أفبعد الحسين نطمئنُّ إلى هؤلاء القوم، ونصدِّق قولهم، ونَقبل لهم عهداً، لا، ولا نراهم لذلك أهلاً، أمَا وقد قتلوه، طويلاً بالليل قيامُه، كثيراً في النهار صيامُه، أحقّ بما هم فيه منهم، وأولى به في الدين والفضل، .. [٢]. فثار إليه أصحابه، وهم يقولون له : أيها الرجل أظْهِرْ بيعتك، فإنه لم يبق أحد، .. وكان يبايع الناس سرا، ويُظهر أنه عائِذ بالبيت، وكان يطلب منهم أن لا يتعجّلوا الأمر، خصوصاً مع وجود عامل مكّة عمرو بن سعيد بن العاص، الذي تشدد كثيراً في مراقبة ابن الزبير وأصحابه [٣].

وعمل ابن الزبير على تأليب الناس على الأمويين وأنصارهم بشكلٍ أكبر، بعد ورود أنباء مجزرة وقعة الحرّة، التي راح ضحيتها الكثير من صحابة الرسول وأبنائهم، إذ خطب ابن الزبير الناس، وحرّضهم على قتال أهل الشام، ودعاهم إلى بيعته، فبايعه أهل مكة على القتال، وتعزز موقفه أكثر، عقب ورود مجاميع ممن تركوا المدينة بعد استباحتها، فصار لديه جمع غفير من الأنصار والمؤيدين، وتوافد إليه بعض من زعماء الخوارج [٤]، لحماية البيت الحرام من جيش الشام، حينما قدم الحصين بن نمير مكّة، فناوش ابن الزبير الحربَ في الحرم، ورماه بنيران المنجنيق حتى أحرق الكعبة، وأراد أصحاب ابن الزبير إطفاء النار، فمنعهم عن ذلك، حتى يغضب الناس للكعبة وما جرى عليها، وكان ذلك سنة ٦٣هـ / ٦٨٢م [٥]، وفي تلك

(١) الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٦٢.
(٢) الطبري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج٥، ص٤٧٥.
(٣) الطبري، المصدر نفسه، ج٥، ص٤٧٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٣، ص٤٤٧.
(٤) أمثال : نَجْدة بن عامر الحنفي، ونافع بن الأزرق. البلاذري، أنساب الأشراف، مج٤، ص١٧؛ الشريدة، حديث جديد في : يزيد بن معاوية، ص٢٣٦ ـ ٢٣٧.
(٥) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج٢، ص١٦٦ ـ ١٦٧.

الأثناء خرج ابن الزبير داعياً لنفسه، مُستثمراً الموقف بطريقة ذكيّة، حيث أجتُمع على خلافته بعد موت يزيد، إذ كان قبل ذلك يدعو إلى الشورى، على حد وصف البلاذري [١]. ويُشير أبو حنيفة الدينوري [٢] إلى نقطة هامة في أمر حصوله على البيعة، مفادها : أن ابن الزبير قد جمع إليه وجوه أهل تهامة والحجاز، فدعاهم لبيعته فبايعوه جميعاً، وذلك عقب انسحاب الحصين بن نمير وجنود الشام من ضواحي مكّة.

ومِنْ وسائل التأثير التي عَمَدَ إليها ابن الزبير للتأثير في كسب الأتباع، واستمالت الناس، نجده يتخير القيادات التي لها قوة تأثير على جموع القبائل وأبناء الأمصار، فقد ضمَّ إلى جانبه وبذكاء رجالات لها سمعتها العسكريّة والقبليّة بالإضافة إلى إشغالها ذلك التأثير الروحي والديني، نتيجة ارتباطها نسبياً بآباء مَثّلوا الرعيل الأول في الإسلام، استطاعوا مُساندته، وقدَّموا خدماتهم له ـ ولو في المراحل المُبكّرة على أقل تقدير ـ عن قناعة واطمئنان. فكان إلى جانبه شخصيات أمثال : عبد الله بن مطيع العدوي، والمختار بن أبي عبيد الثقفي، ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف، والمسوّر بن مخرمة، وأخويه مصعب والمنذر [٣]، وعثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام، ومحمد بن عمار بن ياسر [٤]، وقسماً من زعماء الخوارج [٥]، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وعبيد الله بن علي بن أبي طالب [٦] وغيرهم.

هكذا تمكن عبد الله بن الزبير من تحقيق تحشيد الناس لمساندته وحركته المُزمع انطلاقها في أقرب فرصة مواتية، ذلك بالاستناد لعدَّة مُقومات قد تمكنه من تحقيق النجاح اللازم لوصوله إلى السلطة والحُكُم، وفعلاً تمكن من إعلان نفسه في ظل تلك الظروف العصيبة، غير أن الأمر لم يستقم له، إذ واكب تحركاته، بزوغ نجم شخصيّة لها مكانتها وحنكتها السياسيّة، ألا وهو عبد الملك بن مروان، ذلك الذي عدَّه أكثر المؤرخين، المؤسس الثاني للدولة الأمويّة [٧]؛ مما أحبط آمال ابن الزبير التي تلاشت بعد سنوات قليلة، لم تتجاوز تسع سنوات (٦٤ ـ ٧٣هـ / ٦٨٣ ـ ٦٩٢م)، فتهاوى كل ما سعى إليه من أهداف، على يد قائد لا يعرف الرحمة، أو

(١) أنساب الأشراف، مج٤، ص١٧؛ الشريدة، حديث جديد في : يزيد بن معاويّة، ص٢٣٣.
(٢) الأخبار الطوال، ص٢٦٤؛ الشريدة، المرجع نفسه، ص٢٣٧.
(٣) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص١٩.
(٤) البلاذري، المصدر نفسه، مج٣، ص٤٧١.
(٥) الرويضي، حركة عبد الله بن الزبير، ص١٨٩.
(٦) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص٣٣٦.
(٧) بيضون، من دولة عُمر إلى دولة عبد الملك، ق٢، ص٢١٧.

يصون الحرمات، ذلك هو الحجاج بن يوسف الثقفي، قائد جيوش عبد الملك، فحاصر مكّة حصارها الثاني أشهراً، ورمى عليها بالمنجنيق، فخذل ابن الزبير أصحابه، وتسللوا خفية حتى التحقوا بالحجاج، فظفر به وقتله ومن ثم صلبه [١]. هكذا انتهت حياة حافلة بالطموح، خاضت غمار الانتقال من صفوف المعارضة إلى الحُكُم، عبر سنوات طوال.

يتضح من كل ما تقدَّم، أن حركة ابن الزبير ورغم محاولتها للانتشار في معظم الأمصار الإسلاميّة، لم يتبق لها بعد مقتل زعيمها أثراً إيجابياً، ولعلَّ ذلك يعود لغياب اعتماد ابن الزبير في حركته على قوم أو طائفة تستمر حركته ببقائهم، ويمكن ارجاع ذلك لشعوره الشخصي بالتفرد والرفعة على جميع مَنْ كان حوله من القيادات؛ مما أنهى الحركة سريعا بغياب قائدها الأوحد، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، وقوفه في وجه القوة الأمويّة، أكسبه عون بعض القوى المعارضة كالخوارج، الذين سرعان ما تخلوا عنه أثر إعلانه البيعة لنفسه، إضافة إلى أثارته لسخط العلويين عموماً، نتيجة تضيّقه عليهم، كما في تصرفاته مع ابن الحنفيّة وأتباعه. ومن عوامل التأثير السلبي على حركته التي قامت أساساً على مبدأ الشورى في الحُكُم، وبقاء الكثيرين من المؤمنين به كمبدأ، لم يجد هؤلاء رابطة تجمعهم بعد رحيل ابن الزبير؛ لذا قضت الحركة برحيل مؤسسها، ولم تُخلّف أثراً يُذكَر، عدا بعض النتائج السلبية [٢]، منها :

فقدان الحجاز لدوره القيادي أو المؤثر، كنتيجة طبيعية على أثر حركة ابن الزبير وما رافقها من معارك، دارت رحاها على أرض الحجاز، ومن ثَمَّ خضع هذا الإقليم عسكرياً لقيادة الشام [٣].

كذلك اسلوب التكتم الذي مارسه ابن الزبير، وأنَّه عائذ بالبيت، وينادي بالرضا والشورى، ولم يعرض نفسه للبيعة حتى رحيل يزيد، جعلت غالبية الحركات الحجازية المعارضة، التي جاءت بعد ذلك، تقتفي أثره السلبي، وتنسج على منواله خططها، فتتكتم أمرها وتدعو للشورى والرضا [٤].

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٣٦٤، ٣٧٧، ٣٧٩؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٧٦.

(٢) القبلان، عبد الله بن الزبير ـ حركته وخلافته، ص٢١٤.

(٣) الشريف، دور الحجاز في الحياة السياسيّة العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة، ص٤٥٠.

(٤) القبلان، المرجع نفسه، ص٢١٥.

يُضاف إلى ذلك، أن حركة ابن الزبير وبالرغم مِنْ كونها ذات توجهات سياسيّة، غير أنها أهملت وجود لسان مُعَبِر عنها كما يجب، فالشعر والخطابة كانا بمثابة وسيلة إعلاميّة، حاول تفعيلها ابن الزبير، وكثيراً ما أخفق بذلك، واستخدمت بالضد منه بشكل أكثر نجاحاً. فقد كان هو نفسه خطيباً وشاعراً، لم يترك مجالاً للقول والحديث إلّا واستثمره في دعم موقفه وحركته، إذ وقف على منبر مكّة يخطب مُنندداً بيزيد بعد استشهاد الحسين وصحبه، وبعبد الملك بن مروان بعد مقتل مصعب بن الزبير، وعندما هجاه أحد شُعراء الأمويين، ردَّ عليه ابن الزبير شعراً، غير أن زعيم هذه الحركة لم يسع بنفسه لتقريب الشعراء كما فعل الأمويون، وإنَّ كان بعض من الشعراء المؤمنين بالحركة الزبيريّة، ينتفضون من تلقاء أنفسهم للدفاع عنها وعن زعيمها حفظاً للمروءة [١]. هذا وقد أثار ابن الزبير وحركته نقاشات الفقهاء، وموقف يزيد منها وأعماله، لقرون بعد ذلك [٢].

(١) هادي، الحياة السياسية والادارية في الحجاز في العصر الأموي، ص٩٥.
(٢) ابن تيمية، سؤال في يزيد بن معاوية، ص١٧.

الخلاصة والاستنتاجات

نخلص من دراسة موضوعة القيادة وعلاقتها مع القاعدة في الفترة الزمنية المتقدمّة من تاريخ حكم الأسرة المروانيّة للدولة العربيّة الإسلاميّة، وما عاصرها من ظهور قيادات نازعتها الحكم والسلطة في الكوفة والحجاز، إلى جانب سلطة الحكم المرواني نفسه في الشام. ذلك بالاستناد لنظرية عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر، والقاضية بدراسة أنماط السلطة والهيمنة عبر التاريخ، وطبيعة شرعيتها التي تتكئ عليها كأساس تستمد منه مشروعيتها أمام القاعدة الجماهيريّة ضمن إطار المجتمع المَحكوم. إذ تتضح مجموعة من النتائج، يمكن عرضها بالشكل الآتي :

١ـ إنَّ السلطة الحاكمة دائماً ما تبحث عن ظل يُظللها في مشروعيتها للحكم، سواء كان هذا الأمر، تحت مظلة الشرعيّة القانونية أو التقليديّة أو الهيمنة الكاريزمية (البطل المُلهم).

٢ـ إنَّ القواعد التي تمنح تأييدها لهذه القيادة أو تلك، عادةً ما تنظر لمصالحها أولاً، ومن ثمَّ تتابع بقيَّة المسائل، سواء العقدية أو المبدئية، وهكذا جرت العادة لدى أكثر الجماهير التي تسير على وفق التعبئة الشعبويّة التي ترسمها لها القيادات.

٣ـ توظيف الوسائل المُباحة وغير المُباحة كافة، لتحقيق هدف السيطرة والحكم، بغض النظر عن مشروعيّة تلك الوسائل، ونُبُل الأهداف القاضي بالوصول إليها.

٤ـ العمل من قبل القيادات على تفعيل وسائل الدعايّة والترويج، كالخطابة والشعر والشعراء، وتفعيل مسائل التأثير الاقتصادي، كمنح الأراضي والقطائع والأموال والمنح والعطايا، أو منح المناصب للزعماء القبليين وغيرهم، من الذين يمتلكون النفوذ على أبناء قومهم، لتشكيل حلقات تتسع في منح المقبوليّة للقيادة الأعلى.

٥ـ إنَّ القيادة التي تستند للمشروعيّة القانونية هي الأكثر قوة وديمومة، من تلك التي تستند للقاعدة التقليديّة (القبليّة / القدسيّة)، أو التي تتعكز على قوة التأثير الكارزمي (البطل / المُلهَم).

٦ـ صعوبة انقياد القبائل وأبنائها، للمفاهيم المُجرَّدة والأفكار الماورائيّة، بقدر انجرارها خلف المصالح الآنيّة والفرص المُتاحة على أرض الواقع، كان كفيلاً بتشكيل قطاعات واسعة من التأييد للقيادة التي تعرف كيف تسيس الأمور مع الناس وترى حاجاتهم اليوميّة والمعيشيّة.

٧ـ التضارب في المصالح بين القواعد وبعض القيادات، سواء الاقتصاديّة منها أو العقديّة، أسهم بشكل واضح في التخلي عن بعضها، لصالح أفكار استثنائيّة في الرؤية للحاكم أو المحكوم، كما في قضية الخوارج مع ابن الزبير على سبيل المثال.

٨ـ الطموح وحده لا يكفي لجعل القيادة في إطار مرتكزات الثبات والقوة، إنَّما يتوجب أن تُرافقه جملة من الوسائل الماديّة اللازمة، لتحويله إلى صيغة تطبيق عملي يُعضّد بعضه بعض؛ وهذا ما أخفق به ابن الزبير مثالاً على ذلك.

٩ـ المغامرة غير المحسوبة، قد تودي بصاحبها إلى مآل لا يُحمد عقباه، وإن حمل بين جنبات حركته أهدافاً نبيله وغايات حميدة، كما في حركة المختار الثقفي.

١٠ـ إخضاع الأمور لقاعدة من التوازنات، يجعل من الأهداف أكثر وضوحاً واتساقاً في حركة تواصلها مع الواقع، وينتهي إلى أثبات القوة على الأرض، بما يخدم القيادة ومَنْ بمعيتها بشكل جلي. كما في سياسة عبد الملك وآليات إدارته للأزمة والصراعات.

١١ـ الذهاب إلى مسافات بعيدة في مسألة الاعتزاز بالنفس والعائلة والعشير، والنظر لها كحالة فارقة ذات ميزات تنتمي في تسلسلها الزمني لقيادات أبعد زمنياً، قد يُصيب صاحبها بحالة من الغرور والعمى السياسي، في التمييز بما هو كائن، وما يجب أن يكون. وهذا ما وقع في شراكة ابن الزبير.

١٢ـ التأكيد على نسبية أحداث التاريخ، وتجنب مسألة القطعيَّة بصحتها بالمُطلق، وهذه أهم ما تكون من النتائج التي توصَّل لها البحث، فالرجحان القائم هو تقديري في الغالب، ويستند لروايات تحتمل القبول والرفض. ولا يمكن البت بعبقريّة هذه القيادة أو تلك، حسب ما هو واصل من نصوص ومادة تاريخيّة يصعب ترجيح بعضها على بعض، وإنَّما يتم الاستعانة بها لتقديم صورة أو تصوَّر نظري لا أكثر.

١٣ـ ختاماً وللأمانة العلميّة لابد من التأكيد على أن النتائج التي قادت إليها هذه الدراسة، كانت بناءً على المعطيات التي بذل الباحث في تحصيلها وجمعها وتحليلها وضبطها وقتاً وجهداً قدر وسعه، وما سنحت به الظروف المختلفة، ومن ثمَّ فهي نتائج مبنية أساساً على ما تم توثيقه عن طريق كافة المصادر والمراجع المختلفة والمدرجة بأكملها في ذيل الدراسة.

خريطة توضّح مناطق سيطرت ونفوذ كل من :

١ـ عبد الملك بن مروان : الشام

٢ـ المختار الثقفي : الكوفة

٣ـ عبد الله بن الزبير : الحجاز

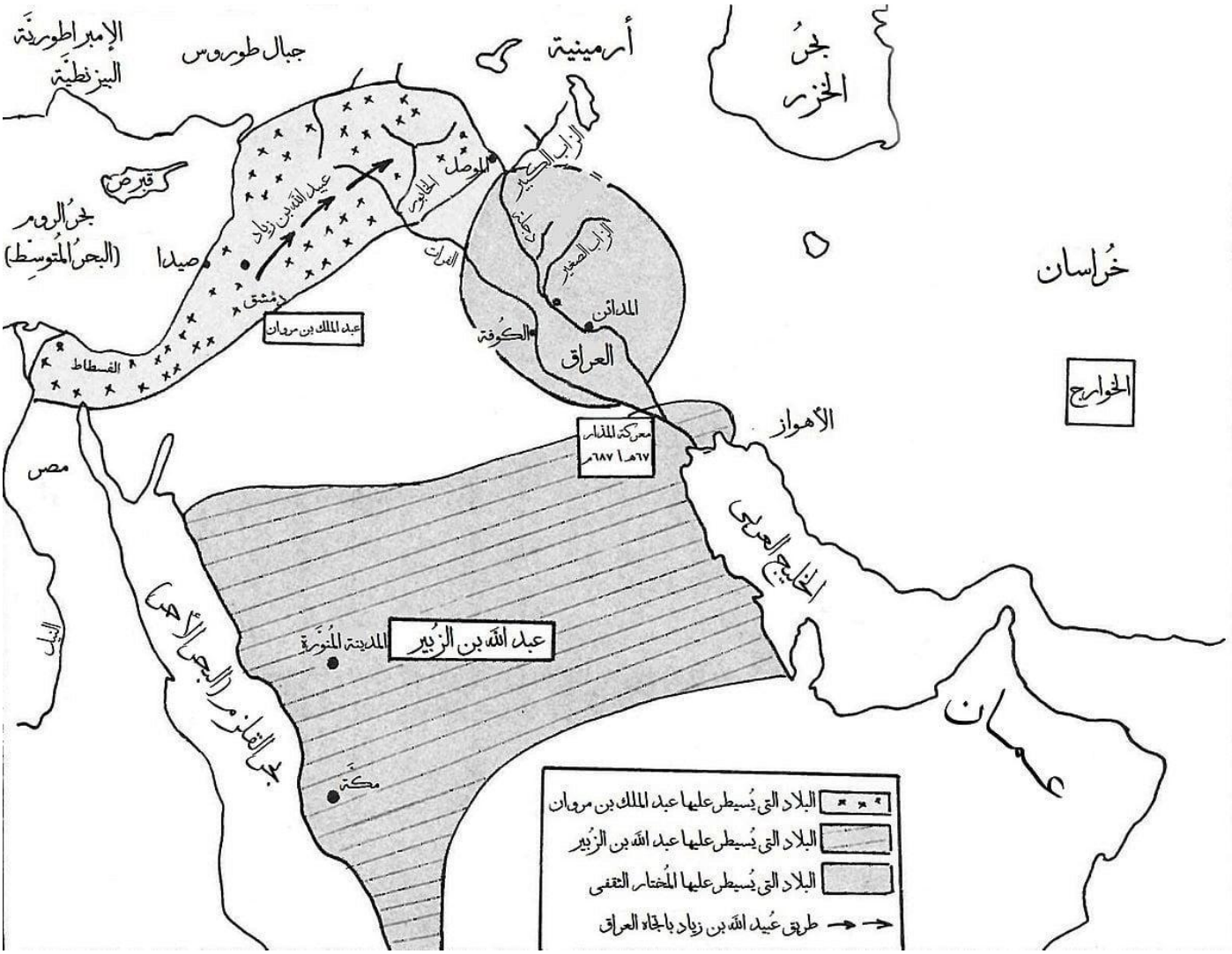

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

أولاً : المصادر :

- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) :

١ـ الكامل في التاريخ، تحقيق : محمد يوسف الدقاق، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت : ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م).

٢ـ أسَد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق وتعليق : علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، ط٢، دار الكتب العلمية، (بيروت : ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م).

- ابن الأثير، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م) :

٣ـ المُرصّع في الآباء والأمّهات والبنين والبنات والأذواء والذوّات، تحقيق : إبراهيم السامرائي، ط١، دار الجيل، (بيروت : ١٤١١هـ / ١٩٩١م).

- الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٢٥٠هـ / ٨٦٤م) :

٤ـ أخبار مكّة وما جاء فيها من الآثار، دراسة وتحقيق : عبد الملك بن عبد الله، ط١، مكتبة الأسدي، (الرياض : ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م).

- الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٣٢٤هـ / ٩٣٥م) :

٥ـ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، عني بتصحيحه : هلموت ريتر، ط٣، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، (بيروت : ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م).

- ابن أعثم الكوفي، أبو محمد أحمد بن محمد بن علي الأزدي (ت ٣١٤هـ / ٩٢٦م) :

٦ـ الفتوح، تحقيق : علي شيري، ط١، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت : ١٤١١هـ / ١٩٩١م).

- الأودي، صلاءة بن عمرو بن عوف (ت نحو سنة : ٥٧٠م) :

٧ـ ديوان الأفوه الأودي، شرح وتحقيق : محمد التّونْجي، ط١، دار صادر للطباعة والنشر، (بيروت : ١٩٩٨م).

- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م) :

٨ـ صحيح البخاري، تحقيق : صدقي جميل العطار، د. ط، دار الفكر العربي، (دمشق : ١٤٠١هـ / ١٩٨١م).

- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله الأندلسي (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) :

٩ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق : علي محمد البجاوي، ط١، دار الجيل، (بيروت : ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).

- البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) :

١٠ـ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق : مصطفى السقا، ط٣، عالم الكتب، (بيروت : ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).

- البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م) :

١١ـ أنساب الأشراف، تحقيق : محمد محمد تامر، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت : ٢٠١١م).

١٢ـ فتوح البلدان، حققه وشرحه وعلَّق على حواشيه : عبد الله أنيس الطبّاع، عمر أنيس الطبّاع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، (بيروت : ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م).

- البيهقي، إبراهيم بن محمد (ت ٣٢٠هـ / ٩٣٢م) :

١٣ـ المحاسن والمساوئ، دون تحقيق، د. ط، دار صادر، (بيروت : د. ت).

- التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر (ت ٦٩٣هـ / ١٢٩٣م) :

١٤ـ شرح المقاصد، تحقيق : عبد الرحمن عميرة، ط١، انتشارات الشريف الرضي، (قُمْ : ١٩٩١م).

- التميمي، أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم (ت ٣٣٣هـ / ٩٤٤م) :

١٥ـ المحن، تحقيق : يحيى وهيب الجبوري، ط٣، دار الغرب الإسلامي، (بيروت : ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م).

- التنوخي، أبو علي المحسن بن علي (ت ٣٨٤هـ / ٩٩٤م) :

١٦ـ المُستجاد من فعلات الأجواد، تحقيق : محمد كرد علي، د. ط، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، مطبعة الترقي، (دمشق : ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م).

- التوحيدي، أبو حيّان علي بم محمد بن العباس (ت ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م) :

١٧ـ الإمتاع والمؤانسة، تحقيق : أحمد أمين، أحمد الزين، ط١، مؤسسة هنداوي، (لندن : ٢٠١٩م).

- التوزري، أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس (ت القرن السادس الهجري / الحادي عشر الميلادي) :

١٨ـ الاكتفاء في أخبار الخلفاء، دراسة وتحقيق : عبد القادر بوباية، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت : ٢٠٠٩م).

- ابن تيميِّة، أبو العباس أحمد تقي الدين (ت ٧٢٨هـ / ١٣٢٨م) :

١٩ـ سؤال في يزيد بن معاوية، تحقيق : صلاح الدين المنجد، د. ط، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، مطبعة الترقي، (دمشق : ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م).

- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري (ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م) :

٢٠ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، (صيدا : ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م).

- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الكناني البصري (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨م) :

٢١ـ البيان والتبيين، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون، ط٣، مؤسسة الخانجي، (القاهرة : ١٩٧٨م).

٢٢ـ الحيوان، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون، ط١، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت : ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م).

- الجُرْجاني، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني الحنفي (ت ٨١٦هـ / ١٤١٣م) :

٢٣ـ التعريفات، تحقيق ودراسة : محمد صديق المنشاوي، د. ط، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، (القاهرة : ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م).

- الجُرْجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت ٤٧١هـ / ١٠٧٨م) :

٢٤ـ أسرار البلاغة، قرأه وعلَّق عليه : محمود محمد شاكر، ط١، مكتبة الخانجي، (القاهرة : ١٩٩١م).

- الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ / ٩٤٢م) :

٢٥ـ الوزراء والكتَّاب، قدَّم له : حسن الزين، د. ط، دار الفكر الحديث للطباعة والنشر، (بيروت : ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م).

- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) :

٢٦ـ صفة الصّفوة ، تحقيق : محمود فاخوري، ط٣، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت : ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).

٢٧ـ المُنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دراسة وتحقيق : محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت : ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).

- سبط ابن الجوزي، أبو المظفر يوسف بن حسام الدين البغدادي (ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م) :

٢٨ـ مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق : محمد بركات وآخرون، ط١، دار الرسالة العالميّة، (دمشق : ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م).

- ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبّان بن أحمد التميمي البُستي (ت ٣٥٤هـ / ٩٦٥م) :

٢٩ـ الثقات، تحقيق : محمد عبد المعيد خان، ط١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، (حيدر آباد الدكن / الهند : ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م).

٣٠ـ مشاهير علماء الأمصار، تحقيق : مجدي بن منصور بن سيد الشورى، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت : ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م).

- ابن حبيب، أبو جعفر محمد الهاشمي البغدادي (ت ٢٤٥هـ / ٨٥٩م) :

٣١ـ المحبّر، تحقيق : إيلزه ليختن شتيتر، د. ط، دار الآفاق الجديدة، (بيروت : د. ت).

- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) :

٣٢ـ الإصابة في تمييز الصحابة، دراسة وتحقيق وتعليق : عادل أحمد عبد الموجود، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت : ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م).

٣٣ـ تهذيب التهذيب، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت : ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م).

٣٤ـ لسان الميزان، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدَّة، ط١، دار البشائر الإسلامية، (بيروت : ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م).

٣٥ـ مَبلغُ الأرب في فخر العرب، تحقيق : يسري عبد الغني عبد الله، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت : ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م).

- ابن أبي الحديد، عزّ الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد المدائني المعتزلي (ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) :

٣٦ـ شرح نهج البلاغة، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار إحياء التراث العربي، (بيروت : ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م).

- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م) :

٣٧ـ جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق : ليفي بروفنسال، ط١، دار المعارف بمصر، (القاهرة : ١٣٦٨هـ / ١٩٤٨م).

٣٨ـ الفصل في الملل والأهواء والنِّحل، تحقيق : محمد إبراهيم نصر، عبد الرحمن عميرة، ط٢، دار الجيل، (بيروت : ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م).

- الحضرمي، أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد الهجراني الشافعي (ت ٩٤٧هـ / ١٥٤٠م) :

٣٩ـ قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، تحقيق : بوجمعة مكري، خالد زواري، ط١، دار المنهاج للنشر والتوزيع، (جدّة : ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨م).

- ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله القرشي المصري (ت ٢٥٧هـ / ٨٧٠م) :

٤٠ـ فتوح مصر وأخبارها، تقديم وتحقيق : محمد صبيح، د. ط، مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر، (القاهرة : ١٩٧٤م).

- ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي (ت ٥٦٢هـ / ١١٦٦م) :

٤١ـ التذكرة الحمدونية، تحقيق : إحسان عباس، بكر عباس، ط١، دار صادر للطباعة والنشر، (بيروت : ١٩٩٦م).

- الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت ٧٢٧هـ/١٣٢٦م) :

٤٢ـ الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق : إحسان عباس، ط٢، مكتبة لبنان، (بيروت : ١٩٨٤م).

- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد الذهلي الشيباني البغدادي (ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م) :

٤٣ـ مُسند أحمد بن حنبل، حققه وعلَّق عليه : شعيب الأرنؤوط، عادل مُرشد، ط١، مؤسسة الرسالة، (بيروت : ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م).

- ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م) :

٤٤ـ المقدِّمة، تحقيق : علي عبد الواحد وافي، ط٧، دار نهضة مصر للنشر، (القاهرة : ٢٠١٤م).

- ابن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط الليثي العصفري (ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م) :

٤٥ـ تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق : أكرم ضياء العمري، ط٣، دار طيبة للنشر والتوزيع، (الرياض : ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).

٤٦ـ الطبقات، حققه وقدَّم له : أكرم ضياء العمري، ط١، مطبعة العاني، (بغداد : ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م).

- أبو داوُد السجستاني، سليمان بن الأشعث الأزدي (ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م) :

٤٧ـ سُنن أبي داوُد، شرح وتحقيق : عبد القادر أبو الخير وآخرون، دار الحديث للطبع والنشر والتوزيع، (القاهرة : ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م).

- ابن دُرَيد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢١هـ / ٩٣٣م) :

٤٨ـ الاشتقاق، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، ط١، دار الجيل، (بيروت : ١٤١١هـ / ١٩٩١م).

- الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داوُد (ت ٢٨٢هـ / ٨٩٥م) :

٤٩ـ الأخبار الطوال، تحقيق : عبد المنعم عامر، مراجعة : جمال الدين الشيّال، د. ط، وزارة الثقافة والارشاد القومي، الإقليم الجنوبي، الإدارة العامة للثقافة، سلسلة تراثنا، (القاهرة : ١٩٦٠م).

- الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م) :

٥٠ـ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، (بيروت : ١٤١٢هـ / ١٩٩١م).

٥١ـ تجريد أسماء الصّحابة، د. ط، دار المعرفة للطباعة والنشر، (بيروت : د. ت).

٥٢ـ سير أعلام النبلاء، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخرون، تقديم بشار عوّاد معروف، ط٣ ، مؤسسة الرسالة، (بيروت : ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).

٥٣ـ العبر في خبر من غبر، تحقيق : محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت : ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).

- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت ٦٦٦هـ / ١٢٦٧م) :

٥٤ـ مختار الصحاح، تحقيق : دائرة المعاجم في مكتبة لبنان، د. ط، مكتبة لبنان، (بيروت : ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م).

- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل (ت ٤٢٥هـ / ١٠٣٣م) :

٥٥ـ مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق : صفوان عدنان داوودي، ط٤، دار القلم ـ الدار الشاميّة، (بيروت ـ دمشق : ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م).

- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٨هـ / ٩٣٩م) :

٥٦ـ العقد الفريد، تحقيق : عبد المجيد الترحيني، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت : ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م).

- ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر (ت بعد ٣١٠هـ / ٩٢٣م) :

٥٧ـ الأعلاق النفيسة، د. ط، مطبعة بريل، (ليدن : ١٨٩١م).

- الروحي، أبو الحسن علي بن محمد بن أبي السرور (ت ٥٧٦هـ / ١١٨٠م) :

٥٨ـ بُلغة الظُّرفاء في تاريخ الخلفاء، تحقيق : عماد أحمد هلال وآخرون، د. ط، مطابع الأهرام التجاريّة، (القاهرة : ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م).

- الزبيري، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله المصعب (ت ٢٣٦هـ / ٨٥٠م) :

٥٩ـ نسب قريش، عني بنشره وتصحيحه والتعليق عليه : ليفي بُروفنسال، ط٣، دار المعارف، (القاهرة : ١٩٨٢م).

- السجّستاني، أبو سليمان محمد بن طاهر المنطقي (ت ٣٩١هـ / ١٠٠٠م) :

٦٠ـ صوان الحكمة، حققه وقدَّم له : عبد الرحمن بدوي، د. ط، المؤسسة الثقافية الإيرانية، (طهران : ١٩٧٤م).

- السدوسي، مؤرِّج بن عمرو (ت ١٩٥هـ / ٨١٠م) :

٦١ـ حذف من نسب قريش، نشره : صلاح الدين المنجد، د. ط، مطبعة المدني، مكتبة دار العروبة، (القاهرة : ١٩٦٠م).

- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م) :

٦٢ـ الطبقات الكبرى، دراسة وتحقيق : محمد عبد القادر عطا، ط٢، دار الكتب العلمية، (بيروت : ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م).

- ابن سلام، أبو عبيد القاسم (ت ٢٢٤هـ / ٨٣٧م) :

٦٣ـ الأموال، تقديم ودراسة وتحقيق : محمد عمارة، ط١، دار الشروق، (بيروت : ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م).

- السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت ٥٦٢هـ / ١١٦٦م) :

٦٤ـ الأنساب، تحقيق : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، ط٢، مكتبة ابن تيمية، (القاهرة : ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م).

- ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله (ت ٤٢٨هـ / ١٠٣٧م) :

٦٥ـ الإشارات والتنبيهات، تحقيق : سليمان دنيا، د. ط، مؤسسة النعمان للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت : ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م).

- السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) :

٦٦ـ تاريخ الخلفاء، تحقيق : أحمد بن شعبان بن أحمد، ط١، مطابع دار البيان الحديثة، مكتبة الصفا، (القاهرة : ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م).

- ابن شاكر، محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) :

٦٧ـ فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق : إحسان عباس، د. ط، دار صادر، (بيروت : ١٩٧٤م).

- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد (ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣م) :

٦٨ـ الملل والنحل ، تحقيق : محمد سيد كيلاني، ط٢، دار المعرفة للطباعة والنشر، (بيروت : ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م).

- الصاحب بن عبّاد : أبو القاسم إسماعيل بن عبّاد بن العباس الطالقاني (ت ٣٨٥هـ / ٩٩٥م) :

٦٩ـ المحيط في اللغة، تحقيق : محمد حسن آل ياسين، ط١، عالم الكتب، (بيروت : ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م).

- الصّغاني، الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر العدويّ (ت ٦٥٠هـ / ١٢٥٢م) :

٧٠ـ التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، حققه : عبد العليم الطحاوي، راجعه : عبد الحميد حسن، د. ط، مطبعة دار الكتب، (القاهرة : ١٩٧١م).

- الصفدي، صلاح الدين خليل بن آيبك (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) :

٧١ـ الوافي بالوفيات، تحقيق : أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، ط١، دار أحياء التراث العربي، (بيروت : ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م).

- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ / ٩٧٠م) :

٧٢ـ المعجم الكبير، حققه وعلّق عليه : حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي، ط٢، مكتبة ابن تيمية، (القاهرة : ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م).

- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م) :

٧٣ـ تاريخ الرُسُل والملوك، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف، (القاهرة : ١٩٦٧م).

- طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر المروزي (ت ٢٨٠هـ / ٨٩٣م) :

٧٤ـ بلاغات النساء، تحقيق : أحمد الألفي، د. ط، مطبعة مدرسة عباس الأول، (القاهرة : ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م).

- ابن العبري، أبو الفرج غريغوريوس بن اهرون الطبيب الملطي (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م):

٧٥ـ تاريخ مختصر الدول، ط٢، دار المسيرة، (بيروت : د. ت).

- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م) :

٧٦ـ تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، دراسة وتحقيق : عمر بن غرامة العمروي ، د. ط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت : ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م).

- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل اللغوي (ت ٣٩٥هـ / ١٠٠٤م) :

٧٧ـ الأوائل، تحقيق وضبط وتعليق : محمد السيد الوكيل، ط٢، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلاميّة، (طنطا : ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م).

- أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم بن هارون البغدادي (ت ٣٥٦هـ / ٩٦٦م) :

٧٨ـ الأمالي، تحقيق : محمد عبد الجواد الأصمعي، د. ط، دار الكتب العلمية، (بيروت : د. ت).

- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الطوسي الشافعي (ت ٥٠٥هـ / ١١١١م) :

٧٩ـ المُستصفى من علم الأصول، تحقيق : أحمد زكي حمّاد، د. ط، دار الميمان للنشر والتوزيع، (الرياض : د. ت).

- ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا بن حبيب الرازي (ت ٣٩٥هـ / ١٠٠٤م) :

٨٠ـ معجم مقاييس اللغة، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، ط٢، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (القاهرة : ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م).

- الفاكهي، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢) :

٨١ـ أخبار مَكّة في قديم الدهر وحديثه، دراسة وتحقيق : عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط٢، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت : ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م).

- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م) :

٨٢ـ تقويم البلدان، تحقيق : رينود، ماك ديسلان، د. ط، دار الطباعة السلطانية، (باريس : ١٨٤٠م).

٨٣ـ المختصر في أخبار البشر، ط١، المطبعة الحسينية المصرية، (القاهرة : د. ت).

- الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ / ٧٨٦م) :

٨٤ـ العين، تحقيق : عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت : ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م).

- أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين بن محمد القرشي الأموي (ت ٣٥٦هـ / ٩٦٦م) :

٨٥ـ الأغاني، تحقيق : عبد الرحيم محمود وآخرون، ط٢، مطبعة دار الكتب المصرية، (القاهرة : ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م).

- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ / ١٤١٤م) :

٨٦ـ القاموس المحيط، تحقيق : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٨، مؤسسة الرسالة، (بيروت : ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م).

- عبد القاهر البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي (ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م) :

٨٧ـ الفرق بين الفرق، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، د. ط، مطبعة المدني، (القاهرة : د. ت).

- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م) :

٨٨ـ الإمامة والسياسة، تحقيق : علي شيري، ط١، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت : ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م).

٨٩ـ تأويل مشكل القرآن، شرحه ونشره : أحمد صقر، ط٣، المكتبة العلمية، (بيروت : ١٩٨١م).

٩٠ـ عيون الأخبار، د. ط، دار الكتاب العربي، (بيروت : د. ت).

٩١ـ المعارف، حققه وقدَّم له : ثروت عكاشة، ط٤، دار المعارف، (القاهرة : ١٩٨١م).

- القرطاجني، أبو الحسن حازم بن محمد بن الحسن الأوسي (ت ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م) :

٩٢ـ منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق : محمد الحبيب ابن الخوجة، ط٣، دار الغرب الإسلامي، (بيروت : ١٩٨٦م).

- القرماني، أحمد بن يوسف (ت ١٠١٩هـ / ١٦١٠م) :

٩٣ـ أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، دراسة وتحقيق : أحمد حطيط، فهمي سعيد، ط١، عالم الكتب، (بيروت : ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).

- القضاعي، أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر (ت ٤٥٤هـ / ١٠٦٢م) :

٩٤ـ تاريخ القضاعي : عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف، دراسة وتحقيق : جميل عبد الله محمد المصري، د. ط، مركز البحوث وإحياء التراث الإسلامي، (مكّة : ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م).

- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن عبد الله (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) :

٩٥ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق : محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت : ١٤٠٩هـ / ١٩٨٧م).

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) :

٩٦ـ البداية والنهاية، تحقيق : إبراهيم الزيبق، ط٢، دار ابن كثير، (دمشق : ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م).

- الكلبي، أبو المنذر هشام بم محمد بن السائب (ت ٢٠٤هـ / ٨١٩م) :

٩٧ـ جمهرة النسب، تحقيق : ناجي حسن، ط١، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، (بيروت : ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م).

٩٨ـ نسب معد واليمن الكبير، تحقيق : ناجي حسن، د. ط، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت : ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م).

- ابن كمّونة، سعد بن منصور الإسرائيلي (ت ٦٨٣هـ / ١٢٨٤م) :

٩٩ـ الجديد في الحكمة، دراسة وتحقيق : حميد الكبيسي، د. ط، مطبعة جامعة بغداد، (بغداد : ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).

- المُبرِّد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ / ٨٩٨م) :

١٠٠ـ الكامل في اللغة والأدب، تحقيق : عبد الحميد هنداوي، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، (الرياض : ١٩٩٨م).

- أبو مخنف، لوط بن يحيى بن سعيد الغامدي الأزدي الكوفي (ت ١٥٧هـ / ٧٧٣م) :

١٠١ـ أخبار المختار بن أبي عبيد الثقفي، استخراج وتنسيق وتحقيق : كامل سلمان الجبوري، ط١، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت : ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م).

- المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى (ت ٣٨٤هـ / ٩٩٤م) :

١٠٢ـ معجم الشعراء، تحقيق : فاروق أحمد اسليم، ط١، دار صادر، (بيروت : ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م).

- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٦م) :

١٠٣ـ التّنبيه والأشراف، عني بتصحيحه ومراجعته : عبد الله إسماعيل الصاوي، د. ط، دار الصاوي للطبع والنشر والتأليف، (القاهرة : ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م).

١٠٤ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق وتعليق : قاسم الشماعي الرفاعي، ط١، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت : ١٤٠٨هـ / ١٩٨٩م).

- مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م) :

١٠٥ـ تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق : سيد كسروي حسن، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت : ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٢م).

- المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الحارثي العُكبري البغدادي (ت ٤١٣هـ / ١٠٢٢م).

١٠٦ـ تصحيح اعتقادات الإماميّة، تحقيق : حسن در كَاهي، ط١، مطبعة مهر، (قُم : ١٤١٣هـ).

- المقدسي، مُطهّر بن طاهر (ت ٣٥٥هـ / ٩٦٥م) :

١٠٧ـ البدء والتاريخ، تحقيق : كلمان هوار، د. ط، مطبعة برترند، (باريس : ١٨٩٩ ـ ١٩١٩م).

- المقرئ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت ٧٧٠هـ / ١٣٦٨م) :

١٠٨ـ المصباح المنير، ط١، مكتبة لبنان، (بيروت : ١٩٨٧م).

- المقريزي، تقي الدين أحمد بن محمد (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤٢م) :

١٠٩ـ النزاع والتخاصم فيما بين بني أميّة وبني هاشم، حققه وعلَّق حواشيه : حسين مؤنس، ط١، دار المعارف، (القاهرة : ١٩٨٤م).

- ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري (ت ٧١١هـ / ١٣١١م) :

١١٠ـ لسان العرب، تحقيق : عبد الله الكبير وآخرون، ط١، دار المعارف، (القاهرة : ١٩٧٩م).

١١١ـ مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق : روحيّة النحاس وآخرون، ط١، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر بدمشق، (دمشق : ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م).

- ابن منقذ، أسامة بن مرشد بن نصر الكناني (ت ٥٨٤هـ / ١١٨٨م) :

١١٢ـ لباب الآداب، تحقيق : أحمد محمد شاكر، ط١، دار الجيل للطباعة، (القاهرة : ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م).

- أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله بن أحمد المهراني (ت ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م) :

١١٣ـ تاريخ أصبهان : ذكر أخبار أصبهان، تحقيق : سيد كسروي حسن، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت : ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م).

- ابن نما الحلي، جعفر بن محمد بن جعفر (ت ٦٨٠هـ / ١٢٨١م) :

١١٤ـ ذوب النّضار في شرح الثار، تحقيق : فارس حسون كريم، ط٢، مؤسسة النشر الإسلامي، (قُم : ١٤٣٨هـ).

- الهرثمي، أبو سعيد الشعراني، صاحب المأمون (ت بعد ٢٣٤هـ / ٨٤٨م) :

١١٥ـ مختصر سياسة الحروب، تحقيق : عبد الرؤوف عون، مراجعة : محمد مصطفى زيادة، د. ط، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، (القاهرة : ١٩٦٤م).

- ابن هشام، أبو محمد عبد الملك الحِميري المعافري (ت ٢١٣هـ / ٨٢٨م) :

١١٦ـ السيرة النبويّة، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها : مصطفى السقا وآخرون، ط٢، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، (القاهرة : ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م).

- ابن هلال الثقفي، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سعد (ت ٢٨٣هـ / ٨٩٦م) :

١١٧ـ الغارات : الإستنفار والغارات، حققه وعلَّق عليه : عبد الزهرة الحسيني الخطيب، ط١، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت : ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م).

- ابن الوَردي، زين الدين عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) :

١١٨ـ تاريخ ابن الوَردي، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت : ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م).

- ياقوت الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله البغدادي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م) :

١١٩ـ معجم البلدان، تحقيق : وستنفيلد، د. ط، دار صادر، (بيروت : ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م).

- اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن واضح البغدادي (ت ٢٩٢هـ / ٩٠٤م) :

١٢٠ـ تاريخ اليعقوبي، تحقيق : عبد الأمير مهنا، ط١، شركة الأعلمي، (بيروت : ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م).

- اليماني، يحيى بن أبي بكر بن محمد العامري الحضرمي (ت ٨٩٣هـ / ١٤٨٧م) :

١٢١ـ غربال الزمان في وفيات الأعيان، تحقيق : محمد ناجي زعبي العمر، د. ط، مطبعة زيد بن ثابت، (دمشق : ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).

ثانياً : المراجع العربية والمُعرَّبة :

- آرمسترونج، كارين :

١ـ سيرة النبيّ محمد (ﷺ)، ترجمة : فاطمة نصر، محمد عناني، ط٢، شركة سطور للنشر، دار اللواء للطباعة، (القاهرة : ١٩٩٨م).

- آق بيگ، عزَّة علي :

٢ـ قراءة في سيرة الحجاج بن يوسف الثقفي (٤٠ ـ ٩٥هـ)، د. ط، دار العراب للدراسات والنشر والترجمة، (دمشق : ٢٠١٦م).

- الأبطحي، محمد علي الموحّد الأصفهاني :

٣ـ تهذيب المقال في تنقيح كتاب الرجال، ط١، مطبعة سيد الشهداء (عليه السلام)، (قُم : ١٣١٢هـ).

- أحمد، لبيد إبراهيم وآخرون :

٤ـ الدولة العربية الإسلاميّة في العصر الأموي، ط١، المؤسسة اللبنانية للكتاب الأكاديمي، (بيروت : ٢٠١٤م).

- أحمد، محمد حلمي محمد :

٥ـ الخلافة والدولة في العصر الأموي، ط١، مكتبة الشباب الجامعي، (القاهرة : ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م).

- إسماعيل، عادل :

٦ـ المردائيون (المردة)، ط١، دار النشر للسياسة والتاريخ، (بيروت : ٢٠٠٠م).

- إسماعيل، محمود :

٧ـ الحركات السريّة في الإسلام، ط٥، مؤسسة الانتشار العربي، (بيروت : ١٩٩٧م).

٨ـ سوسيولوجيا الفكر الإسلامي ـ طور التكوين، ط٤، مؤسسة الانتشار العربي، (بيروت : ٢٠٠٠م).

- إمام، إمام عبد الفتاح :

٩ـ الطاغية ـ دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي، د. ط، سلسلة كتب عالم المعرفة، العدد ١٨٣، (الكويت : ١٩٩٤م).

- بحّاز، إبراهيم بن بكير وآخرون :

١٠ـ معجم أعلام الإباضيّة من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر ـ قسم المغرب الإسلامي، ط٢، دار الغرب الإسلامي، (بيروت : ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م).

- بدوي، أحمد زكي :

١١ـ معجم مصطلحات العلوم الاجتماعيّة، ط١، مكتبة لبنان، (بيروت : ١٩٨٢م).

- بروكلمان، كارل :

١٢ـ تاريخ الشعوب الإسلاميّة، نقله إلى العربية : نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، ط٥، دار العلم للملايين، (بيروت : ١٩٦٨م).

- بونوماريوف، ب. ن. :

١٣ـ القاموسي السياسي ـ مختارات، ترجمة واعداد : عبد الرزاق الصافي، ط١، مركز الطباعة الحديثة، (بيروت : ١٩٧٣م).

- بيضون، إبراهيم :

١٤ـ التوّابون، ط٢، دار التعارف للمطبوعات، (بيروت : ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م).

١٥ـ الحجاز والدولة الإسلاميّة ـ دراسة في اشكالية العلاقة مع السلطة المركزيّة في القرن الأول الهجري، ط١، المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنشر والتوزيع، (بيروت : ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).

١٦ـ من دولة عُمر إلى دولة عبد الملك ـ دراسة في تكوّن الإتجاهات السياسيّة في القرن الأول الهجري، ط٣، دار النهضة العربيّة للطباعة والنشر، (بيروت : ١٤١١هـ / ١٩٩١م).

١٧ـ ملامح التيارات السياسيّة في القرن الأول الهجري، د. ط، دار النهضة العربيّة للطباعة والنشر، (بيروت : ١٩٧٩م).

- تيرنر، براين :

١٨ـ علم الاجتماع والإسلام ـ دراسة نقدية لفكر ماكس فيبر، نقله إلى العربية : أبو بكر أحمد باقادر، ط١، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، (بيروت : ٢٠١٣م).

- الجراري، عباس :

١٩ـ في الشعر السياسي، ط٢، دار الثقافة للنشر والتوزيع، (الدار البيضاء : ١٩٨٢م).

- جعيط، هشام :

٢٠ـ الكوفة ـ نشأة المدينة العربية السلامية، ط١، مؤسسة الكويت للتقدّم العلمي ـ إدارة التأليف والترجمة، (الكويت : ١٩٨٦م).

- جفّال، خليل إبراهيم :

٢١ـ الخليفة عبد الملك بن مروان ـ الناقد الأديب، ط١، دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت : ١٤١١هـ / ١٩٩١م).

- الجنابي، ميثم :

٢٢ـ المختار والحركة المختاريّة ـ فلسفة التوبة والثأر، ط١، دار الجواهري، (بغداد : ٢٠١٠م).

- بن جنديل، سعد بن عبد الله :

٢٣ـ معجم الأمكنة الوارد ذكرها في صحيح البخاري، د. ط، دارة الملك عبد العزيز، (الرياض : ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م).

- الحاج، عبد الرحمن :

٢٤ـ الخطاب السياسي في القرآن ـ السلطة والجماعة ومنظومة القيم، ط١، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، (بيروت : ٢٠١٢م).

- ابن حثلين، سلطان بن خالد :

٢٥ـ الفقهاء والخلفاء ـ مواقف الفقهاء من السلطة السياسية في العهدين الأموي والعباسي الأول (٦٠ ـ ٢٤٥هـ)، ط١، دار عمّار للنشر والتوزيع، (عمّان : ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م).

- حركات، إبراهيم :

٢٦ـ السياسة والمجتمع في العصر النبوي، د. ط، منشورات دار الآفاق الجديدة، (المغرب : ١٩٩٠م).

- حسن، حسن إبراهيم :

٢٧ـ تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط١٤، دار الجيل، (بيروت : ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م).

- حسن، حسين الحاج :

٢٨ـ حضارة العرب في العصر الأموي، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، (بيروت : ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م).

- حسن، ناجي :

٢٩ـ القبائل العربية في المشرق خلال العصر الأموي (٤٠هـ / ٦٦٠م ـ ١٣٢هـ / ٧٤٩م)، ط١، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، (بيروت : ١٩٨٠م).

- بن حسين، بثينة :

٣٠ـ الدولة الأمويّة ومقوّماتها الإيديولوجيّة والاجتماعيّة، ط١، المطبعة الرسميّة للجمهوريّة التونسيّة، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانيّة، (سوسة : ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م).

٣١ـ الفتنة الثانية في عهد الخليفة يزيد بن معاوية (٦٠ ـ ٦٤هـ / ٦٨٠ ـ ٦٨٤م)، ط١، منشورات الجمل، (بيروت : ٢٠١٣م).

- الحكيم، سعاد :

٣٢ـ المعجم الصوفي ـ الحكمة في حدود الكلمة، مرجع الكتروني.

- الحلي، باسم :

٣٣ـ المختار الثقفي في ميزان الجرح والتعديل عند الفريقين، د. ط، دار الوارث للطباعة والنشر، (كربلاء : ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م).

- الحوفي، أحمد محمد :

٣٤ـ أدب السياسة في العصر الأموي، ط١، دار القلم، (بيروت : ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م).

- الخربوطلي، علي حسني :

٣٥ـ عبد الله بن الزبير، د. ط، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (القاهرة : د. ت).

٣٦ـ المختار الثقفي ـ مرآة العصر الأموي، د. ط، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مطبعة مصر، (القاهرة : ١٩٦٢م).

- الخريف، رشود بن محمد :

٣٧ـ معجم المصطلحات السكانية والتنموية، د. ط، مؤسسة الملك خالد الخيريّة، (الرياض : ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م).

- خليف، يوسف :

٣٨ـ حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة، ط٢، مطابع الهيئة المصريّة العامة للكتاب، (القاهرة : ١٩٩٥م).

- خمّاش، نجدة :

٣٩ـ الإدارة في العصر الأموي، ط١، دار الفكر، (دمشق : ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م).

- الداقوقي، إبراهيم :

٤٠ـ صورة الأتراك لدى العرب، ط١، مركز دراسات الوحدة العربيّة، (بيروت : ٢٠٠١م).

- الدجيلي، أحمد :

٤١ـ المختار الثقفي، د. ط، منشورات مكتبة النجاح / ٦، مطبعة النجف، (النجف : ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م).

- دكسن، عبد الأمير عبد حسين :

٤٢ـ الخلافة الأموية (٦٥ ـ ٨٦هـ / ٦٨٤ ـ ٧٠٥م) دراسة سياسية، ط١، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (بيروت : ١٩٧٣م).

- دلّو، برهان الدين :

٤٣ـ مساهمة في إعادة كتابة التاريخ العربي ـ الإسلامي، ط٢، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، (الجزائر : ٢٠٠١م).

- دهمان، أحمد علي :

٤٤ـ عبيد الله بن الحُر الجُعفي ـ بين أناشيد البطولة وآلام الندم ـ دراسة نقديّة، ط١، منشورات اتحاد الكتاب العرب، (دمشق : ٢٠٠٢م).

- دوزي، رينهارت :

٤٥ـ تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية وعلّق عليه : محمد سليم النعيمي، د. ط، دار الرشيد للنشر، سلسلة المعاجم والفهارس / ٣٢، (بغداد : ١٩٨٠م).

- راينو، فيليب :

٤٦ـ ماكس فيبر ومفارقات العقل الحديث، ترجمة وتقديم : محمد جديدي، ط١، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث ـ كلمة، منشورات الاختلاف، (أبو ظبي، الجزائر : ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م).

- رحال، عاطف :

٤٧ـ تاريخ بلاد الشام الاقتصادي في العصر الأموي، ط١، بيسان للنشر والتوزيع والإعلان، (بيروت : ٢٠٠٠م).

- عبد الرحمن، إبراهيم :

٤٨ـ عبيد الله بن قيس الرقيات ـ حياته وشعره، د. ط، دار المعارف، (القاهرة : ١٩٨٦م).

- الرشيد، عبد الله محمد :

٤٩ـ القيادة العسكريّة في عهد الرسول (ﷺ)، ط١، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، (دمشق : ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م).

- الريس، محمد ضياء الدين :

٥٠ـ عبد الملك بن مروان والدولة الأمويّة، ط٢، مطابع سجل العرب، (القاهرة : ١٩٦٩م).

- الرَّيْشهري، محمد :

٥١ـ القيادة في الإسلام، تعريب : علي الأسدي، ط١، دار الحديث، (قُم : ١٤١٧هـ).

- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني :

٥٢ـ تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق : عبد الفتاح الحلو وآخرون، ط١، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، (الكويت : ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م).

٥٣ـ التكملة والذيل والصلة لِما فات صاحب القاموس من اللغة، تحقيقي : مصطفى حجازي، مراجعة : مهدي علام، ط١، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، (القاهرة : ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).

- الزحيلي، وهبة :

٥٤ـ سعيد بن المسيِّب ـ سيد التابعين (١٥ ــ ٩٤هـ)، ط٥، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، (دمشق ـ بيروت : ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).

- سالم، السيد عبد العزيز :

٥٥ـ تاريخ الدولة العربيّة، د. ط، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، (الاسكندريّة : د. ت).

- السامرائي، عبد الجبّار محسن عباس :

٥٦ـ الدولة العربية الإسلامية في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥ ــ ٨٦هـ / ٦٨٤ ــ ٧٠٥م) دراسة في إصلاحاتها المالية وتنظيماتها الإدارية، ط١، دار دجلة للنشر والتوزيع، (عمّان : ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م).

- سرور، محمد جمال الدين :

٥٧ـ الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية خلال القرنين الأول والثاني بعد الهجرة، د. ط، دار الفكر العربي، دار الثقافة العربية للطباعة، (القاهرة : ١٩٦٠م).

- سلطان، عبد المنعم عبد الحميد :

٥٨ـ آل المهلب في المشرق الإسلامي ودورهم السياسي والحربي حتى سقوط الدولة الأموية، ط١، دار نشر الثقافة، (الاسكندرية : ١٩٩٠م).

- سمار، سعد عبود :

٥٩ـ من تاريخ القبائل اليمنية في الجاهلية والإسلام، ط١، دار تموز، (دمشق : ٢٠١٤م).

- السيد، رضوان :

٦٠ـ الجماعة والمجتمع والدولة ـ سُلطة الأيديولوجيا في المجال السياسي العربي الإسلامي، ط٢، دار الكتاب العربي، (بيروت : ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م).

٦١ـ مفاهيم الجماعات في الإسلام ـ دراسات في السوسيولوجيا التاريخيّة للاجتماع العربي الإسلامي، ط١، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، (بيروت : ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م).

- شتراوس، كلود ليفي :

٦٢ـ العِرْق والتاريخ، ترجمة : سليم حداد، د. ط، المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنشر والتوزيع، (بيروت : د. ت).

- الشريدة، خالد سليمان :

٦٣ـ حديث جديد في : يزيد بن معاوية (٢٦ ـ ٦٤هـ / ٦٤٦ ـ ٦٨٣م)، د. ط، عماد الدين للنشر والتوزيع، (عمّان : ٢٠١١م).

- الشريف، أحمد إبراهيم :

٦٤ـ دور الحجاز في الحياة السياسيّة العامّة في القرنين الأول والثاني للهجرة، ط١، دار الفكر العربي، (القاهرة : ١٩٦٨م).

- شريف، محمد بديع :

٦٥ـ الصراع بين الموالي والعرب ـ بحث في حركة الموالي ونتائجها في الخلافة الشرقيّة، د. ط، دار الكتاب العربي، (القاهرة : ١٩٥٤م).

- شعبان، محمد عبد الحي محمد :

٦٦ـ صدر الإسلام والدولة الأمويّة ٦٠٠ ـ ٧٥٠م (١٣٢هـ)، د. ط، الأهليّة للنشر والتوزيع، (بيروت : ١٩٨٧م).

- الصدفي، رزق الله منقريوس :

٦٧ـ تاريخ دول الإسلام، د. ط، مطبعة الهلال، (القاهرة : ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م).

- صفوت، أحمد زكي :

٦٨ـ جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ـ العصر الأموي، ط١، المكتبة العلميّة، (بيروت : ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م).

- طشطوش، هايل عبد المولى :

٦٩ـ أساسيات في القيادة والإدارة ـ النموذج الإسلامي في القيادة والإدارة، ط١، دار الكندي للنشر والتوزيع، (إربد : ٢٠٠٨م).

- الطيّب، عبد الجواد :

٧٠ـ أبو صخر الهذلي، ط١، منشورات جامعة الفاتح، (ليبيا : ١٩٨٠م).

٧١ـ هذيل في جاهليتها وإسلامها، د. ط، الدار العربية للكتاب، (ليبيا ـ تونس : ١٩٨٢م).

- العازمي، موسى راشد مبارك :

٧٢ـ السّيرة العمريّة ـ دراسة محققه لسيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ط٢، دار الصميعي للنشر والتوزيع، (الرياض : ١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م).

- عاقل، نبيه :

٧٣ـ خلافة بني أميّة، ط٣، دار الفكر، (دمشق : ١٣٩٤هـ / ١٩٧٥م).

- العاملي، جعفر مرتضى :

٧٤ـ علي (عليه السلام) والخوارج، ط٢، المركز الإسلامي للدراسات، (بيروت : ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م).

- العاملي، محمود عباس :

٧٥ـ وقعة صفّين، د. ط، دار الفكر، (بيروت : ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م).

- العبدولي، بنّاجي :

٧٦ـ قبيلة كندة في صدر الإسلام والدولة الأمويّة، ط١، دار حضرموت للدراسات والنشر، (حضرموت : ٢٠١٠م).

- عدَّاي، حسين حسن :

٧٧ـ الحرب النفسية ـ منذ بداية الدعوة الإسلامية حتى نهاية العصر الأموي، ط١، دار النوادر، (دمشق ـ بيروت : ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م).

- العش، يوسف :

٧٨ـ الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهّدت لها ابتداءً من فتنة عثمان، ط٢، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، (دمشق : ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م).

- عطوان، حسين :

٧٩ـ الأمويون والخلافة، ط١، دار الجيل، (بيروت : ١٩٨٦م).

- العقيلي، عمر سليمان :

٨٠ـ يزيد بن معاوية ـ حياته وعصره، ط١، دار العلوم، (الرياض : ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م).

- العلي، صالح أحمد :

٨١ـ الكوفة وأهلها في صدر الإسلام ـ دراسة في أحوالها العمرانية وسكانها وتنظيماتهم، ط١، شركة المطبوعات والتوزيع والنشر، (بيروت : ٢٠٠٣م).

- علي، محمد كرد :

٨٢ـ الإدارة الإسلامية في عز العرب، د. ط، مؤسسة هنداوي، (لندن : ٢٠١٤م).

- العليمي، أحمد محمد :

٨٣ـ مرويات غزوة بدر، ط١، مكتبة طيبة، (المدينة المنورة : ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م).

- عمارة، محمد :

٨٤ـ قاموس المُصطلحات الاقتصاديّة في الحضارة الإسلاميّة، ط١، دار الشروق، (بيروت ـ القاهرة : ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م).

- عمر، أحمد مختار وآخرون :

٨٥ـ معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١، عالم الكتب ـ نشر ـ توزيع ـ طباعة، (القاهرة : ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م).

- العميدي، ثامر هاشم :

٨٦ـ المهدي المنتظر في الفكر الإسلامي، ط٢، مركز الرسالة، (قُم : ١٤٢٥هـ).

- الغزي، سالم لذيذ والي :

٨٧ـ شخصيّة المختار الثقفي عند المؤرخين القدامى، ط١، العتبة الحسينية المقدَّسة، قسم الشئون الفكرية والثقافية / ١٥٨، (كربلاء : ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م).

- الغنيم، إبراهيم بن عبد الرحمن :

٨٨ـ الصور الفنيّة في الشعر العربي، ط١، الشركة العربية للنشر والتوزيع، (القاهرة : ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م).

- عبد الفتاح، صفاء حافظ :

٨٩ـ ضياع بني أميّة في عصر الخلافة (٤١ ـ ١٣٢هـ / ٦٦١ ـ ٧٥٠م)، د. ط، د. مط، (القاهرة : ١٩٩١م).

- فتحي، إبراهيم :

٩٠ـ معجم المصطلحات الأدبيّة، ط١، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، طبع التعاضديّة العماليّة للطباعة والنشر، (صفاقس / تونس : ١٩٨٦م).

- فلهوزن، يوليوس :

٩١ـ أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام ـ الخوارج والشيعة، ترجمه عن الألمانية : عبد الرحمن بدوي، ط٢، وكالة المطبوعات، (الكويت : ١٩٧٦م).

٩٢ـ تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأمويّة، نقله عن الألمانيّة وعلَّق عليه : محمد عبد الهادي أبو ريده، راجع الترجمة : حسين مؤنس، ط٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة : ١٩٦٨م).

- فلوتن، فان :

٩٣ـ أبحاث في السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات المهدويّة في ظل خلافة بني أميّة، ترجمة : إبراهيم بيضون، ط٢، المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنشر والتوزيع، (بيروت : ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).

- فوزي، فاروق عمر :

٩٤ـ التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين ـ دراسات نقديّة في تفسير التاريخ، ط٢، مكتبة النهضة، طبع دار آفاق عربية للصحافة والنشر، (بغداد : ١٩٨٥م).

٩٥ـ الخلافة الأموية ـ دراسة لأول أسرة حاكمة في الإسلام (٤١ ـ ١٣٢هـ / ٦٦١ ـ ٧٥٠م)، ط١، دار الشروق للنشر والتوزيع، (عمّان : ٢٠٠٩م).

- فيّاض، نبيل :

٩٦ـ التاريخ النصّي لتدوين القرآن / ٣ ـ فروقات المصاحف (مُصحف أُبيّ بن كعب)، ط١، دار أبكالو، (ميونخ : ٢٠١٩م).

- فيبر، ماكس :

٩٧ـ الاقتصاد والمجتمع ـ السيادة، ترجمة : محمد تركي، ط١، المنظمة العربية للترجمة، (بيروت : ٢٠١٥م).

- فيصل، شكري :

٩٨ـ حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول ـ دراسة تمهيديّة لنشأة المجتمعات الإسلاميّة، ط٢، دار العلم للملايين، (بيروت : ١٩٦٧م).

- القاضي، وداد :

٩٩ـ الكيسانيّة في التاريخ والأدب، د. ط، دار الثقافة، (بيروت : ١٩٧٤م).

- قلعه جي، محمد رواس :

١٠٠ـ معجم لغة الفقهاء، ط٣، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت : ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م).

- كاهن، كلود :

١٠١ـ تاريخ العرب والشعوب الإسلاميّة منذ ظهور الإسلام حتى بداية الامبراطورية العثمانية، نقله إلى العربية : بدر الدين القاسم، ط١، دار الحقيقة للطباعة والنشر، (بيروت : ١٩٧٢م).

- كريمر، فون :

١٠٢ـ الحضارة الإسلاميّة ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبيّة، تعريب : مصطفى طه بدر، تعليق : خدا بخش، د. ط، دار الفكر العربي، (القاهرة : ١٩٤٧م).

- كونسلمان، جرهارد :

١٠٣ـ سُطُوع نجم الشيعة، ترجمة : محمد أبو رحمة، ط٢، مكتبة مدبولي، (القاهرة : ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م)

- لانج، دو :

١٠٤ـ الكاريزما، ط١، مكتبة جرير، (الرياض : ٢٠١١م).

- عبد اللطيف، عبد الشافي محمد :

١٠٥ـ العالم الإسلامي في العصر الأموي (٤١ ـ ١٣٢هـ / ٦٦١ ـ ٧٥٠م) دراسة سياسية، ط١، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، (القاهرة : ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م).

- لويس، برنارد :

١٠٦ـ أصول الإسماعيلية ـ بحث تاريخي في نشأة الخلافة الفاطمية، ترجمة : خليل أحمد جَلّو، جاسم محمد الرّجب، ط١، المركز الأكاديمي للأبحاث، (بيروت : ٢٠١٧م).

- ماجد، عبد المنعم :

١٠٧ـ التاريخ السياسي للدولة العربية ـ عصر الخلفاء الأمويين، د. ط، مكتبة الأنجلو المصرية، (القاهرة : د. ت).

- مبارك، زهير فريد :

١٠٨ـ أصول الاستبداد العربي، ط١، الانتشار العربي، (بيروت : ٢٠١٠م).

- محمد، سراج الدين :

١٠٩ـ الفخر في النثر العربي، د. ط، دار الراتب الجامعي، (بيروت : د. ت).

- مدكور، إبراهيم وآخرون :

١١٠ـ المعجم الوجيز، ط١، مجمع اللغة العربية، مطابع الدار الهندسية، (القاهرة : ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م).

١١١ـ المعجم الوسيط، ط٣، مجمع اللغة العربية، مطابع الدار الهندسية، (القاهرة : ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).

- المقحفي، إبراهيم :

١١٢ـ معجم البلدان والقبائل اليمنية، ط٥، مكتبة الجيل الجديد، (صنعاء : ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م).

- المقداد، محمود :

١١٣ـ الموالي ونظام الولاء ـ من الجاهلية إلى أواخر العصر الأموي، ط١، دار الفكر، (دمشق : ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م).

- المناف، جميل كاظم :

١١٤ـ القيادة والأزمة الحضاريّة، ط١، دار الحريّة للطباعة، (بغداد : ١٩٨٠م).

- ناصف، مصطفى :

١١٥ـ الصورة الأدبيّة، ط١، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت : ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م).

- نبهان، يحيى محمد :

١١٦ـ معجم مصطلحات التاريخ، ط١، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، (عمّان : ٢٠٠٨م).

- النجّار، محمد الطيّبْ :

١١٧ـ الموالي في العصر الأموي، ط١، دار النيل للطباعة، (القاهرة : ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م).

- بالنور، إيمان علي :

١١٨ـ دور الموالي في سقوط الدولة الأمويّة (٤١ ـ ١٣٢هـ / ٦٦١ ـ ٧٥٠م)، ط١، منشورات جامعة قاريونس، (بنغازي : ٢٠٠٨م).

- عبد الهادي، عبد الله نبيل علي :

١١٩ـ الأمويون والفقهاء (٤١ ـ ١٣٢هـ / ٦٦١ ـ ٧٥٠م) دراسة سياسية، ط١، مكتبة ومطبعة الغد، (القاهرة : ٢٠١٩م).

- هاوس، بيتر نورث :

١٢٠ـ القيادة الإداريّة، ترجمة : صلاح بن معاذ المعيوف، ط٢، معهد الإدارة العامة ـ مركز البحوث والدراسات، (الرياض : ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م).

- يونس، عمّار محمد :

١٢١ـ مقال في تحليل النص التاريخي، ط١، مؤسسة دار الصادق الثقافيّة، (بابل : ٢٠٢٣م).

ثالثاً : الرسائل والأطاريح :

- إبراهيم، حليمة محمد :

١ـ دراسة العصر الأموي من خلال رسائل الخلفاء إلى ولاتهم (٤١هـ ـ ١٣٢هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية / ابن رشد، (جامعة بغداد : ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م).

- الجابري، سوسن عباس حسين :

٢ـ الموالي في العراق ـ دراسة في أحوالهم العامّة حتى سنة ١٣٢هـ، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، (جامعة كربلاء : ١٤٤٠هـ / ٢٠١٨م).

- جاسم، خالد أحمد خلف :

٣ـ مؤتمر الجابيّة ـ دراسة في التطوّرات السياسيّة في العصر الأموي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، (جامعة الموصل : ١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م).

- الجبوري، إسماعيل احجاب عبد الرحمن :

٤ـ الدور السياسي لأهل اليمن في الشام في عهد الخليفتين مروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان (٦٤ ـ ٨٦هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، (جامعة الموصل : ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م).

- الجبوري، نصير بهجت فاضل :

٥ـ قبيلة تميم ودورها خلال العصر الأموي (٤١ ـ ١٣٢هـ / ٦٦١ ـ ٧٤٩م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، (جامعة بغداد : ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م).

- الجنابي، أحلام سلمان علي :

٦ـ أراضي الصوافي في الدولة العربية الإسلاميّة حتى عام ١٣٢هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، (الجامعة المستنصريّة : ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م).

- الجوير، إدريس عبد النبي حامد محمد :

٧ـ السياسة الأمنية للدولة الأمويّة منذ قيامها حتى وفاة الوليد بن عبد الملك وآثارها على الأوضاع الداخلية، (٤٠ ـ ٩٦هـ / ٦٦٠ ـ ٧١٤م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، (جامعة الفاتح : ٢٠٠٩م).

- حسون، نجاح عبيد :

٨ـ مالك الأشتر ـ سيرته والحضارة الإسلاميّة في عصره، أطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة سانت كليمينتس : ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م).

- بن حسين، رضا :

٩ـ الجزيرة الفراتية وعلاقتها بالخلافة والأمصار، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، (الجامعة التونسية : ١٩٩٢م).

- الحصموتي، حسن محمد جاسم غياض :

١٠ـ حركات المُعارضة السياسية في العصر الأموي في كُتُب أنساب الطالبيين ـ دراسة مقارنة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، (جامعة القادسية : ١٤٤٢هـ / ٢٠٢٠م).

- عبد الحميد، العابد :

١١ـ دور القبائل اليمنيّة في نشأة التشيّع والمعارضة الشيعيّة من تمصير الكوفة إلى وقعة عين الوردة (١٧ ـ ٦٥هـ / ٦٣٧ ـ ٦٨٤م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، (جامعة باتنة /١ : ١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م).

- الخراشي، عبد الله بن عثمان :

١٢ـ عبد الله بن الزبير والأمويون، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، (جامعة الملك سعود : ١٤٠٨هـ).

- الخشخشي، خالد راسم أمير كاظم :

١٣ـ حركة التوّابين (٦١ ـ ٦٥هـ / ٦٨٠ ـ ٦٨٤م) دراسة تاريخيّة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، (جامعة بابل : ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م).

- الخوالدة، محمد أحمد ضاعن :

١٤ـ تطوّر الخطابة في ظل التنافس السياسي في العصر الأموي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البحث العلمي والدراسات العليا، (جامعة فيلادلفيا : ٢٠١٦م).

- ذوقان، وجيه لطفي طالب :

١٥ـ ولاية العهد في العصر الأموي (٤١ ـ ١٣٢هـ / ٦٦١ ـ ٧٥٠م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، (جامعة النجاح الوطنيّة : ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م).

- الراوي، قصي أسعد عبد الحميد :

١٦ـ آل الزبير ودورهم في الدولة العربية الإسلاميّة حتى منتصف القرن الثالث الهجري، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية / ابن رشد، (جامعة بغداد : ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م).

- أبو زبيدة، فريال محمد :

١٧ـ أشراف القبائل في البصرة والكوفة خلال العهدين الراشدي والأموي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، (جامعة الفاتح : ٢٠٠٢م).

- الشريفي، حيدر حسين حمزة سلمان :

١٨ـ الأوضاع السياسية في العراق والحجاز بين الأعوام (٦٠ ـ ٦٥هـ / ٦٧٩ ـ ٦٨٤م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، (جامعة بابل : ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م).

- أبو الشعر، هند غسان :

١٩ـ حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي في الكوفة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، (الجامعة الأردنيّة : ١٩٨٠م).

- صالح، عذراء كاظم :

٢٠ـ روادف الكوفة ودورهم بالأحداث العسكرية والسياسية (١٧ ـ ٨٤هـ / ٦٣٨ ـ ٧٠٣م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانيّة، (جامعة كربلاء : ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م).

- صديق، أسامة محمد فهمي :

٢١ـ أثر القبائل اليمنيّة في الشام في العصر الأموي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، (جامعة المنيا : ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م).

- صيّاح، رحيم محمد :

٢٢ـ الفيء والخمس في الفكر الاقتصادي الإسلامي ـ دراسة تاريخية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، (جامعة بغداد : ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م).

- الطائي، ميثم عبيد جواد :

٢٣ـ صورة الإمام علي (عليه السلام) في مرويات المفسرين من الموالي ـ الصحابة إنموذجاً، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانيّة، (جامعة كربلاء : ١٤٤١هـ / ٢٠١٩م).

- عاشور، علي عناد :

٢٤ـ حركات المعارضة في الدولة العربية الإسلامية بين (١١ ـ ٣٢٢هـ / ٦٣٣ ـ ٩٣٤م) من خلال كتاب العقد الفريد لأبن عبد ربه الأندلسي ـ دراسة تحليلية ومقارنة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، (جامعة القادسية : ١٤٤٠هـ / ٢٠١٨م).

- العاني، إسراء حسن فاضل :

٢٥ـ دور المرأة السياسي حتى نهاية العصر الأموي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية / ابن رشد، (جامعة بغداد : ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م).

- عرفة، ثريا حافظ :

٢٦ـ الحياة الاقتصاديّة في بلاد الشام في العصر الأموي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلاميّة، (جامعة أم القرى : ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م).

- العصيمي، عباس بن غالب نجران :

٢٧ـ قبيلة هوازن ـ نسبها ودورها السياسي والاجتماعي حتى نهاية العصر الأموي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي، (جامعة أم درمان الإسلاميّة : ٢٠١٠م).

- بن فرج، لطفي :

٢٨ـ القيسيّة في القرنين الأول والثاني للهجرة، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، (الجامعة التونسيّة : ٢٠٠٠م).

- فرج الله، محمد فتحي عبد الجواد :

٢٩ـ القيادة في ضوء القرآن الكريم ، محمد (ﷺ) نموذجاً، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإسلاميّة، (جامعة المدينة العالميّة : ١٤٣٨هـ / ٢٠١٦م).

- القبلان، قبلان الحمد :

٣٠ـ عبد الله بن الزبير ـ حركته وخلافته، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، (جامعة بغداد : ١٩٧٣م).

- محمد، رغداء حسين :

٣١ـ حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي وأبعادها السياسيّة والفكريّة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، (جامعة الكوفة : ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م).

- موسى، فاطمة :

٣٢ـ وقعة مرج راهط ٦٤هـ / ٦٨٤م (دراسة في الرواة والمؤرخين من القرن ٢ ـ ٤هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، (جامعة بيرزيت : ٢٠١٣م).

- ميحاط، حواء عبد السلام :

٣٣ـ آل المهلَّب ودورهم في الدولة الأمويّة (٤٠ ـ ١٠٢هـ / ٦٦٠ ـ ٧٢٠م) دراسة في دورهم السياسي وأثرهم العسكري والأدبي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم، (جامعة المرقب : ٢٠٠٩م).

- هادي، خضير نعمة :

٣٤ـ الحياة السياسيّة والاداريّة في الحجاز في العصر الأموي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، (جامعة بغداد : ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م).

- يونس، عبد سلمان عبد :

٣٥ـ دور القيادة العسكريّة في تحقيق الانتصارات في العصر الراشدي (١١ ـ ٤٠هـ / ٦٣٤ ـ ٦٧٤م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، (الجامعة الإسلاميّة : ١٤٤٤هـ / ٢٠٢٣م).

رابعاً : الأبحاث والدوريات :

- الأصيبعي، محمد إبراهيم :

١ـ التطرّف الديني (المفهوم، الأسباب، المظاهر، المعالجات)، مجلة الجامعة الأسمريّة، السنة الأولى، مج٢، العدد٢، (ليبيا : ٢٠٠٣م).

- بدوي، عبد الرحمن :

٢ـ أبحاث المستشرقين في مصنفات التاريخ الإسلامي بعد العصر العباسي، مجلة عالم الفكر، مج٨، العدد٢، (الكويت : ١٩٧٧م).

- الخزرجي، ماجد عبد زيد أحمد :

٣ـ نص رسالة عبد الله بن أباض لعبد الملك بن مروان ـ دراسة في مضامينها وأبعادها، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، مج٢٨، العدد٢، (جامعة بابل : ٢٠٢٠م).

- خطّاب، أدهام فاضل :

٤ـ موقف بجيلة من حركات المعارضة في الكوفة (٦٠ ـ ٦٧هـ / ٦٧٩ ـ ٦٨٦م)، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعيّة، ج٣، العدد٣٠، (جامعة واسط : ٢٠١٨م).

- خطّاب، أدهام فاضل وعبد، فاضل غزاي :

٥ـ زفر بن الحارث الكلابي ودوره في أحداث عصره، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسيّة، مج٨، العدد٤، (جامعة الموصل : ٢٠٠٩م).

- الدوري، عبد العزيز :

٦ـ الديموقراطية في فلسفة الحُكم العربي، مجلة المُستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، مج٢، العدد٩، (بيروت : ١٩٧٩م).

- دونر، فرد :

٧ـ تكوّن الدولة الإسلاميّة، ضمن سلسلة أبحاث : الدولة الإسلاميّة " المثال والواقع "، مجلة الجمعيّة الأمريكيّة للدراسات الشرقيّة، مج١٠٦، (جامعة ييل : ١٩٨٢م).

- الراميني، عرسان :

٨ـ أدب الأمويين بين دعوى جبرية الخليفة وقداسته، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، مج٢٧، العدد٢ (ب)، (جامعة اليرموك / إربد : ٢٠١١م).

- أبو الرب، هاني :

٩ـ رجاء بن حيوة الكندي ودوره في الحياة العامة في الدولة الأمويّة، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد٣٥ (١)، (جامعة القدس المفتوحة : ٢٠١٥م).

١٠ـ السجون في الحجاز في صدر الإسلام، مجلة المجمع، كلية التربيّة، العدد٨، (جامعة القدس المفتوحة : ٢٠١٤م).

- سمار، سعد عبود :

١١ـ إبراهيم بن الأشتر النخعي، مجلة كلية التربيّة، العدد١، (الجامعة المستنصريّة : ١٩٩٩م).

١٢ـ قبائل مذحج ـ مواقفهم وإسهاماتهم في أحداث العصر الأموي، مجلة جامعة ذي قار، مج٤، العدد٣، (جامعة ذي قار : ٢٠٠٨م).

- السيد، رضوان :

١٣ـ التدوين والفقه والدولة ـ نظرات في نشوء الفقه الإسلامي، مجلة الاجتهاد، دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، العدد٢، (بيروت : ١٩٨٩م).

- السيد، السيد طه :

١٤ـ إمارة المغيرة بن شعبة الثقفي على الكوفة (٢١ ـ ٢٤هـ، ٤١ ـ ٥٠هـ)، مجلة كلية الآداب / قنا، مج١، العدد١، (جامعة أسيوط : ١٩٩١م).

- صالح، نشتيمان علي :

١٥ـ أثر انتقال الخلافة على الحجاز، مجلة واسط للعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، مج٤٦، العدد٣، (جامعة واسط : ٢٠٢٢م).

- الصرايرة، سليمان سالم :

١٦ـ محمد بن الحنفيّة ومواقفه في تاريخ الدولة العربيّة الإسلاميّة، مجلة دراسات العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، مج٤٣، العدد١، (الجامعة الأردنيّة : ٢٠١٦م).

١٧ـ النّعمان بن بشير الأنصاري ومواقفه في تاريخ صدر الإسلام والدولة والأمويّة، مجلة كلية اللغة العربية / القاهرة، مج٤٠، العدد١، (جامعة الأزهر : ٢٠٢٢م).

- طلفاح، مضر عدنان :

١٨ـ عمرو بن سعيد الأشدق ودوره في الدولة الأمويّة (٥٠ ـ ٧٠هـ / ٦٧٠ ـ ٦٨٩م)، المجلة الأردنيّة للتاريخ والآثار، مج٦، العدد١، (الجامعة الأردنيّة : ٢٠١٢م).

- عثمان، عبد الستار عبد الوهاب أيوب :

١٩ـ صفات خلفاء بني أميّة الخِلْقيّة والخُلُقيّة وأثرها في السياسة الداخليّة، مجلة كلية اللغة العربية، العدد٢٧، (جامعة السلطان عبد الحليم معظّم شاه الإسلاميّة العالميّة : ٢٠٢٢م).

- العجمي، عبد الهادي :

٢٠ـ قراءة في تطور الصورة التاريخيّة لعمر بن عبد العزيز (٩٩ ـ ١٠١هـ / ٧١٧ ـ ٧١٩م) وأبعاد تشكّلها، مجلة اتحاد الجامعات العربيّة للآداب، كلية الآداب، مج١١، العدد٢ (ب)، (جامعة اليرموك : ٢٠١٤م).

- العزّام، طارق محمد :

٢١ـ روح بن زنباع الجذامي ودوره في دعم الخلافة الأمويّة، مجلة اتحاد الجامعات العربيّة للآداب، كلية الآداب، مج٨، العدد٢ (ج)، (جامعة اليرموك : ٢٠١١م).

- العميري، سماهر محي موسى :

٢٢ـ قبيلة السكاسك ودورهم في التاريخ العربي الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي، مجلة جامعة ديالى، العدد٣٥، (جامعة ديالى : ٢٠٠٩م).

- لازم، نهلة عبار :

٢٣ـ عبيد الله بن الحر الجعفي ـ دراسة تاريخيّة في سيرته الشخصيّة، مجلة آداب البصرة، العدد٨٨، (جامعة البصرة : ٢٠١٩م).

- عبد المجيد، ماجدة عمران :

٢٤ـ الخطاب السياسي عند الخوارج خلال القرن الأول الهجري ـ دراسة تاريخيّة، المجلة الأردنيّة للتاريخ والآثار، مج١٦، العدد١، (الجامعة الأردنيّة : ٢٠٢٢م).

- محمد، آمال عبد المنعم أحمد :

٢٥ـ مسرح الشارع في إيران، مجلة كلية الآداب، اللغويات والثقافات المقارنة، مج١٥، العدد١، (جامعة الفيّوم : ٢٠٢٣م).

- مريكب، محمد زين العابدين محمد :

٢٦ـ قبيلة بني النخع اليمنية ودورها السياسي والحضاري منذ ظهور الإسلام وحتى نهاية العصر الأموي، مجلة المؤرخ المصري، قسم التاريخ، كلية الآداب، العدد٥٧، ج٢، (جامعة القاهرة : ٢٠٢٠م).

- يونس، عمّار محمد :

٢٧ـ أضواء على نشأة القدريَّة، مجلة جامعة كربلاء العلميّة، مج٤، العدد٢، (جامعة كربلاء : ٢٠٠٦م).

٢٨ـ محاضرة ألقيت على طلبة الدراسات العليا (الدكتوراه)، قسم التاريخ، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة كربلاء، بتاريخ ١ / ١٢ / ٢٠٢١م.

المستخلص العربي

يتصف مفهوم القيادة كونه ذو جذر عميق يتصل بطبيعة الإنسان منذ القِدَم، وما من جماعة إلَّا ويتوجب أن يكون لها زعيم أو قائد. والقيادة تُعتبر من أبرز العوامل المؤثرة في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وكذلك العسكرية لكافة المجتمعات الإنسانيّة. إذ تُعد القيادة العنصر الموجّه للسلوك والجهد الإنساني في غالبية بقاع الأرض، وعبر مُختلف المراحل الزمنية التي مرَّت بها الدول والأمم.

ففي التاريخ المُبكّر للإسلام، أدَّت القيادة وطبيعة علاقتها بالجماهير دوراً واضحاً في حسم الكثير من المواقف. مما جعل من مفهوم القيادة محوراً يحتمل توجهات أيديولوجية مختلفة، لا من حيث الزعامات فحسب، وإنمَّا من جهة الماهيَّة القيادية ونمطيتها في العمل على أرض الواقع أيضا.

لذلك وجد بعض الفلاسفة وعلماء الاجتماع في العصر الحديث، الضرورة اللازمة لدراسة مفهوم القيادة وماهيتها، وطرق الهيمنة وسلوكياتها عبر التاريخ، منهم : **ماكس فيبر** (١٨٦٤ ـ ١٩٢٠م)، إذ وضع نظرية في السوسيولوجيا السياسية وأشكال الهيمنة (السلطة)، وميَّز من خلالها بين ثلاثة أنماط من الهيمنة المشروعة :

١/ هيمنة قانونية : وتعتمد على الإيمان بشرعيّة القواعد المقررة، وإجراءات سَنْ وتطبيق تلك القواعد.

٢/ هيمنة تقليدية : وتعتمد على العادات والتقاليد، والإيمان بشرعيّة الممارسات المعيارية والمقدسّة.

٣/ هيمنة كاريزمية (ملهمة) : تمتاز بعدم ثباتها واستقرارها، ولا تدين بالطاعة للقواعد (القانونية ، التقليدية)، بل لشخص له نوع من القداسة والبطولة وشيء من الخصال النادرة (المثالية).

وجاءت الدراسة الموسومة : **صورة العلاقة بين القيادة والقاعدة في الشام والكوفة والحجاز (٦٥ ـ ٧٧هـ / ٦٨٤ ـ ٦٩٦م) دراسة تحليلية.** لتعبر عن هدف الدراسة.

وتم تقسيم الدراسة إلى تمهيد وثلاثة فصول، ففي التمهيد تم تعريف ثلاثة من كلمات العنوان، هي : الصورة ـ القيادة ـ القاعدة، لغوياً واصطلاحياً، وجاء الفصل الأول : لدراسة القيادة الحاكمة وأنموذجها عبد الملك بن مروان، ذلك عبر تقسيم الفصل إلى أربعة مطالب، كل مطلب يختص بدراسة جانب من جوانب الشخصيّة القيادية المدروسة. وخصص الفصل الثاني : لدراسة القيادة المعارضة وأنموذجها المختار الثقفي، وخلال هذا الفصل تم توضيح طبيعة هذه القيادة وعلاقاتها بالحدث والذات، عبر أربعة من المطالب. أمَّا الفصل الثالث والأخير : من الدراسة فقد تناول شخصيّة قيادية التي انتقلت من المعارضة إلى الحكم، والمُتمثلة بعبد الله بن الزبير، وافرد له اربعة مطالب، للحديث عن طبيعة تلك العلاقة التي اتسمت بها قيادته مع القاعدة وباقي القيادات المعاصرة.

ورغم الصعوبات التي رافقت سير البحث، كصعوبة الحصول على المعلومة التي تتوافق وهدف البحث المرسوم، إلا أن النتائج التي خلص إليها العمل، جاءت معبرة عن طبيعة تلك العلاقة ما بين نظرية السيادة الفيبريّة والقيادات المُختارة كهدف للدراسة، ذلك بما قدمته مختلف المصادر والمراجع المثبتة في آخر الدراسة، والنتائج المستخلصة.

ABSTRACT

The concept of leadership is deeply rooted in the nature of man from ancient times, and no group should have no leader. Leadership is one of the most important factors affecting the political, economic, social and military life of all human societies. Leadership is considered the guiding element of human behavior and effort in most parts of the world, and across the various stages of time that states and nations have gone through.

In the early history of Islam, the leadership and the nature of its relationship with the masses played a clear role in determining many situations. This has made the concept of leadership a potential axis of different ideological orientations, not only in terms of leaders, but also in terms of its essence and its style of action on the ground.

Therefore, some philosophers and social scientists in the modern era have found the necessity to study the concept of leadership and its identity, the methods of domination and its behavior throughout history, including **Max Weber** (1864-1920 A.D.), who developed a theory in political sociology and forms of domination (power), and distinguished through them three types of legitimate domination:

1/ Legal dominance: Depends on the belief in the legitimacy of the established rules, and the procedures for enacting and applying those rules.

2/ traditional domination: Depends on customs and traditions, and belief in the legitimacy of normative and sacred practices.

3/ charismatic dominance (inspiring): Characterized by lack of stability, and does not owe obedience to the rules (legal, traditional), but to a person with a kind of holiness and heroism and something of rare (ideal) qualities.

The study titled: **The image of the relationship between the leadership and the base in Sham, Kufa and Hijaz (65-77A.H. / 684-696 A.D.) an analytic study** describes the purpose of the study.

The study is divided into a preface and three chapters, in the preface three of the words of the title are defined, namely: Image - Leadership - Base, linguistically and terminologically. The first chapter is devoted to study the ruling leadership and its model, Abdul Malik bin Marwan, by dividing the chapter into four demands, each one is concerned with the study of an aspect of the leading personality being studied. The second chapter is devoted to study the opposition leadership and its model, Al-Mukhtar Al-Thakafi, and through this chapter the nature of this leadership and its relations to the event and self is explained through four demands. The third and final chapter of the study deals with a leading figure who moved from opposition to rule, represented by Abdullah bin Al-Zubair, Also in four demands, to talk about the nature of that relationship that characterized his leadership with the base and other contemporary leaders.

Despite the difficulties that accompanied the progress of the research, such as the difficulty of obtaining the information that corresponds to the goal of the research, but the results of the work successfully expresses the nature of the relationship between the Weber's theory of domination and the selected leaders as the goal of the study, as provided by various sources and references listed at the end, and the obtained results.

Republic of Iraq
Ministry of higher Education
and Scientific Research
University of Karbala/
College of Education for Human Sciences
Department of History

The Relationship between Leadership and Base in Sham, Kufa and Hijaz (65 –77 A.H. / 684 – 696 A.D.) An Analytic study

A Dissertation Submitted by the Student

Mahdi Neamah Ali Al-Janabi

To the Council of the College of Education for Human Sciences / University of Karbala in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Doctor of Philosophy in Islamic History

Supervised by:
Prof. Dr. Ammar Muhammad Yunus

1446 A.H. **2024 A.D.**